تفسير من هدى القرآن

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السورة

في مصباح الكفعمي عنه (ع: (

)من قرأها فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا و برىء من الشرك ، و كان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم)(تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٤٢٩(

عن زر بن حبيش عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال:

)من قرأ سورة النساء كل جمعة أومن من ضغطه القبر)(تفسير العياشي / ج ١ / ص ٢١٥)

الاطار العام

)أ) - أسم السورة:

اختار القرآن ام (النساء) ليضعه على هذه السورة لأنها تتحدث عن حقوق المرأة في بدايتها ، ثم عن علاقة المرأة بالرجل ، وعن جوانب من حياة المرأة.

و المرأة هي : وجه حضارة البشر ، والتي تعكس مدى التزام الحضارة بالقيم السامية التي تأمر بالمحافظة على حقوق الضعفاء ، ولأن الاسلام يوليها اهتماما كبيرا كان من المفروض ان يعالج موضوعها في سورة من القرآن ، وكانت سورة النساء بحكم موضوعها الاجتماعي أفضلموقع للحديث عنها.

)ب) - موضوعات السورة:

مـن الايـة الاولى وحتى الاية (٢٥) ، ثم من آية (٣٣) الى (٣٥) ، ثم من (127) الى (١٣٠) ثم في الاية الأخيرة تتحدث السورة عن حقوق المرأة (و بالمناسبة حقوق الأيتام و السفهاء) ، و طريقة تقسيم الارث بين الرجل و المرأة ، و المعادلة السيئة ، و الشهادة الباطلة عند وارث المرأة كرها ، و استلاب حقوقهافي المهر ، و حرمة الزواج من نساء معينة بينهن زوجة الأب السابقة.

ثم عن سيطرة الرجل على المرأة في حدود الشريعة ، و عن النساء الفاضلات ، و الصلح بين الزوجين ، ثم عن التزام العدالة و الواقعية في بناء الاسرة ، واخيرا عن بعض موارد الارث.

أما الموضوع الآخير الذي تتحدث عنه السورة في الآيات (٣٦ - ٣٢) يرتبط بحرمة المال ، و النفس ، و ضرورة المحافظة عليهما ، و الاسباب التي قد تدعو البشر الى الاعتداء عليهما كالجهل و الحسد.

أما الموضوع الثالث ، فتتحدث السورة في الآيات (٣٦ - ٤٠) عن ضرورة الاحسان الى الضعفاء ، و حرمة

البخل ، أو انفاق المال رياء.

بيد ان الموضوع الرئيسي الذي تتحدث عنه معظم آيات سورة النساء يكاد يكون موضوع الحكم الاسلامي بوجوهه المختلفة ، ففي الآيات (٤١ - ٤٢) نجد الحديث عن أن الرسول شاهد على أمته ، بمعنى أنه حاكم عليها ، و حرمة عصيان الرسول ، و حرمة كتمان الشهادة.

وفي الآيات (٤٤ - ٥٧) نجد حديثا مفصلا عن دور العلم في إقامة الحق ، و مسؤولية رجال العلم في أداء أمانة العلم ، ببيان الحقائق من دون تزييف أو تحريف ، و مدى جريمة الذين يفترون على الله الكذب ، و صفاتهم السيئة التي تكشف زيفهم ، و تفضح نياتهم الفاسدة.

وفي الآيات (٥٨ - ٧٠) يتحدث القرآن عن القيم التي تعتمد عليها السياسة الاسلامية ، و أبرزها أداء الأمانة (أداء حقوق الناس) ، و الحكم بالعدل.

ثم تتحدث الآيات ذاتها عن طاعة الرسول و أولي الأمر ، و حرمة الاحتكام البالطاغوت ، و نعت الذين يتبعون الطاغوت بأنهم منافقون ومثل عن الطاعة الصعبة التي يتهرب منها المنافقون ، وهي طاعة الرسول في الحرب.

ثـم حديـث عن قيمة الدفاع عن المستضعفين في السياسة الاسلامية.

أما الآيات : (٧٧ - ٧٩) ثم (87 - 80)فهي تتحدث:

أولا : عــن ضـرورة الانضباط في القتال ، و التزام الطاعة التامة في كل الأوامر.

ثانيا : عن دور القائد في التحريض على القتال ، و حمل الناس على طاعة الأوامر.

وفي الآيات (٨٨ - ٩١) نجد الحديث يتركز حول اتخاذ موقف موحد و حازم من المنافقين ، فيحدد القرآن طبيعة المنافقين وأنواعهم ، ثم يحدد الموقف منهم .

ثم يتحدث خلال الآيات (٩٥ - ١٠٠) عن المجاهدين و القاعدين و المهاجرين كطبقات متميزة في المجتمع الاسلامي ، و متقابلة مع طبقات المنافقين السالفة الذكر.

و يعود القرآن في الآيات (١٠٥ - ١١١ (الى الحديث عن قيم السياسة الاسلامية وكيف انها دولة القانون البعيدة عن الفساد الاداري ، فينهى الرسول عن الجدل مع الخائنين و المختانين الذين يحاولون تضليل الرسول.

وفي الآيات التالية (١١٧ - ١٢٦) يتناول القرآن جوانب شتى عن النفاق منها أصل النفاق و دور الشيطان فيه بأمانيه الخلابة الكاذبة ، و أساطيره الساذجة.

وبعد أن يبين القرآن في الآيات (١٣١ - ١٣٤) ضرورة التقوى و الالتزام ، و اقامة القسط و الشهادة لله لكي يزكي النفوس عن عوامل النفاق ، بعدئذ يعود مرة أخرى في الآيات (146 - 136) ليبين أن الايمان حقيقة بسيطة لا تتجزأ ، و ان الذين يفرقون بين فكرة و أخرى في الايمان فهم كفار و منافقون يخادعون أنفسهم ، لأنهم يتخذون الكافرين اولياء ، وهم في الدرك الاسفل من النار.

ثم يبين السبيل الوحيد لاخراج هؤلاء من حالتهم وهو التوبة و الاصلاح ، ثم الشكر و الايمان ، وعدم الجهر بالسوء من القول ، و ابتغاء مرضاة الله بالاعمال الصالحة.

و يكرر القرآن وبتفصيل أكثر هذه المرة بيان بساطة الايمان ، وأنه حقيقة لا تتجزأ ، ويبين في الآيات (١٥٠ - ١٦٠) ان الذين لا يؤمنون ، بحجة عدم الاقتناع هم أناس كاذبون ومثلهم بنو إسرائيل حين سألوا

موسى أن يريهم الله جهرة ، ثم اتخذوا العجل بعد ان توضحتلهم الآيات ، وانهم نقضوا الميثاق ، و اختاروا الكفر بآيات الله ، و اتهموا مريم بالفحشاء ، و ادعوا أنهم قتلوا عيسى ، و ظلموا أنفسهم و أخذوا الربا.

وفي الايات الأخيرة من السورة يتحدث القرآن عن ضرورة الايمان بالله و بالرسول بشكل كامل ، و الاعتصام بالنور الذي أنزله ، و كمثل لهذا الايمان يذكر القرآن حكما في الارث وينهي به سورة النساء.

هذا الاستعراض الموجز لتفصيل سورة النساء ، يكشف لنا الخيط الذي يربط بين موضوعاته الرئيسية ، وهو المجتمع الاسلامي بما فيه من قيم الحق ، و العدالة و التقوى ، وبما فيه من حقوق المرأة ، و اليتيم ، و السفيه و الفقير ، و الدفاع عن المستضعفين و المحرومين وما له من قيادة حكيمة ، و سياسة واضحة ، و ارادة

حازمة ، معتمدة على قواعد راسخة من ايمان الامة بالرسول وبأولي الامر من بعده.

و بالطبع لا يتحدث القرآن عن المجتمع المسلم بطريقة علميــة فحسب ، بل و تربوية أيضا ، فنكشف من خلال حديثه المبارك كيف نبني هذا المجتمع وما هي الدواعي التي تدفعنا الى اختياره ؟

الخطوط العامة للمجتمع الاسلامي

بينات من الآيات

المجتمع الاسلامي مبني على قاعدة التوحيد ، و شعار التوحيد اسم الله ، و المجتمع الجاهلي طافح على غرور الطاغوت ، و شعارهم اسم الطاغوت.

و توحيد الله يعطي المجتــمع الاســلامــي فضــلا من الله ، و رحمة شاملة و دائمة ، و شعار الرحمة الشاملة (الرحمن) و شعار الرحمة الدائمة (الرحيم. (

وهذا يعني ان المجتمع الاسلامي : مستقر و مستمر ، متكامل و دائم ، فهو خير و رفاه ، و تقدم لجميع الناس في جميع العصور.

الالتزام المبدئي:

[1]الخط العام الذي تتفرع عنه سائر الخطوط المميزة للمجتمع الاسلامي انه مجتمع ملتزم بمنهج الله ، و قد عبر القرآن عن هذه الفكرة في آية : (و الزمهم كلمة التقوى) فهو مجتمع مبدئي ، و حين نقول مجتمع مبدئي فإننا نتصور شرطين أساسينهما:

أ - أنه لا يؤمن بالفوضى في أي حقل من حقول المجتمع ، بل يؤمن بالتنظيم في كافة الابعاد الخاصة و العامة.

ب (انه ينطلق في تنظيمه من بصائر سماوية ليست فيها تحديدات قومية أو اقليمية أو عنصرية أو غيرها .. لان السماء هي التي أوحت بهذه البصائر.

من هنا جاءت الكلمة الاولى في هذه السورة نداء الى الناس : ان يتقوا اللهليبنوا على أساسه مجتمعهم الفاضل. .

]يا أيها الناس اتقوا ربكم. [

و معروف ان الخطاب للناس الواقعيين الذين يتحركون في أرض الواقع ، و ليس الخطاب الى الانسان أو البشر كصفات تجريدية ، أن هذا الخطاب تعبير عن روح الواقعية في الرؤية الاسلامية ، و بالتالي روح

توجيه الحياة مباشرة ، و من دون الالتفاف حولها بمسائل نظرية.

والسؤال هو : لماذا قال الله "ربكم " ؟

الجواب :ان كلمة الرب تدل على معنى التربية فهي أقرب الى التشريع الذي يامـر الله عـباده بإتباعه ، لذلك ترى ان القرآن ، لا يكتفي بكلمة رب ، بل يضيف قائلا:

]الذي خلقكم[

ليذكرنا بأن الله الذي رباكم من بعد أن خلقكم ، أجدر أن يتبع الناس تشريعه و يتقونه في حياتهم.

التوحيد منطلق التشريع:

و الميزة الاساسية في تشريع السماء ، انطلاقة من مبدأ التوحيد ، و الذي يعني فيما يعني الارتفاع فوق كل الحواجز المصطنعة بين الناس ، إننا نفهم اليوم و بعد ان أكتشفنا ان أكثر الويلات التي أصابت البشرية ولا تزال تصيبها حتى اليوم آتية من هذه الحواجز.

)العنصريات ، القوميات ، الاقليميات ، الطبقيات و ... و ... و هكذا ..) نحن نعرف انها هي العقبات الحقيقية في طريق الانسان الى السعادة و التقدم.

و لذلك يركز القرآن على ان الله خلق الناس جميعا من نفس واحدة و يقول:

]الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا و نساء]النساء كالرجال:

و السؤال : كيف خلق الله زوج الانسان من نفسه ؟ و هل يعني هذا ان الانسان الاول كان ذا طبيعة مزدوجة ، ثم انفصلت طبيعة الذكر عن طبيعة الانثى في سائر الاجيال ؟

أم هل يعني هذا ان الله خلق آدم)ع) ثم انتزع من أضلعه صلصالا و خلق منه حواء ؟

لا أعلم ذلك بالضبط ، و لكن هذا التعبير يوحي بفكرة علمية تهمنا في تلاوة آيات القرآن وهي ان الذكر و الانثى جنس واحد ، و ليست الانثى أقل شأنا من الذكر ، لا في الطبيعة ولا في منهج الله ، و قد تكررت في آيات القرآن هذه الفكرةمثل قوله تعالى:

"خلق لكم من أنفسكم أزواجا "

و قد نسف القرآن هذه الفكرة العنصرية الجنسية (كما أسميها) التي تقول : ان للذكر سلطة مطلقة على الانثى بسبب أنه من جنس أعلى ، و الفارق بينه و بينها يشبه تماما الفارق بين الانسان و الحيوان!!

لقد نسف القرآن هذه الفكرة وبين ان كل الحواجز بين الناس مصطنعة ، ولا رصيد لها من الحق أبدا.

الأسرة تنظيم ايجابي:

بين القرآن إن فكرة التساوي بين الناس لا تعني الانفلات و الفوضى ، انما يجب ان يكـون داخل المجتمع تنظيم متقن ، و نقبل بالحواجز بقدر إدائها لعملية التنظيم الايجابي ، فالأسرة مثلا كاطار ينظم علاقة مجموعة بشرية بأخرى ، و يجعلها أكثر تعاونا و تفاعلا..

مقبولة و ضرورة ، و لكن الاسرة كاطار لضرب الاسر الثانية و اشاعة العصبية و القبلية بين المجتمع مرفوضة أساسا.

و لذلك أكد القرآن على الاسرة و قال:

]وأتقوا الله الذي تساءلون به و الارحام[

أي أتقوا الله و اتقوا الارحام.

ان التعاون مع الاسرة يجب ان يبقى ضمن اطار منهج الله ، فلا يصبح وسيلة للفساد و الرشوة ، و غصب الحقوق ، و اشاعة الفحشاء ، لذلك بدأ الحديث بذكرتقوى الله و جعلها ركيزة البناء الاجتماعي ، ثم بين أهمية الارحام) الاقارب) و تعبير القرآن بـ (تساءلون به) يعني ان الله هو المقياس النهائي و الاخير الذي يمكن ان يجعل ركيزة التعاون الاجتماعي ، فإذا تساءل أحد شيئا من آخر هل فعله أم لا ، كيف يستطيع انيثبت أنه سيقول له الصحيح أم يكذب عليه.

لا طريق له الى ذلك الا ان يحلفه بالله ، و يستثير ضميره و فطرته المؤمنة بالله ، و يجعل من ذاته على ذاته رقيبا.

ان المجتمع الذي يتمتع بالايمان ، هو القادر على ايجاد تعاون حقيقي بين أبنائه على أساس من العدالة و المساواة ، وان لم يكن المجتمع مؤمنا فكل الانظمة الموضوعة تصبح حبرا على ورق يتلاعب بها الناس كما يتلاعب الرياضيون بالكرة.

من هنا لابد ان يبنى المجتمع المسلم على ركيزة الايمان و التقوى.

]ان الله كان عليكم رقيبا[

قيم المجتمع الاسلامي:

ان هذه الاية استهلت الحديث عن المجتمع الاسلامي ببيان قيم المجتمع بإيجاز وهي:

أ) تقوى الله.

ب) المساواة التامة بين جميع عباد الله الذكر منهم و الانثى.

ج) اعتماد التنظيم الاسري (و غيره) في اطار تقوى الله.

التشريعات المالية في الاسلام

هدى من الايات

النظام الاقتصادي وجه بارز من أوجه المجتمع ، و لذلك بدأ القرآن حديثه عن المجتمع الاسلامي ببيان النظام الاقتصادي في هذا المجتمع ، الذي يكفل الملكية الفردية في أطار من الرقابة الاجتماعية ، فهو يشجع الناس على العمل و الانتاج ، و تطوير التجربة الذاتية في التنعم بالحياة.

كل ذلك عن طريق كفالة الملكية الفردية ، كما أنه يحافظ على دور المال البناء لئلا يتحول الى صخرة في طريق الحرية الاجتماعية أو القيم السامية للمجتمع.

من هنا نجد ان الاية الأولى تركز على ضرورة المحافظة على حقوق اليتامى و النساء لانهما العضوان الضعيفان في المجتمع ، ولهذا اقتضى التركيز عليهما ، و المجتمع الذي يحافظ على حقوق الضعفاء يحافظ طبيعيا على حقوق الاقوياء.

ولكن القرآن عاد فبين حدود الملكية الفردية في الآية الخامسة ، و منع اعطاءالسفهاء أموال المجتمع ، لأن السفهاء يخالفون فلسفة المال وهي تنظيم حياة المجتمع به ، و من هذا المنطلق اشترط الرشد في اليتيم الذي يبلغ ، و يريد ان يتسلم أمواله.

و تحدث بعدئذ عن الارث باعتباره من توابع الملكية الفردية ، وركز حديثه على ضرورة المحافظة على حقوق الضعفاء "النساء و الايتام و أولوا القربى و اليتامى و المساكين."

و خلال الحديث في الايتين (٣ / ٤) تحدث القرآن عن الزواج تمهيدا للحديث عن حقوق المرأة في امتلاك المهر ، و ضرورة المحافظة عليها.

بينات من الايات

[2]اليتيم هو أضعف الحلقات الاجتماعية ، و الولي عليه (الوصي) هو أقوى الحلقات في قدرته على أكل أمواله من دون رادع إجتماعي ، لذلك حذر القرآن الاولياء من ظلم اليتيم ظاهرا أو خفيا ، و الظلم الخفي هو تبديل أموال اليتامى بالتي هي أسوأ لحساب الولي عليهم.

ومن يأكل أموال اليتامى يتعود على التبذير ، لأنه يجد أمامه مالا لا تعب فيه فيلتهمه بدون تدبير ، فإذا انتهت أموال اليتيم دفعته عادة التبذير الى تبديد أمواله الخاصة بذات الكيفية السابقة ، فإذّا به يخسر ماله الحلال أيضا . من هنا قال الله تعالى:

]وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم]أي أنكم تبدأون باكل أموال اليتيم وتنتهون بأكل أموالكم:

]أنه كان حوبا كبيرا[

انه ظلم عظيم.

علاج اليتم:

[3]لحل مشكلة اليتم وضع الاسلام حلا أجتماعيا هو الزواج بالارملة " صاحبة الأيتام. "

ومن هنا نعرف ان فلسفة تعدد الزوجات هي حل لبعض المشاكل الاجتماعية.

ذلك أنه لا يوجد شاب يقدم على الزواج ابتداءا من أرملة عجوز الا اذا جعلها زوجته الثانية لكي يسترها ويحافظ على حقوقها و حقوق أبنائها ، لان الزواج من الام يعطي الزوج دافعا نفسيا الى المحافظة على حقوق أولادها (اليتامى (باعتبار أنهم سوف يصبحون كأولادهبالنسب ، وسوف ينفعونه عند الكبر ، و يرفعون أسمه عند الناس وهكذا.

من هنا ربط القرآن بين الخوف من ظلم اليتيم وبين تعدد الزوجات فقال:

]وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع]ثم عاد و حذر من الزواج بنية سيئة ، أو مع عدم القدرة على الوفاء بحقوق الزوجية فقال:

]فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة[

و عدم العدالة قد يكون بالاهتمام بزوجة وترك الاخريات كالمعلقات لا يحظين بحقوق الزوجية الجنسية و

الاقتصادية و الاجتماعية ، ولا هن مطلقات حتى يتزوجن غيره.

ومن الناس من يتزوج أرملة بهدف إلتهام أموالها ثم يتركها تعاني الامرين ، و لقد حذر القرآن من ذلك وأمر هؤلاء بالأقتصادر على زوجة واحدة.

]أو ما ملكت إيمانكم[

أي التسري بالاماء بهدف تفريغ الشهوة الجنسية ، و الامتناع عن الفساد ، وهذا جانب من واقعية التشريع الاسلامي الذي يمنع بشدة الفوضى الجنسية ، ومن جانب آخر يفتح طريق اللذة الحلال بالزواج أو الملك.

]ذلك أدنى الا تعولوا[

فالاكتفـاء بزوجة واحدة ، أو بالتسري بالاماء ، يمنع الميل عن الحق الى الباطل ، بينما تعدد الزوجات قد يتسبب في الظلم و الفقر و المسكنة.

المهر حق المرأة:

[4]بعد الحديث عن اليتيم جاء دور حقوق المرأة ، و أبرزها المهر ، لأنه مال ثابت تمتلكه أغلب النساء . فأمر الاسلام بأعطاء المهر للنساء ، وبين بذلك ان المرأة تمتلك تماما كالرجل ، سواء كانت متزوجة أم عانسا ، و قد كانت الانظمة البشرية تنفي حق المرأة فيالامتلاك خصوصا المتزوجة ، وقريبا جدا استطاعت المرأة الغربية ان تحافظ على حريتها في التملك بعد الزواج ، بالرغم من انالاسلام أعطاها هذا الحق منذ اليوم الاول.

و الواقع ان الجاهلية لا تستطيع إلا ان تظلم الضعفاء ، و المرأة هي العضو الضعيف في المجتمع ، ولا يزال العالم الغربي يظلمها في شخصيتها و حقوقها العامة.

و يسمي القرآن المهر صداقا ليبين فلسفته التي هي : المصادقة على عهد الزوجية ، ذلك ان الرجل يغري فتاة بحلم الزواج ، وعندما يقضي وطره منها يتركها للفحشاء ، فكان عليه ان يقدم دليلا على صدق حبه لها ، و حسن نيته في ادعاء الزواج ، و ذلك الدليل هو المهر ، من هنا قال ربنا:

]وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا [النحلة هي : العطاء ، أي قدموا لهن المهر عطاء لا رجعة فيه ، و الهنيء ما يسبب الراحة النفسية ، و المريء ما يسبب الراحة الجسدية.

ولا ريب ان المال الحلال الذي يأكله الانسان براحة نفسية يعطي الجسد راحة جسمية أيضا لطبيعة العلاقة بين النفس و الجسم.

البعد الاجتماعي في الحق المالي:

[5]المال حق من حقوق الفرد ، و لكنه ملك لجميع الناس ، و للناس أن يفرضوا الرقابة عليه لئلا يصبح أداة فساد ، و لذلك فإن السفهاء يحرمون من حق التصرف في أموالهم ، لان تلك الاموال هي أموال المجتمع قبل ان تكون للسفهاء.

ولأن المـال وضـع ليؤدي دور المنظم لانشطة المجتمع ، و الحافظ لجهود الناس ،فإذا استغله صاحبه في الفوضى و الفساد و السلبية و السرف فإنه يفقد دوره و يصيب الضرر جميع أبناء المجتمع ، و لنتصور سفيها بدأ يشتري البضاعة بأضعاف ثمنها ، انه سوف ينشر الخلل في موازين السوق ، وبالتالي يصاب الكثيرون من المحتاجين الى تلك البضاعة بالضرر الفادح.

من هنا يخط الاسلام خطا وسطا بين الرأسمالية و الشيوعية ، فيحفظ للفرد حقوقه ، و يعطيه دوافع للانتاج و مجالا للاختيار و التحرك ، كما يحفظ للمجتمع حقوقه في الرقابة على نشاطات الفرد ، و توجيهها حسب مصلحة الجميع و من أجل البناء و الازدهار.

من هنا تجد التعبير القرآني يؤكد على ان المال ملك للجميع بالرغم من ان السفيه مختص به أكثر من غيره ، و بين فلسفة ذلك بقوله:

]ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما]هذا الغني الذي يصرف أموال المجتمع على متعه الخاصة ، بينما كان عليه ان يصرفها في بناء المشاريع العمرانية و الانسانية ، و هذا المستكبر الذي يستثمر ثروته في محاربة الرسالة و مقاومة اصلاحاتها ، و هذا المترف الذي يشجع الفاحشة و يبني دور اللهو و البغاء والمخدرات ، و هذا المفسد الذي يحتكر التجارة لذاته ، و يعمل بطريقة أنانية تضر بمصلحة سائر التجار و الجماهير ، أنهم جميعا يتجاوزون حدهم ، و يتصرفون في أموال المجتمع بما يخالف النظام الذي يستقيم بالمال ، و يضارون بالناس . و هنا عليهم ان يقفوا ضدهم ويحجروا على أموالهم ولا يعني ذلك مصادرة أموالهم حتى لا يعطي ذلك مبررا لبعض المنتفعين بالحكومات ان يتهموا الناس ببعض هذه التهم لمصادرة أموالهم : كلا ... بل يعني وضع أموالهم تحت رقابة هيئة مخلصة تقوم هي باستثمارها في الصالح العام ، و تضع الارباح في

حسابهم ، بعد ان تأخذ من أموالهم قدرا معروفا لقاء أتعابها.

و تقوم الهيئة بتوجيه هؤلاء نفسيا ، و تحاول تربيتهم على الافكار التجارية السليمة تمهيدا لاصلاحهم ، و اعادة أموالهم اليهم.

لذلك تجد القرآن يستخدم كلمة)في) و يقول:

]و أرزقوهم فيها وأكسوهم[

بينما كان من المنتظر ان يستعمل كلمة (من) وهذا التغيير جاء للدلالة على ضرورة صرف هذه الاموال في مصلحة السفهاء ، و الرزق هو مثل للحاجة الطبيعية بينما الكسوة مثل للحاجة الكمالية (الاجتماعية. (

ثم قال ربنا عن الجانب التربوي لهؤلاء:

]وقولوا لهم قولا معروفا[

حتى لا تتحطم نفسيتهم ، ولا يعودوا يصلحون للحياة ابدا.

يبقى ان نقول : ان السفيه هو الذي يخالف مصالحه الحقيقية حسب رؤية الشرع ، و مقياس العرف الصالح ، و القيام أستخدم في القرآن بمعنى النظام ، أو ما به استمرار الشيء و بقاؤه.

المراهقة الفكرية جذر السفه...

[6]السفه قد يكون بسبب آفة عقلية أو نفسية تطرأ على صاحبة ، وقد يكون بسبب المراهقة ، وعن هذه الثانية تتحدث الآية :

]و ابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فأدفعوا اليهم أموالهم]فإنما يعاد لليتيم أمواله بعد أن يختبر ، ليكشف بلوغه سن النكاح و تمتعه بالرشد الكافي للتصرف في أمواله بما يخدم

مصلحته ومصلحة مجتمعه.

ويؤكد القرآن هنا مرة أخرى ضرورة المحافظة على حقوق اليتامى و يقول:

]ولا تأكلوها اسرافا و بدارا ان يكبروا[

ذلك ان الذي يأكل أموال اليتيم يسرف فيها ، ويسابق الزمن في التهامها قبل ان يكبر اليتيم فيطالبه بالأموال ، بدارا : أي مبادرة قبل ان يكبر اليتيم.

ولكن مع ذلك يبقى لولي اليتيم الحق في أخذ أجرته في المحافظة عليه و على أمواله ان كان فقيرا أو محتاجا الى ذلك.

]ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا]أي ان الاهم من الاشهاد هو الوازع النفسي الذي يرى الله عليه حسيبا ، فيمنعه عن أكل مال اليتيم.

الارث لماذا ؟ لمن ؟ كيف ؟

[7]من مظاهر الاقتصاد الموجه الذي يؤمن به الاسلام هي حقوق الارث ، و التي تشجع الافراد على العمل و الانتاج باثارة غريزة حب الأبناء لديهم ، حتى إذا كان الفرد غنيا عن المال بالنسبة الى حاجاته الخاصة ، عمل من أجل أسعادابنائه بعد موته.

ثم ان الانسان معرض للموت في أية لحظة ، و قد تراوده فكرة خبيثة فيفكر : لماذا أعمل ولمن ؟

و بالرغم من بعض العادات و الانظمة الجاهلية التي منعت الارث عن النساء ، يؤكد القرآن هنا على مخالفة تلك العادات و الانظمة و يقول:

]للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الاقربون ، و للنساء نصيب مما ترك الوالدان و الاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا]أي لكل رجل أو امرأة حق مفروض في تركة الميت القريب منهما في الرحم.

[8]وللمجتمع حق معلوم في تركة الميت...

]وإذا حضر القسمة أولوا القربى[

ممن لا تربطهم بالميت صلة قرابة تقتضي توريثهم.

]و اليتامى و المساكين فأرزقوهم منه و قولوا لهم قولا معروفا]و القول المعروف هنا وفي كل مناسبة تشبه الارث يعني : ضرورة العمل من أجل رفع مستوى الطبقات المحرومة نفسيا و تربويا حتى لا يشعروا بالذل و المهانة ، بل و لكي يساعدهم مستواهم الرفيع على محاربة واقعهم ، و العمل الجاد على اصلاحه و تطويره.

فهذا اليتيم الذي اضطرته الحاجة المؤقتة الى ان يحضر قسمة الارث ، يرمق ببصرة تركة الأموات ، أنه سيصبح غدا شابا قويا قادرا على العمل البناء ، لولمتحطم نفسيته أيام فقره وحاجته ، ولو لم تحطم سمعته أمام الناس وينظر اليه كطبقة هابطة ومنبوذة في المجتمع ، وكذلك المسكين العاطل عن العمل اليوم قد يجد غدا عملا يناسبه ، فيصبح عضوا فعالا في جسم المجتمع ان لم يشعره المجتمع أيام مسكنته بأنه من طبقة منبوذة.

من هنا يركز القرآن على ضرورة اعطاء الطبقات المحرومة جرعات روحية بالاضافة الى توفيــر الحاجات

المادية لهم ، لتساعدهم تلك الجرعات على مقاومة واقعهم بانفسهم ، اولا أقل لكي يحظوا بالسعادة من تقدير المجتمع لهم ، وعدم النظر الى وضعهم الاقتصادي المنحط.

كما تدين تدان:

[9]وبمناسبة الحديث عن الارث بين القرآن مرة أخرى حكم اليتيم باعتبار ان كثيرا من الاموات يتركون ذرية صغارا من ورائهم و يتعرض هؤلاء لطمع الجشعين ، و أخذ القرآن يحرك فينا خوفنا الفطري من الموت ، و ضياع ذريتنا من ورائنا وقال لو لم يحترم المجتمع حقوق اليتامى فكل فرد مهدد ان تغتصب حقوق يتاماه غدا كما يغتصب هو حق اليتامى اليوم . إذا ... فإن لم يكن لله فلأنفسنا نحافظ على حقوق اليتامى.

]و ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم]إذن فلا يظلمون ذرية الناس ما داموا هم أصحاب ذرية يخشون عليهم لوماتوا ... أفلا يعرفون ان من طرق باب الناس طرق بابه.

]فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا[

فلا يخالطون في حساب الارث و يقسمونه بحيث يظلمون حق اليتامى.

[10]ثم هدد القرآن الحكيم الذين يأكلون أموال اليتامى و قال:

]ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا و سيصلون سعيرا]ما هذه النار التي يأكلونها ؟ هل هي هذه المواد الحرام التي تتحول -بقدرة الله - الى نار لاهبة في يوم القيامة ؟ أم انها الالآم النفسية ومن ثم الجسدية التي تلاحقهم بسبب ظلمهم اليتامى ؟ أم انها الانحرافات الاجتماعية التي سوف تحرق حضارتهم وتخرب عمرانهمعاجلا أم آجلا ؟

المهم انها نار في الدنيا و سعير في الاخرة ... و كفى بذلك رادعا عن الاقتراب من حق الضعفاء.

الارث بين الاهداف والالتزام

هدى من الايات

في الآيات هذه بعض أحكام الارث ، و التي تكشف ما وراءها من النظرة الاسلامية في الطبقات المتدرجة للتنظيم الاسري ، و للحقوق المتبادلة فيها.

و الارث عموما رابطة وثيقة تشد أبناء الاسرة ببعضها ، كما أنه في الاقتصاد الاسلامي طريقة لتوزيع الثروة في المجتمع.

وأهم حكم يعكسه أحكام الإرث في هذه الآيات وأشده إثارة للجدل هو : تفضيل الذكر على الانثى في أغلب موارد الارث ، إذ ان الاسلام يعطي الذكر دورا قياديا أكبر في الاسرة ، و تحميله نفقات العائلة دون الانثى فيضاعف نصيبه من الارث ومع ذلك فإنه عند التعمق نجد ان المرأة تشارك الرجل في ارثه ، دون ان يشاركها الرجل فيتعادلان ، او تميل كفة المرأة قليلا فتحصل على قدر أكبر من الارث.

و تتحدث الآية الاولى عن ارث أبناء العائلة التي تتكون من الوالدين و الابناءو الاخوة.

بينما تتحدث الاية الثانية عن العلاقة الزوجية وكيفية تبادل الزوجين الارث من بعضهما.

أما الايتان الثالثة والرابعة فهي تبين ضرورة الالتزام الدقيق بأحكام الله التي يسميها القرآن بالحدود ، ويوعد من تجاوزها بأشد العذاب.

بينات من الايات

حكمة الارث:

[11]انطلاقا من طبيعة الدور الذي يكلف الذكر به في الحياة العامة وفي الحياة الزوجية وهو دور الانفاق و التوجيه الاشد صعوبة والاكثر جهدا ، فقد حدد القرآن للذكر ضعفي نصيب الانثى من الارث ، و عبر عن ذلك بقوله تعالى:

]يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين[

ويبدو هذا التعبير رؤية حياتية أكثر من ان يكون قاعدة قانونية.

فالذكر في طبيعته و دوره الفطري الذي خلق له ، هو ان يصبح له مثل حظ الانثيين في المجال الاقتصادي ، كما ان الانثى تملك مثل حظ الذكرين في المجالات الاخرى العاطفية و الجاذبية ، و القدرة على التربية.

و استعاض الله (بالوصية) عن صيغة الامر فقال (يوصيكم) للدلالة على ان في ذلك فائدة كبيرة لكم قبل ان تكون امرا عليكم.

هذا إذا كانوا اولادا مختلطين من ذكور و اناث ، اما لو كن اناثا فقط فإنهن يقتسمن ثلثي التركة بينهن بالسوية.

]فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف]أما بقيــة المـال : فان كان للميــت أبوان فإنهما يرثان الثلث فيما إذا كانتا اثنين و أكثر ، و ترث الام السدس ويرث الاب البقية فيما إذا كانت واحدة فلها النصف ، وكذلك يشاركهما الزوجان حسب التفصيل القادم.

اما إذا لم يكن للميت أبوان ولا زوج فإن بقية المال يرد على البنات أو الــبنت بطــريقة الرد.

]ولأ بويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فإن لم يكن له ولد و ورثه أبواه فلأمه الثلث]اما الاب فنصيبه غير محدود فهو يأخذ البقية الباقية أنى كانت قلت أم كثرت ، فمثلا . إذا ماتت البنت فللأم الثلث أن كان للميت أم دون اولاد و للأب الثلثان الباقيان ، أما لو كان الميت إمرأة فلزوجها النصف مما تركت . و لأمها الثلث ، و يبقى لأبيها السدس فقط.

]فإن كان له أخوة فلأمه السدس[

لأن أخوة الميت يحجبون الأم عن سدس ارثها ، كل هذه التفاصــيل و الفــروضــات تحسب...

]من بعد وصية يوصي بها[

الميت يتصرف في حدود ثلث المبلغ الذي خلفه لا أكثر ، الا إذا رضي الورثة بالزيادة فتعطى لمن وصى به حقه ، ثم تقسم التركة كذلك بعد الدين.

]أو دين[

فالديــن المتعلق بالميت مقدم على الوصية ، و على الورثة حتى ولو غطى التركة كلها.

ان الانسان يجب ان يرث أبناؤه كل ثروته دون أبويه ، و هما على شفا الموت بينما أبناؤه يستقبلون الحياة الحافلة بالمشاكل و الصعوبات ، من هنا يتساءل لماذا وضع الله نصيبا مفروضا للأبوين ؟ و يجيب القرآن الكريم على ذلك:

]آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا[

فربما يكون الآباء هم أقرب الى نفعكم من الابناء ، فلولا جهود أولئك و مساعيهم ، و لولا رعايتهم و لولا خبرتهم لكانت حياتكم جحيما ، فلابد ان تكون لهم مكافأة رمزية.

]فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما[

موارد الارث:

[12]بعــد الحديــث عــن القــرابــة " الرحميــة " جـــاء دور القرابة الزوجية " السببية " ، و بين القرآن ان الزوج يرث نصف تركة الزوجة ان لم يكن لها ولد ، والا فالربع ، اما الزوجة فترث الربع ان لم يكن له ولد ، والا فالثمن.

و أكدت الآية أكثر من مرة ضرورة اداء دين الميت و أحترام وصيته ، و أكدتها هنا أكثر من الآية السابقة بأعتبار ان العلاقة الزوجية لا تكون قوية فيستأثر الوارث منها بالمال دون ان يعير وصية الميت انتباها.

]ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكمالربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين و لهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين]اما ارث الاخوة الذين يسميهم القرآن كلالة ، لانهم في طبقته يشكلون زينته كالا كاليل فإن اخوة الانسان من الام يرثون هكذا : إذا كان أخ الميت واحدا فإنه يورث سدس التركة ، اما إذا كان له أخوان أو ثلاثة فإن ثلث المال يخصص لهم فيتقاسمونه بينهم بالسوية ، لافرق بين الذكر و الانثى (أي بين الاخت و الاخ. (

لذلك قال ربنا:

]وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة [

أي ان كان ميت يرثه أقاربه على طريقة الكلالة سواء كان الميت رجلا [أو إمرأة. [

وهناك مثل لارث الكلالة هو ان يكون للميت وارث واحد.

]وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس[

اما إذا كان له أكثر من ذلك أي اثنان فزائد فالحكم يختلف:

]فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار]إنما قدمت الوصية على الدين لان أكثر الناس يوصون بينما قد لا يكون الأمر كذلك بالنسبة الى الدين.

والا فإن الدين مقدم على الوصية لان الدين يتعلق بحقوق الناس.

ولكن الوصية يجب ان لا تكون بقصد الاضرار بالورثة ، وفي هذه الحالة تلغىالوصية بسبب قانون " الضرار "

.

كما ان من كتب على نفسه دينا كاذبا بهدف الاضرار بورثته فإن أعتــرافــه هذا لا يؤخذ به ، ويتحقق القاضي في الامر ليرى هل هو مديون فعلا أم لا ؟...

]وصية من الله والله عليم حليم[

علــيم بما يفعله العباد ببعضهم من الظلم ، لكنه يحلم عنهم لفترة دون ان ينساهم ، إذ سيأتي يوم يؤخذ فيه المسيء بأشد الجزاء.

[13]يسمي القرآن أحكام الدين بـ (الحدود) تعبيرا عن الدقة المتناهية التي تتميز بها هذه الاحكام ، والتي من الضروري ان يراعيها المؤمن فليس من الصحيح الزيادة او النقيصة فيها باجتهادات خاصة أو حسب مصالح مؤقتة ، لأن أية زيادة أو نقيصة تحمل في طياتها عقوبة تجاوزها.

]تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم][١٤] [ومن يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين]ان الاستخفاف بحدود الله ينتهي الى الهوان في الاخرة ، ولأنه في الواقع يصل الى درجة معصية الله و التهاون به.

المرأة و المجتمع حقوق و علاقات

هدى من الآيات

من الحقوق الثابتة للمرأة الحصانة عن القذف و التهمة ، ذلك أن رأسمال المرأة سمعتها و عفتها و نظافة حصنها ، ولابد ان تبقى هذه السمعة مصونة من ألسنة العابثين.

الا إذا أخترقت حجاب العفة ، ومارست الفاحشة علنا ، و بصورة جلبت أنظار أربعة شهود من المؤمنين آنئذ يجب ان تحجز بعيدة عن أصحاب الشهوات الذين يتخذونها سلعة و متاعا رخيصا.

و ابعاد المرأة عن ممارسة الفحشاء ، و توفير حاجاتها من بيت المال ، حق آخر من حقوقها على المجتمع.

و بمناسبة الحديث عن القذف ، ولانه جريمة تشتهر في المجتمعات الجاهلية ، و يستهين بأبعادها الناس ، فقد ذكر القرآن التوبة ، و بين ان باب التوبة مفتوح لمن أراد أن يدخله ، و لكن بشرط أن يسارع اليه قبل ان يحضره الموت ، فإذا حضرهفإن التوبة لن تقبل.

بعد حق الحصانة الاجتماعية بين القرآن مرة أخرى حق المرأة في الملكية و حرمة أكل إرثها جبرا ، أو الضغط عليها لتتنازل عن بعض مهرها للزوج كما بين حق العشرة المعروفة معها بالرغم من سلبياتها.

و عاد و بين حق المرأة في المهر بمجرد الزوجية ، وانه لا يحق للزوج استرجاع المهر ان أراد أن يطلقها.

وعموما : يتحدث هذا الدرس عن جانب من حقوق المرأة بالنسبة الى علاقتها الزوجية و الاجتماعية.

بينات من الآيات

المحرمات الزوجية و مفهوم الزواج

هدى من الآيات

في هذا الدرس ينظم التشريع القرآني الحكيم العلاقة الزوجية بين الذكر و الانثى ، فيبين النساء المحرمات إبتداءا بزوجة الاب و انتهاء بالجمع بين الاختين ، أو التفكير في الزواج من امرأة ذات بعل.

ثم تتحدث الآيات عن العلاقة المشروعة بين الذكر و الانثى التي تتم عن طريق الزواج كعقد يتراضى عليه الطرفان ، و ان من الضروري الالتزام بكافة بنوده ، و ليست الزوجية امتلاكا للانثى من قبل الذكر كما كان يتصوره الجاهليون.

و تتحدث عن الزواج من الاماء ، و كيف يجب ان تنظم العلاقة معهن حتى لا تتحول الامة الى باغية بحكم حاجتها الى المال و الى الحماية الاجتماعية بسبب انها امرأة غريبة عن المجتمع المسلم.

و يشدد الاسلام على ذلك في الآيات الثلاث الاخيرة من الدرس حين يقول:

ان هذه التشريعات هي عماد حضارتكم ، و ان الاستهانة بها يهدد كيانكم بالدمار كما فعل بالذين كانوا من قبلكم .

و يبين ان التشريع الاسلامي تشريع واقعي يلاحظ ضعف الانسان ، و حدود قدراته على الضبط ، و انه لولا واقعية هذا التشريع لانهار كثير من الناس في بؤرة الفساد و اتباع الشهوات.

بينات من الآيات
الانسان و منطلقات العمل
هدى من الآيات
الحلقة الاولى في المجتمع الاسلامي هي الاسرة التي تحدثت عنها الآيات السابقة ، حيث بينت حقوقها و أنظمتها ، أما الحلقة الثانية فهي المرتبطة بسائر أبناء المجتمع الذين نظم القرآن علاقات بعضهم ببعض عبر كثير من سور القرآن ، و لكن أشار الى بعضها هنا لتكتملالصورة ، و لكي لا يقتصر الحديث عن الحقوق في إطار الاسرة الصغيرة ، بل تتعداها الى الاسرة الكبرى و هي المجتمع.

و الحقوق الاجتماعية هي:

حرمة المال ، حرمة الدم ، و الوفاء بالعقود ، و تكافوء الفرص ، و احترام الميزات...

و تحدث القرآن أولا عن حرمة المال (احترام الملكية الخاصة) ثم عن الدم ، لان الاعتداء على المال هو السبب المباشر للاعتداء على النفس غالبا.

وبين القرآن ان المحرمات الاجتماعية هي أهم و أكبر ذنب من المحرمات الاخرى ، وأن الذي يتجنبها يكفر الله عنه سيئاته الاخرى ، ذلك لان الالتزام بهذا الجانب من الدين أصعب كثيرا من الالتزام بالجوانب الشخصية ، و لذلك تجد الكثير من الناس يفرغون الدين من محتوياته الاجتماعية تماما ، فأختص التحذير من قبل الله بهم...

و في الآية الاخيرة ذكرنا الله بالارث ، باعتباره سببا من أسباب التفاضل في المجتمع المسلم...

بينات من الآيات
حرمة المال و النفس:

[29]الانسان محترم ، و يحترم كل ما يمت بصلة اليه ، و المال جزء من جهد الانسان ، و بالتالي جزء من الانسان و الاعتداء عليه حرام لانه إعتداء على كرامته ، ومن يعتد على كرامة الناس فلا بد ان يستعد لاعتداء الآخرين عليه ...

لذلك تجد التعبير القرآني يوجه الخطاب للجميع ويأمرهم باحترام حقوق بعضهم ويقول:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل]لانه لو لم تحكم قيمة الاحترام المالي أوساط المجتمع ، فإن كل فرد سوف يعاني من الاعتداء في يوم من الايام ، إذن لندع أكل الاموال بالطرق

الباطلة...

والطرق الباطلة هي كل ما ترفضه قيم الدين ، ولا تكون خاضعة للتجارة المراتضى عليها ، فأكل الاموال أما بالقمار أو بيع الخمر و المخدرات ، أو بالاحتيالو الســرقة و النهب باطل و حرام ، والاستثناء الوحيد هو التجارة بتراض و تعني أمرين:

الاول : أن تكــون تجــارة ، أي تدويرا للمال بالطرق المشروعة (البيع ، الايجار ، الرهن) فلا يجوز أكل الاموال غصبا أو احتيالا.

الثاني : أن تكون هذه التجارة بعيدة عن الاكراه ، و الجبر ، أو الغش ، و الخداع ، لان ذلك يفقد شرط التراضي...

وهذه القاعدة توضح ان كل العقود التجارية التي يتراضى عليها الطرفان صحيحة حسب الرؤية الاسلامية ، إلا إذا خالفت شرطا أكيدا من الشروط المبينة في الدين)كالتجارة بالحرام) مما يعطي التشريع الاسلامي مرونة كافية لمواكبة تطور الحاجات الاجتماعية.

]إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم [

وبعد المال ياتي دور النفس ، التي تبقى مصونة إذا حافظنا على الحقوق المالية المتبادلة ، فالغني الذي يحافظ على حقوق الفقراء لا تتعرض حياته للخطر لانه لا يدع سببا لثورة الفقير وتمرده.

]ولا تقتلوا أنفسكم[

ان الانسان لا يصل الى درك الاعتداء على الانفس إلا إذا هبط اليه شيئا فشيئا بسبب الاعتداء على الاموال ، حيث يخلق في ذاته الكراهية و القلق وحب الجريمة ، وكثيرا ما ينساق الى جريمة الاعتداء على النفس لتعبيد الطريق أمام أعتدائه على المال.

]ان الله كان بكم رحيما[

فحرم عليكم الاعتداء على المال و النفس ليرحمكم ، و ينجيكم من عذابعضكم.

[30]ومن يعتدي على حقوق الناس (أموالهم و أنفسهم) اعتداءا مع سبق الاصرار ، و يقوم فعلا في إغتصاب حقوق الآخرين ، فإن الله يعذبه عذابا أليما...

]ومن يفعل ذلك عدوانا و ظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا]إجتناب الظلم غفران الذنب :

[31]إن الظلم الاجتماعي أشد الظلم ، وان إجتناب هذا الظلم يشفع للانسان في سائر سيئاته ، فمن لا يصلي ولكنه لا يعتدي على الناس في أموالهم و أنفسهم قد يشفع له التزامه بحقوق الناس في غفران ذنبه ، لان الهدف الاسمى من الصلاة زيادة الايمان و احترام حقوقالناس ، أما من يصلي و يأكل أموال الناس أو يقتلهم فإن صلاته لن تنفعه ولن تشفع له...

أن عمل الانسان الصالح يشفع له في عمله السيء ، ولكن بشرط أن يكونالعمل الصالح أكبر من السيئة ، قال الله تعالى : (ان الحسنات يذهبن السيئات. (

]إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه[

مثل الشرك بالله ، و ظلم الناس ، و قتل النفس المحترمة و ... و ... الخ..

]نكفر عنكم سيئاتكم[

أي نسترها بعملكم الصالح ، حتى لا تحاسبوا عليها تماما كما يكفر الفلاح البذرة في الارض ويجعلها تحت التراب...

]و ندخلكم مدخلا كريما[

ذلك المدخل الكريم هو الفلاح في الدنيا ، و السعادة في الآخرة ، ذلك ان الانسان الذي يسيطر على أهوائه في الذنوب الصغيرة يوفقه الله للسيطرة على ذاته في الذنوب الكبيرة فتكون حياته كريمة ، و الحياة الكريمة هي التي تتوفر فيها الحاجات الجسدية و النفسيه معا، وهذه الحياة سوف تساعد صاحبها على بلوغ الجنة.

و المدخل : الباب الذي يدخل الله عباده منه.

لا تحسد الآخرين:

[32]من عوامل الشقاء البشري الحسد ، وهو صفة نفسية نابعة من قصر الرؤية و ضيق الصدر ، حيث يزعم الانسان ان نعم الله محدودة ، وان فرص الحياةقد انتهت..

ولذلك فهو يتمنى لو يفقد الآخرين النعم ليحصل هو عليها ، بينما المفروض أن يفكر في الحصول عليها كما حصل أولئك عليها بالطرق المشروعة...

و بالطبع يسبب الحسد عقدا نفسية مؤلمة تنعكس على السلوك فإذا بصاحبها يحاول مع الآخرين من التقدم و الاستمتاع بالحياة.

ان التاجر المحتكر ، و السلطان الديكتاتور ، و الرئيس المستبد ، و العالم العنيد ،و الفقير الكسول الذي لا يفتر عن إجترار الآهات ، انهم جميعا حساد يريدون إستلاب ما في أيدي الناس.

ويضع الله لهؤلاء علاجا نفسيا عبر النقاط التالية:

إن الله هو الذي فضل الناس بعضهم على بعض ، و الله عادل لا يظلم ولا يسأل عما يفعل.

ان الله لم يفضل أحدا إلا بما أكتسبه بجهده ، سواء كان رجلا أو إمرأة ، وأنت إذا أجهدت حصلت على ذلك الفضل مثله.

فبدلا من تمني ما عند الناس لماذا لا تتمنى ما عند الله ، و تتحرك أنت أيضا كما تحرك اولئك الذين فضلهم الله وتجهد نفسك ، و الله يعلم جهدك و يعطيكمثلما أعطاهم.

]ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما]وإذا أستطاع المجتمع أن ينطلق من قاعدة تكافوء الفرص ، و الاعتقاد ، بأن كل من يعمل يحصل على نصيبه فإن تناحره و تباغضه يتحول الى تنافس بناء يخدم المجتمع.

الارث عامل تفاضلي:

[33]وقد لا يكون الفرد قد اكتسب شيئا بنفسه ، ولكنه ورث والده الذي حصل على المال بجهده ، وقد فضل الله الابن على الآخرين في الرزق كرامة لأبيه ، و تشيجعا له و للآخرين أن يعملوا و ينشطوا في

الانتاج.

من هنا عاد القرآن وذكر الارث باعتباره من عوامل التفاضل الاجتماعي وقال:

]ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون[

أي أورثنا كل انسان مواليه الذين هم أولى الناس به ، وتشجيعا له على العمل وبذلك أعطينا تركة الوالدين والاقربين لألصق الناس بهم.

]والذين عقدت أيمانهم فآتوهم نصيبهم[

وهذه الفئة هي التي تمت للعائلة بصلة عن طريق عقد التحالف ، فأمر القرآن ان يعطى لهم نصيب من الارث حسب التعاقد . وتسمى هذه الفئة بـ (ضامن الجريرة (وهي ترث و تورث حسب الاتفاق.

وفي الوطن الاسلامي الكبير حيث ينفصل الكثير من الناس عن مواطنهم الاصلية ، فيحتاجون الى أسرة ينتمون اليها و يتبادلون معها الحب و التعاون في شؤون الحياة ، هنالك شرع الاسلام قانون التحالف ، وتحدث هنا عن جانبه الاقتصادي حيث يصبح الفرد كواحد من أبناء الاسرة يرثها و يورثها و يضاعف هذا القانون من قوة التحالف و التماسك ، ويجعل للافراد مأوى إجتماعي يلجأون اليه في مواجهة صعوبات الحياة.

ولكن بما ان بعض الناس يمكن أن يخونوا تحالفهم مع هؤلاء الضعفاء ، لذلك حذر القرآن من ذلك وقال:

]ان الله كان على كل شيء شهيدا[

فلا تفكروا في نقض الميثاق ، و نكث الحلف.

الحقوق الاجتماعية في القرآن
هدى من الآيات
بينات من الآيات

لماذا قيمومة الرجل ؟

[34]لابد للمجتمع من التنظيم ، ولابد للتنظيم من قيم تحكمه ، وتحد من طغيانه و تجاوزه ، ويبدأ التنظيم في الاسرة و بالذات في العلاقة بين الزوج والزوجة ، من يقود الآخر ؟

ان اللاقيادة فوضى يرفضها الاسلام ، كما ترفضها الطبيعة ، حيث أن الله خلق الذكر بحيث جبل على حب القيادة ، بينما خلق الانثى وفطرها على الانسجام و الطاعة.

ولذلك حدثت تجاوزات من قبل الذكر في حقوق الانثى ، وجاءت رسالات السماء لتحد من هذه التجاوزات ، ولتضع حدودا حاسمة لقيادة الذكر للأنثى.

من هنا نستطيع أن نؤكد اعطاء الاسلام حق القيادة للرجل داخلالاسرة ليس سوى تقرير للوضع القائم فطريا ، فهو لم يبدع حقيقة بل أقربها تمهيدا لتنظيم القيادة ، وتحديد اطار مناسب لها يمنع الزوج من تجاوزه.

القرآن يسمي النظام بـ (القيام (، ويسمي المنظم بـ (القيـم) و (القائم بالأمر) ، و القائم يبالغ فيه و يقال قوام (مثل ضارب ، ضراب ، صائم ، صوام ، وهكذا) وقد استخدم القرآن هنا كلمة قوام للتعبير عن تحمل الرجال لتنظيم شؤون نسائهم بشكل مستـمر ، ويحمـل هذا اللفظ معنى المسؤولية التامة عن

شؤونهم.

]الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم]ويجيب القرآن على ذلك فيقول بسببين :

(1)بالجهد الذي يبذله هؤلاء ، ذلك الجهد الذي يجعل بعض الرجال أفضل من بعض في المراتب الاجتماعية ، فبعضهم يصبح غنيا ، والبعض فقيرا ، وبعضهم يصبح مفكرا ، والبعض عاملا ... وهكذا وكذلك الرجال أكثر جهدا وأصعب عملا من النساء ، ولذلك تحملوا المسؤولية دون النساء.

ولاننا نقبل تفاضل الرجال فيما بينهم بسبب الجهد الذي يبذله البعض دون الآخر ، فلابد أن نقبل أفضلية الرجال على النساء لذات السبب.

(2)بالعطاء ، فعلى الرجال أن ينفقوا على النساء ، بل أن طبيعة الرجال وفطرتهم الصافيةي تدفعهم الى الانفاق على النساء ، وقد بين التشريع السماوي هذه الطبيعة ، وفرض على الرجال الانفاق على النساء.

وبكلمة : المسؤول (و القائد و المنظم) يجب أن يكون الأكثر جهدا و الأكثر انفاقا من النساء ، ولذلك فهم المسؤولون الطبيعيون عن الاسرة ، وسوف يفقدون هذه المسؤولية بقدر توانيهم عن العمل أو العطاء.

وإذا كانت القيادة للرجال ، فعلى النساء الطاعة ، فالمرأة الصالحة هي الأكثر طاعة لله و لزوجها ، والأكثر حفظا لفرجها الذي أختص به الزوج ، ولقد زود الله المرأة بالحياء الفطري و العلاقة الرقيقة بالزوج ، وأمرها بأن تحفظ نفسها عن التعلق بغير الزوج وقال:

]فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله[

حافظات للغيب : أي تحفظ نفسها عن الزنا في غياب الزوج.

أما إذا تجاوزت المرأة حدها ، ولم تطع الزوج في حقوقه ، بل بدأت تنظر فيما وراء حصن الزوجية ، هنالك يعطي الاسلام الحق للزوج بأن يفرض النظام على مملكته داخل البيت بالقوة المتدرجة ، فيبدأ بالنصيحة ، ثم يبتعد عنها في الفراش ليشعرها بالوحدة ، ثم يضربها ضربا خفيفا (وقد جاء في الحديث يضربها بالمسواك) كل ذلك ليعبر عن انزعاجه وغضبه من تصرفاتها . ويبدو ان المرأة العادية تستجيب لهذه العقوبات ، وعليه فلابد للزوج ان يقتصر عليها ، ولا يستخدم العقوبات في فرض الظلم في البيت ، بل فقط في فرض الحقوق ، و ليعلم الزوج ان الله أكبر منه ، وأنه لو ظلم الزوجة فإن الله سوف ينتصر لها.

]واللائي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن في المضاجع وأضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا]متى تبدأ مسؤولية المجتمع ؟

[35]متى تنتهي حدود القيادة التي منحت للزوج ، وتبدأ مسؤولية المجتمع حين يكون الخلاف بينهما حادا وجذريا ، فلم يكن الخلاف في بضعة حقوق تقصر فيها الزوجة ، بل تهم متبادلة و حقوق ضائعة ، هنا لا يجوز للزوج أنيفرض وجهة نظره على البيت ، و يضيع حقوق الزوجة.

بل لابد أن يتدخل المجتمع قبل ان ينتهي الأمر الى الطلاق ، وذلك بأن يبعث أهل الزوج وأهل الزوجة حكمين يتفاوضان في الأمر ، فإذا توصلا الى حل فرضاه على الزوجين ، وعلى هذين الحكمين أن يخلصا نيتهما حتى يجمع الله بهما بين الزوجين مرة أخرى ، وأخلاص النية هو إرادة الاصلاح حقيقة.

]وان خفتم شقاق بينهما فأبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا]كيف تكون علاقاتك الإجتماعية ؟

[36]المجتمع الاسلامي يبنى على قاعدة التوحيد و التحرر ، فهو لا يؤمن الا بالله ، ولا يسلم الا لمنهجه ، ولا يعترف بأية قوة ضاغطة أو عقبة في طريق تطبيق شرائع الله.

عبادة الله هي التسليم له ، وتفجير كل الطاقات وتوجيهها في قنوات منهجه.

و الشــرك بالله هو الخضوع لأية قيادة أخرى أو أية قوة اجتماعية من دون الله.

فالتسليم للوالدين بصفة مطلقة و أتباعهما بلا قيد أو شرط ، شرك و عبودية لغير الله ، وعقبة في طريق تقدم الانسانية وتطورها.

و التسليم للأسرة مثل التسليم للوالدين شرك و عبودية ، و التسليم للأغنياء شرك و عبودية و عقبة ، و التسليم لرجال الكهنوت ، أو رجال العلم شرك و عبودية و عقبة.

و المجتمع المسلم متحرر من كل ذلك التسليم ، و مسلم و جهه لله الواحدالقهــار ، ويــردد مع إبراهيم - الأب الروحي لكل المجتمعات التوحيدية الخالصة - يردد : (إن صلاتي ونسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين. (

وفي هذه الآيات والآيات التي تأتي يبين القرآن نوع العلاقة التي يجب ان تحكم علاقتك بالناس ، ابتداء من أقاربك و انتهاء برجال الدين ، و مرورا بالمحرومين و الأغنياء.

ويبدأ القرآن حديثه بالنهي عن علاقة الشرك ، التي تعني التسليم المطلق ، و الأمر - بديلا عنه -بعلاقة الاحسان فما هي هذه العلاقة ؟

انها علاقة العطاء من اليد العليا ، لا العطاء وأنت صاغر مكره ، والفارق بينهما : أنك في حالة العطاء باليد العليا لم تفقد شخصيتك ، ولم تتنازل عن عقلك وأرادتك و أستقلالك و حريتك ، أما في الصورة الثانية فإنك قد هبطت الى درك العبودية.

ان الذين يطيعون أباءهم بعلة انهم آباؤهم سواء كان هؤلاء مهتدين أو ضالين لا يعقلون شيئا ، وهؤلاء ينطلقون في عبادتهم من الضعف و الهزيمة ، وبالتالي يفقدون صفة الانسان ، و يتحولون الى آلة صماء تتحرك بلا ارادة.

أما الذين يحسنون لآبائهم دون أن يطيعوهم طاعة عمياء ، و ينفقون عليهم دون ان يتنازلوا عن حريتهم ، فهم ينطلقون من موقع القوة ، و يحققون أصالتهم ، و يثبتون حريتهم و أستقلالهم بذلك.

من هنا جاءت الكلمة الاولى في هذه الآية تقارن بين العبادة و الاحسان فقالت:

]و أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا]فالعبادة لله و الطاعة له ، و للوالدين و سائر أبناء المجتمع الاحسان.

]و بذي القربى و اليتامى و المساكين[

ذو القربى هم رحمك الذين تشترك معهم في الأسرة أو العشيرة الواحدة ، فعليك أن تحسن اليهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء ولكن دون أن تعبدهم ، وهذا يعني انه لا يجوز لك أن تربط مصيرك بمصيرهم دون أستقلال فكري لانه جاهلية و شرك ن ودون أن تخالف النظام الاسلاميفي تاييدك للأقارب ، ولا أن تنصرهم ضد المظلومين ، و تجادل عنهم في الباطل ، كما يفعل الجاهليون الجدد اليوم في مجتمعاتنا الفاسدة.

ان النظام العشائري مطلوب في المجتمع الاسلامي ، بشرط أن يكون اطارا للتعاون البناء ، و التفاعل الفكري و الاجتماعي ، دون ان يكون وسيلة للعصبية ، وسحق حقوق الناس ، و تجاوز قيم الرسالة.

وبعد الأقارب يأتي اليتيم ، وعلى أبناء المجتمع الا يحسبوا اليتيم فقيرا أو مسكينا يحتاج الى دعمهم المادي فحسب ، بل عليهم أن يغدقوا عليه من حنانهم كما لو كان قريبا من أقاربهم ، ولذلك فصله القرآن عن المساكين.

وفي المرحلة الثالثة يأتي المسكين وهو الذي أسكنه الفقر ، ويجب أن تكون علاقتك بالمسكين هي علاقتك بالوالدين العطاء دون خضوع أو تسليم ، كما هي ذاتها علاقتك مع الأغنياء بلا فرق.

اما المرحلة الرابعة فيأتي دور الجار القريب ، و الجار الملاصق ، وإذا كانت العلاقة بين الجيران (و الذين كان تربطهم القرابة قديما في الغالب) علاقة الاحسان ، سهل التعاون بينهم ، و تحولوا الى قوة بناءة داخل المجتمع المسلم.

ذلك إن المجتمع المسلم يستفيد من كل العلاقات الطبيعية كالقرابة و الجوار وغيرهما من أجل تأصيل جذور المجتمع في أنفس الأفراد ن و تحويلهم الى كتلة صخرية تقاوم الانحرافات ولكن بعد أن يهذبها تهذيبا كاملا.

]و الجار ذي القربى و الجار الجنب [

و الجار الجنب : أي الملاصق.

ثم تأتي مرحلة الزمالة سواء كانت في الطريق ، أو في الدراسة أو في الشغل ، انها إطار جيد للتعاون البناء ، بيد أن المشكلة هي حب الذات و البخل و الشـــح النفـــسي ، مما يشكل عقبة في طريق التعاون ، والاسلام يأمر بتصفية هذه العقبة عن طريق الاحسان.

فانك حين تحسن الى صاحبك بالجنب) زميلك) . فإنك سوف تكسبه وتكسب وده وتمهد الطريق لتعاون بناء.

]و الصاحب بالجنب[

و الغريب الذي فقد ماله علينا ان نضيفه ونعينه حتى يعود الى بلده ، ومما ملكت أيدينا من اسراء الحرب علينا أن نحسن اليهم ، فلا نتعالى فوقهم بالباطل لمجرد أننا أرفع درجة منهم في المجتمع.

]و أبن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا]البخل مرض الأغنياء:

[37]الجبل الراسي ينحدر منه السيل بقوة وأندفاع ، ولكن دون أن تتأثر صخوره الصلبة بأمواج السيل أو بهديره ، كذلك المؤمن ينحدر منه الاحسان البكل جوانب الحياة ، ولكن دون أن يسبب الاحسان في ضعفه أو أستسلامه.

المؤمن لا يتعالى على الفقراء ، وفي ذات الوقت لا يسمح أن يتعالى عليه الأغنياء ، ولا يخضع لرجال العلم ولكنه لا يمنع نفسه فضلهم ، بل يحسن اليهم كما يحسن الى الفقراء دون فرق.

أما الأغنياء الذين يريدون أن يفرضوا عليه سلطانهم ، فالمؤمن يثور عليهم ولا يخضع أبدا لما لهم ، ولا يخشى عقابهم.

ولكن بما ان أغلب الأغنياء يفرضون سلطانهم على الضعفاء بشكل أو آخر ، فإن القرآن بدأ حديثه عن سلبيات هذه الطبقة لاسقاطها في أنظار الناس ، الا إذاالتزموا بشروط الطاعة لله و الرسول و القيادة الاسلامية ، و الانفاق في سبيل الله بأخلاص تام ، وقال : (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا(

]الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله [المختال : هو المغرور بثروته أو

أي ميزة اخرى له ، و الفخور هو المتظاهر بهذه الثروة و المتكبر بها على الناس ، وهذه الصفة النفسية ناشئة من الشعور بالضعف و النقص ، و محاولة جبران هذا الشعور بالاختيال والفخر و التكبر.

ان الانسان يختال بنعم الله عليه ، و يتطاول على الناس بها ، و الطبقة الغنية هي الأكثر تعرضا لخطر هذه الصفة . أما الممارسات السلوكية التي تفرزها هذه الصفة السيئة فهي البخل ، لأن المختال بماله يخشى ان ينفلت المال من يديه فيفقد شخصيته ، ولذلك يحرض علىالمال حرصه على حياته و شخصيته و كرامته ، و يعتبر المال القيمة الوحيدة في حياته.

ولكن البخيل المختال بماله سرعان ما يكتشف ان الذين ينفقون أموالهميكتسبون شهرة واسعة و علوا عند الناس ، فيبدأ ينهى الناس عن الانفاق حتى يصبحوا مثله ويجعل رسالته في الحياة الصد عن سبيل الانفقاق.

وحين يشتد ضغط الناس عليه بضرورة الانفاق ، تراه يكتم عن الناس ثرواته و يتظاهر بالفقر ، وفي بعض الحالات يكتم المختال ثروته خوفا عليها ، و حفاظا لها عن أعين المنافسين.

ويقع البخيل فيما هرب منه ، أو ليس هرب من الفقر وما فيه من صفة أجتماعية و قيود مادية ، فها هو عاد فجلب الى ذاته كراهية الناس ، كما قيد نفسه عن الانفاق ، و كتم نعم الله عليه ولم ينتفع بها ، أوليس هذا فقرا أشد ألما من عدم الفقراء ومسكنة الصعاليك ، منهنا جاء في الحديث : (البخل فقر حاضر(

وينهي القرآن الآية بهذه الكلمة:

]وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا[

للايحاء بأن كتمان نعم الله ، و البخل بها ، و الاختيال و الفخر ، انما هي كفر بالله ومما آتاه الله للانسان من نعم الحياة ، وبالنسبة للمختال يهيء له الله عذابا مهينا ، جزاء تطاوله على الناس و تكبره عليهم.

المرائي شيطان ناطق:

[38]بلى طبقة الأغنياء تنفق المال ولكن لمن ؟ ولماذا ؟

انها تنفق المال لأولئك المتملقين الذين يكيلون لهم الثناء الباطل بغير حساب ، ويزينون للناس صورتهم القبيحة ، وهم يقصدون من وراء ذلك امتاص المزيد من جهد الناس و حقوقهم.

وهذه الطبقة المتملقة يسميها القرآن هنا شيطانا لأنها تخدع صاحبها وتضله عن الصراط وتزين له أعماله السيئة ويقول:

]والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا][٣٩] ولنتساءل من هؤلاء ؟ ولماذا يكفرون بالله ولا ينفقون أموالهـم الا رياء ؟ أو ليست هذه الأموال نعم الله عليهم ، أولا ينبغي لهم شكر الله على نعمه بالايمان به والانفاق في سبيله ؟ وما الذي يخشى هؤلاء من الايمان والانفاق ؟ هل يخشون أن يسلب الله نعمه عنهم لو أنفقوها في سبيله ؟ أم يخشون ان لا يجازيهم عليها ؟

]وماذا عليهم لو ءامنوا بالله و اليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما][٤٠] [إن الله لا يظلم مثقال ذرة[

فهو يجازي الناس بالضبط ، وإذا كفر شخص بقدر وزن ذرة صغيرة ، فإنه يجازيه بقدر كفره.

أما إذا أحسن بهذا القدر فهو ليس يجازيه فحسب ، بل ويزيد له من رحمته.

]وإن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما[

يضاعفها في الدنيا ، و يجزي عليها بثواب عظيم في الآخرة.

من هو القائد ؟

[41]طبقة الأغنياء تتعالى على الناس بالباطل ، و تتعالى على القيادةالشرعيــة ، وتحــاول التمرد عليها خصوصا في أعطاء حقوقها من الضرائب الشرعية.

من هنا جاء ذكر الرسول (ص) باعتباره القيادة الشرعية ، و بين الله ان الرسول (ص) هو القائد الحقيقي للناس ، فإذا لم يطعه شخص في الدنيا فإنه في الآخرة شهيد عليه ، وهنالك يتمنى هذا الشخص انه كان تحت التراب ولم يعص الله ، ويكتم نعم الله عليه و يقول كذبا أن ليس لله عليه حقوق كما تفعل طبقة الأغنياء.

]فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا][٤٢] يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا]تسوى بهم الارض تعبير رائع للدلالة على أنهم يودون لو كانوا تحت التراب بحيث لا يبقى لهم أثر ظاهر عليه.

مسؤولية العلم و خطر الانحراف

هدى من الآيات

الآية الاولى تتناول التطهر و تثير هذا السؤال : لماذا هنا بالذات بين القرآن موضوع الطهارة الجسدية ؟ ألم يكن من الأولى أن تتحدث عنها ضمن آيات الصلاة مثلا ؟

الجواب بالاضافة الى طبيعة التفاعل بين الطهارة الجسدية) موضوع الآية) و الطهارة الروحية (موضوع الآيات السابقة واللاحقة) فإن هناك جانبا أساسيا آخر يبينه لحن الفاظ القرآن هو الجانب الاجتماعي من الطهارة ، حيث يتحمل الانسان مسؤولية النظافة رعاية لمشاعر الآخرين ، فحين يدخل المسجد ويتواجه مع المجتمع فيه عليه أن يكون نظيفا من السكر والجنابة ، فحتى لو لم يستطع التطهر بالماء ، فعليه أن يتطهر بالتراب ليرفع عن نفسه قذرات الجنابة أو الغائظ.

وبعد الحديث عن هذه المسؤولية يتناول القرآن مسؤولية العلم ، باعتباره أداةفعالة لبناء المجتمع إذا استخدم بأمانة ، أو هدمه لو خان صاحبه الامانة.

وعلم الدين هو أبرز مظاهر العلم ، وهؤلاء الذين يدعون علم الدين (وهم في الواقع لا يعرفون منه الا قليلا) و يخونون أمانة العلم في أعناقهم من أجل مصالح عاجلة و زهيدة ، هؤلاء يضلون الناس بدل أن يهدوهم ، و يحرفون كلام الله ، و ينافقون مع رسله ، و عاقبة هؤلاء لعنة في الدنيا و عذاب في الآخرة ، حيث تنحرف عنهم الجماهير في الدنيا ، ويحاسبهم الله في الآخرة حساب المشركين.

ومن صفة هؤلاء أنهم يزكون أنفسهم ، ويجعلونها فوق الجميع ، ويكذبون على الله ، و يفضلون قيادة الظلمة (الطواغيت) على قيادة الله ورسله.

ومن صفاتهم السيئة أنهم بخلاء ، ويستغلون مناصبهم في بلاد الطواغيت ، من أجل التسلط على الناس وتحديد حرياتهم ، وابتزازهم حسدا و بخلا.

هذه بعض الصفات التي يبتلى بها هؤلاء المثقفون الذين يخونون أمانة الكتاب ، فيحرفون فيه لقاء دراهم معدودة.

بينات من الآيات
الاغتسال زكاة الجسد:

[43]الوضوء أو الاغتسال يهيئان المؤمن نفسيا وجسديا للدخول في محراب العبادة ، فالذي يخوض في معارك التجارة ، أو صراع العمل الشاق ، يحتاج الى بعض الوقت حتى ينقطع عن مؤثرات التجارة ، و آثار العمل ، و يستعد للقاء ربه . و الوضوء أو الغسل يعطيه هذاالوقت ، ويعزله مؤقتا من صخب الحياة ، و يعطيه فرصة للتفكير الجاد في مجمل أحداث الدنيا بوعي وتعقل.

وبالاضافة الى هذا الاعداد ، فان الغسل و الوضوء يعطي المؤمن أناقة تساعد على تبادل الحب مع أخوانه ، و التعاون معهم على البر و التقوى.

مظهر الشخص الذي لا يزال النعاس يملأ عينيه ، و الرائحة تتصاعد ن حلقه ، وتكسو وجهه آثار النوم والكسل ، إن هذا المظهر لا يساعد على التعاون و تبادل الحب بين المسلمين.

و كذلك الذي يحمل في جسمه آثار المعاشرة الجنسية ، أو قذراة الحاجة الطبيعية انه مظهر كريه ، و ان دل على شيء فانما يدل على اهانة الاخرين ، و عدم القيام بواجب احترامهم.

من هنا بين القرآن في مجال حديثه عن المسؤوليات الاجتماعية ، واجب الاغتسال والوضوء أو التيمم وقال:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى]الصلاة عادة تكون في المساجد وبشكل جماعي ، فالاقتراب منها اقتراب من الاخوة المؤمنين ، ويدل على ذلك قوله بعدئذ (الا عابري سبيل) أي عابري السبيل من خلال المساجد.

والسكر هنا قد يكون سكر النوم ، أو سكر الخمر قبل أن تصبح حراما ، اما بعد أن أصبحت محرمة فان اقتراب المخمور من مجامع المسلمين يعتبر أشد حرمة ، لأنها اهانة لمقدسات الامة.

ويرتفع سكر النوم بالوضوء حيث يعود الى الفرد رشده ويصبح كلامه بوعي كامل ، ويتجنب المسلمون النزاعات التافهة التي تنشأ بسبب النعاس وابتداءالكلمات الشاذة من بعضهم ، أو التي تنشأ بسبب فقدان الوعي بالخمر ، لذلك أكد القرآن على أن الوعي شرط مسبق لمن يريد أن يقرب الصلاة وقال:

]حتى تعلموا ما تقولون[

ثم بين ضرورة التطهر من الجنابة باعتبارها قذارة جسدية ونفسية ، ذلك أن التعامل مع المسلمين ، أو مناجاة الله لا تكون مع جو المعاشرة الجنسية ، بما فيها من انغماس في الشهوة ، وأبتعاد موقت عن الحياء الانساني.

من هنا جاء الغسل ليكون تطهيرا للجسد من قذاراة الجنابة ، واعدادا للروح للدخول في مجالات انسانية أخرى.

]ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا[

ان الجنب لا يدخل المسجد الا بصورة عابرة ، يدخل من باب ليخرج من باب آخر ، كما لا يحضر تجمعات المسلمين الاخرى الا بشكل عابر.

وفي صورة تعذر الوضوء أو الغسل ، على الفرد أن يستخدم التراب أداة لتطهير جسمه واعداد نفسه ، فإن التراب طهور يكفي صاحبه عشر سنين إذا استمر عذره.

]وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم الناس فلم تجدوا ماء فتيمموا

]أي توجهوا الى الارض.

]صعيدا طيبا[

منطقة نظيفة من الاقذار.

]فأمسحوا بوجوهكم وأيديكم[

من ذلك الصعيد بعد أن تضربوا فيه أيديكم ، وتمسحوا بها على الجبهة حتى الأنف ، ثم على ظهر الكفين .

]ان الله كان عفوا غفورا[

يسهل عليكم أمر الدين ، ويجعل لكم بدل الماء ترابا تطهرون به أنفسكم.

الضلالة نتيجة الخيانة:

[44]هؤلاء فريق من الناس يخونون أمانة العلم في أعناقهم ، و يشترون بعلمهم متاع الحياة الدنيا ، ولكن هذا المتاع لا يأتيهم الا مقرونا بالضلالة و الانحراف عن الصراط المستقيم ، فرجل العلم الديني الذي يسكت عن جرائم الظلمة لقاء سلامته ، أو في مقابل بضعة دراهم ، لابد أنه يبدأ في تأييد مواقف الظلمة ، وبالتالي يفقد قدرته على التمييز بين الحق والباطل ، بل ويصل الى حد الدعوة الى الباطل الذي يمثله الظلمة.

]ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل [وقد عبر القرآن عن هؤلاء المسمون بعلماء الدين بقوله (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) استخفافا بهم وبعقولهم ، أنهم أنصاف المثقفين وليسوا علماء بالكامل.

الله نصير المؤمنين:

[45]يتظاهر هؤلاء الرهبان والاحبار وعلماء الدين الخونة ، بالصلاح ، وحب الناس ، وطيبة القلب في نصائحهم ، بينما هم بمقياس الله خونة ، ولا أمان لخائن ، إنهم سكتوا عن جرائم الطغاة بحق أمتهم فكيف بالآخرين ؟!

ان الانسان المسلم ذكي ، لا ياخذ الاشياء ببساطة وطيبة قلب ، بل بالتقييم الموضوعي وفق مقاييس الله الذي هو أعلم بالعدو و الصديق.

ويجب الا نخشى من هؤلاء الدجالين المقنعين بقناع الدين ، ولا نقول (قد (يكونون مقربين عند الله ، بل علينا أن نتصل مباشرة بالله وبهداه في تقييم الناس ، وهو يكفينا شر هؤلاء.

]والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا]الولي هو : الذي يلي الانسان في القرب ، أو يلي شؤونه و يقوم بها ، وقد يكون للانسان صديق عاجز ولكن الله ولي ينصر عباده.

كيف تعرف العالم المزيف ؟

[46]وإذا أردنا أن نعرف هذا الفريق من الناس ، فما علينا إلا أن نلقي نظرة على صفاتهم التي من

أبرزها تحريف الكتاب ، وتأويــل آياته في غير معانيها الصحيحة ، فإذا انزلت آية في سلطان جائر حرفوها حتى تنطبق على السلطان العادل ، أو على الشعوب المطالبة بحقوقها . مثلا : يحرفون كلمة الفتنة من معناها الحقيقي الذي يعني الظلم الى معنى الثورة ضد الظلم ، وبدلا من أن يسموا الحكام بالمفتنين ويصدروا بحقهم أحكام القرآن ، تجدهم يؤلون ذلك في الثوار ، فيسمونهم بأصحاب الفتنة.

هؤلاء منافقون ، يميعون قرارات القيادة ، ويبررون مواقفهم الجبانة ببعض التبريرات السخيفة التي لا تعود الى محصل .

]من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع]أي أنهم بعد الاعتراف بالعصيان يحاولون تبريره ، و يطلبون الاستماع لهم ، الا أن أقوالهم لا تستحق السماع.

]وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين[

ان كلامهم واعتذارهم لا ينطلق من منطلق التوبة ، بل من منطلق النفاق ، والتمييع للقرارات ، و المخالفة لها ، و بالتالي الطعن في الدين و أصوله.

وكان الافضل لمصلحة هؤلاء الشخصية ، ولاستقامة حياتهم العامة ، أن يطيعوا الله طاعة تامة ، حتى إذا خدعتهم الدنيا عن الطاعة ، تابوا الى الله و طالبوا بامهالهم فترة من الوقت لكي يطيعوا الله في المستقبل.

]ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وأنظرنا[

اي طلبوا الاستماع الى أعذارهم ، وطالبوا بامهالهم و انظارهم ، حتى يطبقوا القرارات في المستقبل.

]لكان خيرا لهم وأقوم[

أي أكثر نظما لحياتهم (مقتبس من القيام بمعنى ما يقوم به الشيء. (

ويبقى سؤال : لماذا خالف هؤلاء أوامر الله ؟

الجواب : لأنهم يكفرون بالله في واقع أمرهم ، بالرغم من ايمانهم الظاهر ، و الله يبعد الكفار عن رحابه.

]ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا[

ما هو مصير الخونة ؟

[47]والمصير الذي ينتظر هؤلاء الخونة من علماء الدين ، أنهم يفقدون ثقة الجماهير بهم ، وكأن وجوههم قد طمست معالمها ، و أصبحت صفيحة ممسوخة لا تعرف ، و يعودون الى حالة ما قبل العلم ، و كأنهم لم يحصلوا على علم الدين أبدا.

وبالاضافة الى ذلك فإنهم ملعونون ، ينزل عليهم صاعقة من قبل الله ، كما فعل الله بالذين عصوه في تعطيل يوم السبت ، فتحولوا الى قردة وخنازير وهكذا يفعل الله بالخائنين.

]يا أيها الذين أوتوا الكتاب ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا]الشرك نهاية المطاف:

[48]والنهاية المأساوية التي قد يصل اليها هؤلاء : هي الشرك بالله ، وذلك بالاستسلام للطواغيت.

وتمهيدا للحديث عن ذلك بين القرآن حقيقتين:

الاولى : ان الشرك افتراء عظيم على الله ، وان الله لن يغفره.

الثانية :أن هؤلاء يزكون أنفسهم بأستمرار ، ويجعلونها مقياسا للحــق و الباطل ، ولذلك لا يقبلون الانتقاد ، ولا هم يقيمون أنفسهم و يحاسبونها بدقة و موضوعية ، و طبيعي في هؤلاء أن تنتهي مسيرتهم الضالة الى الشرك.

]ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء]أي ان الله ذو المغفرة الواسعة ، ومع ذلك لا يغفر للمشركين.

]ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما[

بالرغم من ان الشرك كذب عظيم ، ولكنه في الواقع ممارسة عملية لهــذا الكــذب ، ولذلك فهــو اثــم عظيــم ، من هنا تجد القرآن قد عبر اولا بكلمة) افتــرى) (الدلالة) على الجانب النفسي و الفكري في الكذب ، ثم عبر) اثم) للدلالة على الجانب العملي منه.

الله مقياس الحق:

[49]ومن صفات هؤلاء تزكية أنفسهم ، وجعلها مقياس الحق والباطل ، وبينما الصحيح ، أن يجعل الانسان ربه مقياسا لذلك ، فيقيم ذاته حسب قيم الله و أوامره.

]ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء]و الله عادل في تقييمه للبشر ، ولذلك يجب الا يتدخل البشر ذاته في هذا المجال خوفا من الحاق الظلم به.

]ولا يظلمون فتيلا[

أي بمقدار الخيط الموجود في شق نواة التمر.

[50]و تزكية الذات هي افتراء على الله ، و ادعاء عليه بأنه قد طهر هؤلاء من الذنوب ، و عصمهم من الزلل.

وهؤلاء الخونة من علماء الدين لا يتورعون عن هذا الكذب ، وهو اثم واضحاذ يسبب في افساد المقاييس والقيم ، وتشويش الرؤية ، ودفع الناس الى الضلالة.

]أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا]ان الفرية على الله تكفي اسقاط صاحبها عن الاعتبار ، وسحق شخصيته الاجتماعية.

شروط قيادة العلماء

هدى من الآيات

لكي لا يتلاعب رجال الكهنوت بمقدرات الامة بالاتفاق مع الانظمة الفاسدة ، سحب كتاب الله الثقة بهم بوجه مطلق ، وحدد شروطا معينة (تدل عليها الآيات بصورة غير مباشرة) إذا وجدت في علماء الدين جاز للأمة إتباعهم ، والا وجب عليهم الثورة ضدهم دون ما وازع منالخوف أو الحياء.

ومن تلك الشروط:

أولا :محاربة الطغاة والوقوف ضد ظلمهم للناس ، أما إذا ارتمى علماء الدين في أحضان الانظمة الفاسدة ، وءامنوا بها وزعموا أنها أهدى سبيلا من المعارضين لهم ، المؤمنين بالله ، فإنهم يسقطون من أي اعتبار ، بل تلاحقهم لعنة الله وعذابه.

ثانيا : حب الخير للناس جميعا ، و طهارة القلب من الحسد ، و التسليم للحق حتى ولو كان عند منافسيهم من العلماء ، وحب الخير للناس . أما علماء السوء فهم بالعكس ، إذا وصلوا الى أعتاب السلطات ، ضاقت أنفسهم و حاولوا منعالسلطات من كل خير حسدا وضعة و بخلا ، يتحاسدون بينهم ، ويستعينون بالسلطات على بعضهم البعض ، ولا يؤمنون بأن الله يقدر للعباد الرزق ، وعليهم أن يجتهدوا بأنفسهم للحصول على فضل الله ذلك الفضل الذي أعطاه ربنا لآل إبراهيم فحسدهم البعض عليه ، واخذوا يصدون الناس عنه صدودا .

وجزاء من يصد عن الهدى حسدا ان يذيقه الله عذاب نار أليمة ، أما جزاء من يحارب الحسد في ذاته ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن برسله ، ويعمل صالحا ، فإن جزاءه الجنات الطيبة.

بينات من الآيات
طاعة القيادة الرسالية واجب وضرورة
هدى من الايات

بعد الحديث عن مسؤولية المال و العلم الاجتماعية ، و دورهما في إصلاح أو افساد المجتمع ، وبعد ضرب القرآن لقيمة العلم والمال ، إلا إذا حققا هدف الرسالة ، و تحولا الى أداتين في خدمة المجتمع ، بعدئذ يتناول القرآن مسؤولية السلطة ، فهي الاخرى ليست قيمة بذاتها إنما هي وسيلة لتحقيق العدالة ، التي تعني حصول كل شخص على حقه كاملا غير منقوص.

وهذه القيمة يحققها سلطان الله في الارض المتمثل في قيادة الرسول (ص) ، و أولي الامر من بعده الذين يجسدون رسالته ، وقد كانوا هم أهل بيته ، أما الان فهم حملة رسالة الله في الارض بكل معنى الكلمة.

و السلطات الاخرى تمثل الطاغوت الذي يدعمه الشيطان وقد أمرنا بالكفر به و التمرد عليه.

ومخالفة الرسول و أولي الامر من بعده هي من عمل المنافقين ، الذين سوف يكتشفون ان قيادة الرسول أفضل لهم ، وذلك حين تنزل عليهم المصائب بسبب انتمائهم الى سلطات الطاغوت ، وعلى الرسول أن يستغل الفرصة و يعظهم.

كل رسل الله جاؤوا ليتسلموا قيادة الناس ، واذا عاد الناس الى قيادة الرسل وصححوا مسيرتهم ، لأصلح الله حياتهم ، وغفر لهم سيئاتهم.

أما الذين يخالفون رسل الله ، فإنهم ليسوا بمؤمنين ، لانهم يخالفون بذلك هدف الرسالــة أساسا ، وقيادة الرسول ليست محصورة بالصلاة والصيام ، بل في كل الشؤون ، وعلى المسلم الا يفرق بين الموضوعات ، ويتبع الرسول في القضايا البسيطة فقط ، بل حتى ولو أمره الله بأن يقتل نفسه فعليه أن يطيعه ، لانه ذلك خير له وأقوم.

خير له لانه سوف يحصل بسببه على أجر عظيم ، وأقوم له لأنه سوف يهتدي الى الصراط المستقيم ، وسوف يحشر عند الله مع الصفوة من خلقه ، وهم النبيون والصديقون و الشهداء ، و الصالحون وهذا التطلع الاسمى الذي يجب ان يسعى من أجله الانسان.

ان هذه الآيات أوضحت لنا ضرورة الطاعة للرسول لتحقيق المسؤولية الاجتماعية وهي : العدالة.

بينات من الايات

بين الرقابة الذاتية والاجتماعية:

[58]يجب ان يكون كل شخص واعظا لنفسه ، رقيبا عليها . فلا يفرط فيأموال الناس عندما تكون عنده بل يرجعها اليهم متى تسلمها . وعلى كل مسلم ان يكون واعظا للناس ، رقيبا عليهم فيسعى من أجل اعادة حقوقهم اليهم بالعدل.

]ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا]ان هناك صلة وثيقة بين أداء الامانة و اقامة العدل لان من لا يؤدي حقوق الناس ، كيف يمكنه ان يساعد الاخرين على أداء الحقوق ؟! وبالتالي كيف يمكن ان يصبح رقيبا على العدالة في المجتمع ؟!

ولا يجب ان يكون الحكم بين الناس بصورة السلطة الرسمية ، بل يكون في الاكثر في صورة التعاون الاجتماعي على حل المشاكل القائمة بين بعضهم البعض قبل الرجوع الى المحاكم.

حينما يبدأ النزاع بين شريكين ، فأول ما يصنع كل واحد منهما هو عرض وجهة نظرة على أصدقائه المقربين ، فإذا كان هؤلاء مؤمنين حقا أوضحوا للخاطيء منهما طبيعة خطئه ، وأعطوا الحق لصاحبه ، فيتراجع المخطىء قبل أن يرفع دعوى الى المحكمة أما إذا لم يلتزموا بواجبهم كمؤمنين في الحكم بالعدل ، فإن كل فريق يؤيد صاحبه ويشجعه على مطالبه ، حقا كانت أم باطلا ، فترفع القضية الى المحاكم ، وتبدأ سلسلة المشاكل وهنا نعرف دور الرقابة الاجتماعية على العدالة ومدى تأثيرها في أداء الحقوق.

السلطة وفصل القرار:

[59]ولكن الرقابة الاجتماعية لا تردع كثيرا من الناس من الاعتداء علىحقوق الآخرين ، وهي لا تستطيع ان تكون فيصلا حاسما في كثير من المشاكل المعقدة ، التي يظن كل طرف انه صاحب الحق فيها ، ويورد أدلة كثيرة على ظنه . هنالك نرى ضرورة وجود السلطة الشرعية القوية التي يلتزم الجميع بحكمها ، وهي متمثلة في النبي و أولي الامر من بعده.

]يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم]ان أولي الامر هم الامتداد الطبيعي للرسول ، وهم أهل بيته من بعده ، و العلماء بالله ، الامناء على حلاله و حرامه ، الاكفاء على القيام بامره ، الصابرون المتقون ، وبالتالي هم أكثر الناس طاعة لله ، وأقربهم الى نهج رسوله ، و يتحقق اليوم في حملة رسالة اللهفي الارض انى كانوا.

والهدف من هذه الطاعة هو فض الخلافات بردها الى حكم الله وقضاء رسوله أو أولي الامر من بعده.

]فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا]أي ان رفع الدعاوى الى الرسول خير لكم ، لانه يساعد على فض النزاعات ، وهو أفضل عاقبة في المستقبل ، لانه يعطيكم التلاحم و الرصانة.

طاعة الطواغيت ضلال:

[60]والتحول عن قضاء الرسول الى قضاء حكام الجور من الطواغيت ضلال شيطاني ، اذ أن الله أمر المؤمنين بالكفر بالطاغوت والثورة على سلطانه ، فكيف يجوز التحاكم اليه ودعوته للتدخل في شؤون المؤمنين الداخلية ؟!

]ألم تر الى الذين يزعمون انهم ءامنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا]أصحيح زعم هؤلاء بأنهم مؤمنون وهم

يخالفون أبسط قواعد الايمان ، وهو الكفر بالطاغوت ؟ ويذهبون اليه خاضعين ، أم انه ضلال بعيد ؟

ان الله بعث رسله لكي يذكروا الناس بربهم ، ويعبدوه وحده ، ويتحرروا من عبادة الطاغوت ، فاذا عاد الناس الى الطاغوت إنتهى كل شيء ، ولم يبق الا قشور الايمان.

[61]في حالة الرخاء يبتعد هؤلاء عن قيادة الرسول ، ويبعدون عنها الناس بكل عناد ويلتجأون الى الطاغوت زاعمين انه أفضل لهم ، ولكن سرعان ما يكتشفون ان الطاغوت قد خدعهم وأراد استعبادهم . فيعودون الى الرسول وهم يبررون موقفهم السابق بأنه كان بنية طيبة ، حيث أرادوا خدمة الناس ، وحل الخلافات بينهم ، أو حل خلافات ناشئة من سوء الفهم وليست خلافات مبدئية ؟ وبالطبع ان هذا التبرير باطل وسخيف ، ولكن على الرسول الا يطردهم ، بل ينصحهم بكلام ينفذ في أنفسهم عسى الله ان يهديهم الى الايمان الواقعي.

]واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول]أي عودوا الى كتاب الله و قيادة الرسول.

]رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا [

[62]فكيف اذا اصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم[

أي بالذنب الذي ارتكبوه وهو التحاكم الى الطاغوت.

]ثم جاؤوك يحلفون بالله ان أردنا الا إحسانا وتوفيقا]أي ما كان هدفنا من التحاكم الى الطاغوت (السلطات الظالمة) الا الاحسان الى الناس بسبب قربنا من مواقع السلطة ، و التوفيق بين الناس ، وفض خلافاتهم ، أو تلطيف الاجواء بين السلطات الظالمة وبين انصار الرسالة المناوئين لهم.

] [63]أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم]أي لا تعاقبهم بالذي بدر منهم من التحاكم الى الطاغوت.

]و عظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا[

نافذا من منطلق انهم سوف لا يحصدون من الطاغوت الا الاستعباد والظلم والخيانة ، فعليهم ان يبتعدوا عن الطاغوت ان هم أحبوا أنفسهم.

ان المنافقين يريدون مصالحهم ، ولابد للرسالي ان يوجههم من هذا المنطلق.

هدف بعث الانبياء:

[64]ان الهدف من بعث الرسل ليس سوى تحرير الناس من قيادة الطاغوت ، وتوفير قيادة صالحة لهم ، ولذلك يجب على الناس ان يطيعوا الرسول ، إذسيجدون مغفرة من الله و فضلا.

]وما أرسلنا من رسول الا ليطاع بإذن الله ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوكفاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما]ان الله يتوب على عباده ، وينشر رحمته عليهم ان هم تابوا اليه ، واطاعوا ممثله في الارض وهو الرسول ، وطاعة الرسول تشفع للبشر ذنوبهم الصغيرة إذ أن في ذلك طاعة لله في أعظم ما أمر به ، وان الحسنات الكبيرة تشفع في السيئات الصغيرة ، كما ان السيئات الكبيرة(كالشرك بالله وطاعة الطاغوت) تحبط الحسنات الصغيرة.

مفهوم الشفاعة في القرآن:

ان فكرة الشفاعة الصحيحة هي ، ان الرسول يستغفر لمن يطيعه ، و يتوب اليه باخلاص ، ولا يعني استغفار الرسول لاحد ان الله يغفر له حتما ، كما جاء في نص القرآن : (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. (

وقد رد الله شفاعة نوح في ابنه و استغفار إبراهيم في أبيه.

وهذا هو الفارق بين فكرة الشفاعة الاسلامية و نظيراتها في الديانات الوثنية و المسيحية و اليهودية المنحرفة ، ان الشفاعة الاسلامية لا تعرف الحتمية ، وما هي سوى دعاء الرسول ربه أن ينزل رحمته ، و بالرغم من ان الرسول مستجاب الدعاء ، فإن ذلك لا يحتم على الله سبحانه أن يستجيب للرسول ، بل قد يرفضه رفضا لانه هو الله الحكيم العليم.

اما فكرة الشفاعة أو الفداء عند الوثنية و اليهودية و المسيحية ، فهي آتية من فكرة خاطئة اخرى هي : الزعم بتعدد الآلهة ، و وجود شركاء لله يتغالبون و يتنافسون في شؤون العباد ، و بتعبير آخر : الاعتقاد بفكرة وجود مراكز قوىفي سلطان الكون ، وان كل مركز يستطيع ان يعمل باتجاه معين ، و يجبر ذي العرش (وهو الله سبحانه) على فعل شيء.

هــذه الفكرة مرفوضة في القرآن ، لانها مخالفة لرؤية التوحيد و بصيرة الاحدية ، و أهمية الشفاعة الاجتماعية ، انها تعطي المجتمع الاسلامي مزيدا من التلاحم و الصلابة ، إذ أن الرسول يصبح محورا يستقطب حوله جميع الطاقات ، ليس فقط بدوافع مادية ، بل وايضا بدافع إيماني غيبي.

ومثل الرسول في ذلك أوصياؤه الائمة ، ومن بعدهم القادة الرساليون الذين يستمدون قدراتهم الاجتماعية من إلتفاف الناس حولهم طوعا لا كرها ، كل واحد منهم يامل ان يشفع له القائد عند الله ، و يستغفر له ربه ، وهذا الالتفاف يخدم قضية الامة الاساسية ، وبذلك يستطيع القائد أن يطبق سائر الواجبات الدينية.

وتكون النتيجة وجود مرونة في التشريع الاسلامي ، بحيث تتقدم الاهداف الكبرى على الاهداف الجانبية ، ويكون الوصول الى تلك شفيعة في عدم الوصول الى هذه مؤقتا ، بل و طريقا اليها في المستقبل.

ولنتصور قائدا رساليا يخوض معركة مصيرية مع أعداء الامة ، ويجد شابا مندفعا يطيعه حتى الموت في هذه المعركة ، فلا ريب ان هذا الشاب يعتبر من الصالحين عند الله حتى ولو استخف بالصيام مثلا ، لان طاعته لامامه ، و تضحيته في المعركة المصيرية التي تواجه الامة، قد تشفعان له في ترك الصيام لان الانتصار في المعركة المصيرية سوف يساعد على اقامة الشعائر ومنها الصيام ولكنيجب الا يدفعنا ذلك الى الاستهانة بالواجبات بتبرير قيامنا بالواجبات الاهم ومنها الطاعة للامام ، إذ أن هذه الواجبات قد لا تشفع في تلك وقد لا يستجيب الله دعاء الرسول ، فماذا نصنع ؟؟

ان رفض الاسلام لفكرة الحتمية في الشفاعة تنفع المسلم في عدم التوغل في الذنوب ، كما ان وجود الفكرة أساسا تساعده على الاهتمام بالواجبات الاهم حتى ولو كان على حساب الاقل أهمية.

ان الغموض الذي اكتنف فكرة الشفاعة و الخلافات الكبيرة فيها دفعنا الى الحديث حولها في هذه الاية التي نراها تتحدث مباشرة عن هذه الفكرة ، وكما ترى فانها جاءت في سياق الآيات التي تبين ضرورة الطاعة للرسول ، مما يوحي بأن فكرة الشفاعة ذكرت أساسا لدعم الطاعة للقيادة الرسالية دعما غيبيا .

الطاعة دليل الايمان:

[65]وإذا لم تكن عند المؤمن صفة الطاعة للرسول فماذا يبقى عنده من الايمــان ؟ أليــس الايمــان هو التسليم لله ، وماذا يعني التسليم لو لم تكن الطاعة للرسول ؟ وما قيمة القيادة التي لا تستطيع فض الخلافات بين الناس ؟!

ان الايمان وقر في القلب ، يجعل صاحبه يسلم لله حتى فيما يصيبه من مصيبات ، أو يخالف مصالحه أو آراءه ، فإذا لم يرضى الفرد قلبيا بحكم الله المتمثل في قضاء الرسول في الخلافات الاجتماعية بينه وبين أخوته ، إذا لم يرض بذلك فليس هو بمؤمن أبدا.

]فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهمحرجا مما قضيت ويسلموا تسليما[

فيما شجر : أي فيما يبرز بينهم من خلافات ، الحرج : الضيق ، وهو يتنافى مع الرضا الكامل ، والتسليم هو : التسليم القلبي والعملي.

الطاعة شاملة:

[66]و طاعــة الرســول يجب أن تكون شاملة لكافة القضايا الصغيرة و الكبيرة ، حتى ولو خالفت مصالح الانسان الاساسية.

]ولو أنا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم]هذا القليل هم المؤمنون حقا ، وهم الذين يعملون بالخير و الهداية.

]ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم و أشد تثبيتا]الطاعة بين التأثير و الجزاء:

[67]كيف تكون الطاعة خيرا ؟

انها خير لأن الله يعطي المطيعين أجرا عظيما متمثلا في الدنيا بالنصر ، و التقدم ، و الرفاه ، وفي الاخرة بالجنان الخالدة.

]وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما[

[68]كيف تكون الطاعة أشد تثبيتا ، وبالتالي مؤثرة في دعم ايمان صاحبها و هداه ؟

الجواب :ان الانحراف يحدث عند الانسان بسبب ضغط الشهوات ، فالخوف من الموت ، و حب الوطن و الاولاد و الراحة وما أشبه هو الذي يجعل الواحد منا يفكر بالمقلوب ، و يعكس الحقائق الكونية.

أما لو تجاوز الانسان ذاته في سبيل أهدافه و استعد للتضحية ، فليس هناك أي سبب لانحرافه.

]ولهديناهم صراطا مستقيما[

[69]هذا الصراط المستقيم ينتهي بصاحبه الى الانتماء للصفوة المختارة من عباد الله ، وما أحسن هذا الانتماء!!

]ومن يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا][٧٠] وهذه هي الدرجة الرفيعة التي لا يصل الشخص الى مستواها الا بجهد بالغ ، و بتوفيق من الله ، وليس رخيصا ولا سهلا الحصول على بطاقة الانتماء الى حزب الله الغالب المنتصر.

]ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما[

يعلم سرائر الناس فيقبل انتماء خالصي النية فقط.

الجهاد مظهر الطاعة و نجاة المستضعفين

هدى من الآيات

الجهاد أبرز مظاهر الطاعة ومن يطع الرسول في الجهاد يسهل عليه تطبيق سائر الواجبات الدينية لانها لا تنطوي على صعوبات الجهاد أو أخطاره الجسيمة.

وإذ يتحدث القرآن عن الطاعة للرسول و الكفر بالطاغوت يضرب لنا مثلا من واقع الطاعة المفترضة وهو الجهاد الذي يأتي مباشرة بعد تكون الامة ، و انفصالها عن المجتمع الجاهلي و طاغوته الذي يتبعونه ، اذ لا يلبث ان يتفجر الصراع بين الجاهلية و بين الامة ، وعلى أبناء الأمة الاستعداد لخوض الصراع ، وذلك يكون بالتحذر ، و الانطلاق للجهاد جميعا أو في مجموعات.

و بالتسارع في تنفيذ أمر الجهاد حتى لا يكون المسلم كأولئك المتقاعسين الذين يتثاقلون عن الجهاد حتى تنتهي المعركة ، فإن كانت في صالح الجاهلية زعموا انهم ربحوا حين لم يساهموا في الحرب ، والا تميزوا غيظا و حسرة و كأنهم١١٩٢ +

ليسوا من ابناء الامة ابدا .

صفة المسارعة في القتال تأتي بعد الايمان بان الاخرة أفضل من الدنيا ، وان الله عنده اجر عظيم للمقاتلين خسروا أو ربحوا المعركة.

و هدف القتال هو انقاذ المستضعفين من براثن الطغاة و الظلم ، فإن قتال المسلمين هو من أجل الله بينما قتال الكفار من أجل تثبيت نظام الطاغوت و قهر الشعوب.

بينات من الآيات:

واجب الاعداد:

[71]ان يكون ابناء الامة على استعداد للانطلاق في معارك الدفاع عن قيمها الرسالية هو منتهى الجدية في الحياة و الفاعلية و الطاعة للقيادة.

وليس المهم العمل حين تدق طبول الحرب ، بل الاستعداد قبل ذلك في ايام السلم حيث يسترخي الناس ، و يغالبهم نعاس الامن ، ويحسبون ان الحياة لهو و لعب.

آنئذ يستعد المسلمون للمعارك المحتملة فإذا حانت ساعة الحرب خفوا اليها في شكل مجموعات (ثبات) أو وحدات صغيرة منسقة و مستعدة للعمليات الحربية أو نفروا اليها جميعا بصورة (التعبئة العامة (.

]يا أيها الذين ءامنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا]انها تشكل خلفية جيش الرسالة ، الاعداد المسبق و التضحية و التنظيم (الحذر - النفر - الثبات أو الجميع. (

المصلحية داء الجهاد...

[72]ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل أولئك الجبناء الذين يتكاسلون و يتقاعسون عن الحرب وينتظرون نتائجها وهم في بيوتهم ، فإذا دارت ضد المسلمين بدأوا يشمتون و يفرحون بانهم لم يكونوا معهم علما بإن تثاقلهم عن الجهاد قد يكون هو سبب هزيمة المسلمين ولكنهؤلاء لا يحسبون لانفسهم حسابا ودائما يتصورون سائر المسلمين هم المسؤولون بل ويجدون بينهم وبين سائر المسلمين فارقا و كأنهم من غير المسلمين.

والدليل على ذلك : انهم يتميزون حسرة و حسدا اذا انتصر المسلمون و حصلوا على مكاسب مادية في

معركتهم.

ان الله يذم هؤلاء لكي لا يصبح الواحد منا هكذا يرى نفسه وكأنه من غير المسلمين فلا يتحمل مسؤولية الجهاد و يقول عنهم:

]وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا]أي يشكر ربه لانه لم يوفق لحضور المعركة (شهيدا) ، بينما كان هو السبب وراء تقاعسه عن الجهاد والله سيحاسبه على ذلك غدا.

] [73]ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما]وكأنه أمة وسائر المسلمين أمة اخرى ، علما بأن مكاسب المسلمين سوف تصيبه كواحد في المجتمع الاسلامي يستفيد من تقدم هذا المجتمع الاقتصادي و رفاهه الحضاري.

كيف نصنع الارادة ؟

[74]ان المثل السابق نموذج من الناس يفتقرون الى الارادة الرسالية حتى يقرروا الاقدام و المبادرة في قضايا الامة ولا ينتظرون الآخرين.

انها تأتي نتيجة الايمان الصادق باليوم الآخر و تفضيله على الدنيا و بالتالي بيع الدنيا في مقابل الحصول على الآخرة و بهدف بلوغ أجر الله العظيم هناك.

]فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة]يشري : أي يبيع وحين يقول القرآن فليقاتل يريد ان يبين ان هؤلاء هم المرشحون للقتال الخالص لوجه الله.

]ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما. [

أهداف الجهاد:

[75]ان الهدف الغيبي للقتال أن يكون القتال من أجل الحصول على الأجر العظيم في الآخرة.

اما الهدف الظاهر للقتال الذي يكون في سبيل الله فهو محاولة انقاذ المحرومين الذين تظلمهم القوى الطاغوتية القاهرة ، ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

]وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا]المستضعفون : هم الذين جعلتهم القوى الظالمة ضعفاء ، و استثمرتهم وحطمت أرادتهم و معنوياتت نفوسهم ، ولكنهم مع ذلك يقاومون الظلم بالنية فيأملون ان ينقذهم الله بأناس يقودونهم و ينتصرون لهم.

[76]إن هدف المقاتلين المسلمين تحرير عباد الله من مجتمع الظلم ونظام الطاغوت أما هدف مقاتلي الكفار فهو من أجل استعباد الانسان وجعله يرزح تحت نير الطاغوت ، وبطبيعة الحال الطاغوت ضعيف ، لانه يقاوم ارادة الناس و فطرة الحياة وكلما يضع الطاغوت من خطط متينة فهي ضعيفة لأنها تعاكس طبيعة الحياة البشرية التي خلقها الله حرة.

]الذين ءامنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا]ان أول ما يجب ان يتمتع به الناس المستضعفون و المقاتلون من أجلهم هو التحرر من خوف الطاغوت لان أكبر العوامل التي يعتمد عليها الطاغوت في استغلاله للناس هو تخويفهم وتحطيم معنوياتهم والا فما الطاغوت الا بشر مثل سائر البشر فكيف استطاع أن يستعبد آخرين ؟ انما

بخشية الناس منه ، و خوفهم الباطل قوته ، تلك القوة التي يحاول الطاغوت تضخيمها في أعين الناس ، فإذا تحررت الشعوب من رهبة الطاغوت ، و اكتشفت انه هو الآخر بشر و ضعيف ، و خططه واهية لاستطاعت أن تطرده وتسحقه.

ان شعوبنا المقهورة اليوم تخشى القوى الكبرى الطاغوتية لأن تلك القوى غسلت أدمغتنا ، فإذا تحررنا من خشيتها انتصرنا عليها ولذلك يذكرنا القرآن هنا ، ان كيد هؤلاء ضعيف ، وعلينا الا نرهبهم.

عوامل الانهزام و فوائد الالتزام

هدى من الآيات

هناك ظروف يجب على الامة فيها ان تعد ذاتها للقتال دون ان تباشر به ، و الاعداد يكون بالصلاة و الزكاة ، بينما تأتي ظروف يجب على الامة ان تندفع فيها للقتال ، وعلى الامة ان تكون منضبطة ، فلا تقاتل الا حين تؤمر به ، ولكن هناك بعض الفئات تطالب بالقتال حينيكون واجبها الاعداد ، بينما تتقاعس عنه حين تؤمر به ، و المشكلة بالنسبة لهؤلاء هي خشية الناس ، ولكن لماذا الخشية من الناس ؟ هل بسبب الخوف من الموت ، و الموت آت لا ريب فيه ؟ أو بسبب التملص من المسؤولية تجاه ما يجري من احداث في الحياة و القاء مسؤولية الهزائم على القيادة الدينية ، بينما الانسان هو المسؤول المباشر عما يصيبه من نكبات ؟

و الواقع : ان عدم فهم الحياة قد يكون هو السبب في التقاعس عن واجباتها ، وقد تناول القرآن في هذا الدرس جانبا من العوامل النفسية للتقاعس عن الجهاد ليقتلع جذورها من القلب البشري ، وليوفر المناخ المناسب للطاعة التامة للقيادة البعيدة عن الازدواجية و التردد و الضعف.

بينات من الايات

الانضباط صمام الامان:

[77]الحرب بحاجة الى أقصى درجات الاندفاع و الفاعلية و الجدية ، ولكن في حدود الخطة السليمة ، وإذا لم تكن الخطة السليمة تقود الحرب ، فإن كل الاندفاع و الفاعلية و الجدية لا تعني شيئا ، لان غلطة استراتيجية واحدة ، قد تقضي على الكثير الكثير من الطاقاتفي لحظة واحدة.

و الخطة السليمة بحاجة الى الانضباط الحديدي من قبل الجيش لقيادة هذا الانضبـاط الذي يتحدث عنه القرآن هنا بما يخص الحرب ولكنه يشمل أحوال السلم أيضا.

ان هذا لا يخضع لأهواء الناس ، بل لخطة القياده ، أما ما على الناس فهو الاستعداد الدائم لخوض المعركة ، اذا نودوا اليها.

وهناك بعض الناس يطالبون بالحرب في وقت السلم ولكنهم يتقاعسون عنها حين يدعون اليها ويحذرون الناس خوفا على أنفسهم من الموت ، ويطالبون القيادة آنئذ بتأخير القتال ويحسبون ان التقديم والتأخير خاضع لاهوائهم ، والواقع ان مشكلة هؤلاء نفسية ، و تعود الى تشبثهم بالدنيا و زينتها.

]ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة]يعني كفوا أيديكم عن القتال ، لان موعد القتال لما يحن ، أما الآن فهو موعد الصلاة رمز البناء الذاتي ، و الزكاة رمز البناء الاجتماعي.

]فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو اشدخشية و قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى اجل قريب]ان هؤلاء كانوا يطالبون بالتأخير ولو لفترة بسيطة ، وذلك لان الخوف قد ملأ قلوبهم.

]قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا]كيف نتحرر من خوف الموت ؟

[78]التحرر من خوف الموت ، لا يمكن الا اذا سلمنا له وآمنا ، بأنا ملاقوه أنــى كنا ، و الموت هو الموت سواء في ساحة المعركة ، أو على السرير في المستشفى.

]اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة [البروج المشيدة هي : البنايات المرتفعة التي تدل على سمو الحضارة ، و الانسان يهم بالصعود عن الارض اعتقادا منه ان ذلك ينقذه من عوامل الفناء ، و القرآن يقول انه حتى في حالة الصعود الى بروج مشيدة ، فإن الموت يلاحقهم اليها ، و يقضي عليهم ، و الخوف من الموت قيد على قلب الانسان من الاقدام في تحمل مسؤوليات الحياة ، وهناك قيد آخر هو ابعاد المسؤولية عن الذات و القاؤها على الآخرين.

]وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله[

يقولونها بلهجة كأنها بعيدة عن دورهم في المسؤولية

]وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك[

حتى يبعدوا أنفسهم عن دائرة المسؤولية ، و بالمقابل يشوهوا سمعة القيادةو يشككوا في كفاءتها ، وهذه من صفة هذه الفئة ضعيفة الارادة.

]قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا]لان عقدة الخوف من الموت ، و الفرار من المسؤولية لا تجعلهم يفقهون الحديث وما وراءه من حقائق.

ان الخوف أكبر حجاب بين الانسان و الحقائق ، و كثير من الناس يبتعدون عن التوجيه و مراكزه و مصادرة خشية ان يفقهوا و يعوا و تلزمهم المسؤولية ، وكثير منهم يكفرون برجال الله من النبيين و الصديقيين ، هربا من مسؤولية طاعتهم.

بين الحسنات و السيئات:

[79]الحسنات و السيئات مصدرهما المباشر هو الله الحكيم العليم ، فلا تقدر الحسنة ولا السيئة لبشر إلا وفق حكمة بالغة ، و هدف محدد ، وما الله بظلام للعبيد.

وهذه الفكرة التي وضعتها الآية السابقة تبين لنا عقلانية الكون ، وانه يسير وفق تدبير رشيد و يدبره رب قدير بحكمة و لهدف.

ويبقى سؤال : إذن لماذا تصيب البعض المصائب ، و يتمتع الآخر بالحسنات حينا ؟! ولماذا تصيبنا الحسنات حينا .. و السيئات حينا آخر ؟

و يجيب القرآن في هذه الآية عن هذا السؤال قائلا:

أما الحسنات فإن الله حين خلق الناس أراد أن يرحمهم لا أن يعذبهم ، وقد وفر لهم كل وسائل الراحة و السعادة و الرفاه ، وهو لم يطالبنا بثمن مقابل نعمه التي لا تحصى ، ولذلك فإن الحسنات من الله ويجب ان نشكره عليها ، أما السيئات فليست من الله بالرغم من انهاتأتي من عند الله ، أنها من نفس الانسان فهو

الذي يختار لنفسه العذاب ، فيبدل خلق الله ، و يخالف سنن الحياة و طبيعة الاشياء ، وآنئذ يقرر الله له العذاب ، فيأتي العذاب من عند الله.

]ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك و أرسلناك للناس رسولا وكفى بالله

شهيدا]وهذه الفكرة تعطينا إيمانا ايجابيا بالحياة ، وانها سعادة و رفاه ، فتطلق مواهب الانسان في طريق التقدم و الرقي.

ويلاحظ الفرق بين كلمتي (من) و)عند) في الآيتين ، لكي يصبح التناسق بين الآيتين واضحا ، اذا فتبرير اللامسؤولية ورفض طاعة الرسول و القول بأنها هي سبب المصيبات انه تبرير سخيف.

طاعة القيادة أمتداد لطاعة الله

هدى من الايات

حاجة الامة الى الطاعة المبدئية هي أكبر من حاجتها الى أي شيء آخر ، اذ التعاون و التطوير ، والمواجهة مع الاعداء ، وبناء و أعداد الجبهة الداخلية و .. و .. ، كل تلك نتيجة مباشرة للطاعة ، وانما تتقدم الامم بقدر تماسكها و اندفاعها و وحدة مسيرتها ،وهي كلها تأتي نتيجة الطاعة.

وهنا يعود القرآن ليذكرنا بضرورة الطاعة في سياق الحديث عن الانضباط في المجتمع المسلم خصوصا في الازمات . و بينت الآيات:

اولا : ان طاعة الرسول هي طاعة الله لا اختلاف بينهما ولا تناقض ، وان الرسول ليس موكلا بالامة بل قائدا لها.

ثم بينت صورة واقعية عن الطاعة ، متمثلة في سلوك المنافقين الذي يجب ان يتجنبه المؤمنون وهو : التظاهر بالطاعة أمام الرسول ، و حبك المؤامرات ضده فياليالي ، وعلى القيادة الا تهتم بهؤلاء ، بل تبعدهم عن المهام الرسالية ، و تتوكل على الله ، و تتوجه الى الصادقين.

و طاعة الله و طاعة رسول الله واحدة ، اذ ان الرسول انما يجسد تعاليم الله ولولا طاعة الرسول لانهار بناء التوحيد ، وهذا التماسك في المباديء الاسلامية ، و التكامل و الوحدة فيها لدليل على انها من الله ، إذ ان أي مبدأ بشري لابد ان تجد فيه تناقضا بين الايدلوجية و التشريع ، و بين بنود الايدلوجية ذاتها ، و قوانين التشريع مع بعضها.

و عاد القرآن الى الحديث عن الصور الواقعية للطاعة فأمر بالطاعة حين تعرض الشخص لظاهرة إجتماعية كالحرب و السلام ، وذلك بأن لا يذيع الاخبار حولها الا بعد مراجعة القيادة الشرعية المتمثلة في الرسول (ص) وفي العلماء الذين يستنبطون الاحكام من القرآن الكريم.

ثم بين صعوبة ذلك الا بالتوكل على الله ، اذ انه من دون فضله ورحمته يتبع الناس الشيطان الا قليلا.

بينات من الآيات

امتداد الطاعة:

[80]ان الرسول (ص) وخلفاءه من الائمة و العلماء ليسوا اصناما يعبدون من دون الله ، بل هم عباد الله ، وطاعتهم المفروضة هي امتداد لطاعة الله ، وفي حدود قيم الله و شرائعه ، ومن لا يطيع الرسول بدافع ايمانه بالله فلا حاجة فيه ، ولا يجب على الرسول ان يفرضعليه الطاعة بأسلوب آخر.

]من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا]لا تنافق:

[81]ولان طاعة الرسول ليست بدوافع مادية ، فحرام النفاق مع الرسول و التظاهر بالطاعة له ، ثم التآمر عليه.

]ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك [

أي إذا تركوك و خرجوا من بيتك.

]بيت طائفة منهم غير الذي تقول[

بيت واضمر الخلاف معك ، وتآمر على القيادة.

]والله يكتب ما يبيتون[

ليحاسبهم به غدا ، وما دام الله يكتب ذلك فليس عليك مسؤوليتهم.

]فاعرض عنهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا[

ان القيادة الرسالية هي قيادة روحية ، يتبعها الملتفون حولها على أساس من القيم التي تمثلها ، ولا يجوز لهذه القيادة ان تجمع المنافقين حولها ، ثم إذا جد الجد يتفرقون عنها ، او يحاولون تحريف مسيرتها .

القيادة رمز الامة:

[82]و القيادة السياسية هي خلاصة النظام السياسي ، و النظام السياسي بدوره هو تجربة ثقافة الامة ، و حضارتها ، و مدى سلامة رؤيتها ، و صحة تشريعاتها ، فإذا تناقضت تركيبة القيادة الواقعية مع شعارات النظام السياسي ، أو مع أفكارالامة وثقافتها وقيمها و .. و .. الخ ، فإن ذلك يدل على تناقض في التشريع ، أو انحرافات في القيم و الثقافة التي تدعي الامة انها تلتزم بها.

فإذا كانت الامة تدعي انها تدافع عن الحرية مثلا .وجاءت قيادتها السياسية على أساس من الدكتاتورية ، أو ما يماثل هذه الديكتاتورية فأي حرية هذه ؟!!

وإذا ادعى النظام أنه يلتزم بقيمة التقوى ، وجاء على رأس النظام رجل فاجر ، أو أدعت ثقافة الامة انها ترفع من قيمة العلم وكان الحكام فيها مجموعة من الجهلة الضالين ، فإن كلامها هراء ، إذ هل يمكن ان ترفع الامة من قيمة العلم دون ان يصبح العلماء وليس الجهلة قطب ارادتها و مركز قدرتها ، و ثقل تجمعاتها ؟

هكذا تكون تركيبة القيادة السياسية مثلا حيا لحقيقة الامة ، ونوع حضارتها ، و طبيعة قيمها الحقيقية.

الامة الاسلامية تتبع قيادة تمثل روح الاسلام ، أي الرسول و خلفاءه و أئمة التقوى و اليقين و أتباعهم لها ليس بهدف الحصول على مصالح عاجلة ، بل من أجل الله و تحقيق قيمة و شرائعه ، وهذا أبسط دليل على طبيعة الاسلام الحقة ، وانه بعيد عن التناقض.

]أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه أختلافا كثيرا]وليس فقط في حقل القيادة أو النظام السياسي للأمة تظهر تناقضات الاديان والمبادىء و أنسجام الاسلام ، بل وايضا في سائر التشريعات ، ففي الاقتصاد ترى ذات القيم التي تجدها في السياسة من العدالة ، و الحرية ، و الاستقلال ، وفيالاخلاق ، و التربية ، و الاجتماع ، وهي في العبادات تجد ذات القيم الواحدة لا تناقض فيها ولا اختلاف ، مما يدل على ان الذي أوحى بها كان العليم الخبير ، حيث يستحيل ان تجد كتابا جامعا لدستور الحياة بكل أبعادها ، ثم يكون بهذا الانسجام و الدقة و التناغم ، فسبحان الله الذي أوحى به.

القيادة مرجع الامة:

[83]ومن آيات صدق الرسالة ، وان كتابها القرآن حق لا ريب فيه هو : قيادة الامة التي تمثل كتابها ، حيث يجب على ابناء الامة ان يطيعوها طاعة شاملة ، سواء في شؤون السلم أو الحرب ، فمثلا لو عرف

أحدهم خبرا ، فعليه ان يذهب به الى القيادة و يعرضه عليها قبلنشره لتتخذ الاجراء المناسب ، فقد يكون الخبر أشاعة كاذبة ، وقد يكون وراء الخبر حقيقة يجب على القيادة ان تبادر في اتخاذ الاجراء المناسب قبل نشره .. وهكذا.

]وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به[

هؤلاء ليسوا من أهل التقوى و اليقين ، والا فكيف يذيعون الخبر قبل الاطلاع على حقيقته ، و الخبر المقصود هو فيما يرتبط بالشؤون المهمة حيث عبر عنه القرآن بـ (أمر. (

]ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم] الاستنباط هو : أستخراج حكم الشريعة من خلال النصوص الصحيحة . فهناك في الامة من أوفى مقدرة لربط القضايا الجزئية بالقيم العامة ، و بالقواعد الكلية التي تدل عليها النصوص . وهو قادرعلى فهم خلفيات الخبر وحكمه الشرعي.

]ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا]حيث ان الله أوضح لكم سبيل اتباع الحق ، وذلك حين أرسل الكتاب ، و علمه رسوله و أولي الامر من بعده الذين يستنبطون أحكام الدين منه ، و أوجب عليكم الرجوع اليهم ليتبعوا الحق و ليس الشيطان.

دور الرسول و موقف الأمة

هدى من الآيات

دور الرسول في الأمة دور القائد المطاع ، و الناصح الامين و المحرض لها بالخير و الهدى ، و ليس دور الوكيل المسؤول بديلا عن الأمة حتى يتحمل ذنبهم جميعا ، ولا ريب ان دور التحرير دور هام ، وذلك لانه سوف يعطي لصاحبه أجر من يعمل بالحسنة . و واجبنا تجاه الرسول أن نرد له التحية بأحسن منها ، وهذه سنة الله بين الناس جميعا أن يردوا التحية بأحسن منها.

ومسؤوليتنا عموما نابعة من أننا جميعا سنقف يوما للحساب أمام ربنا في يوم لا ريب فيه ، و علينا أن نتحسس أبدا بذلك اليوم حتى نتحسس بالمسؤولية التامة أمام الله سبحانه و تعالى ، وجاء الحديث حول ذلك بمناسبة الحديث عن الامن في المجتمع المسلم ، و الذين يعكرون صفوه ، وعلينا أن نتبع هدى الله وسنة رسوله في اتخاذ مواقفنا من هؤلاء ، ولا نخضع مواقفنا للهوى ، من هنا فعلينا الا نختلف في مواقفنا من المنافقين الذين يهددون سلامة الامة ، بل علينا أن نتفق في معاداتهم ، انهم يريدونكم كفارا لتصبحوا مثلهم ، فلا تسبقوهم في حقول الايمان و الحضارة ،

وان الموقف الحاسم من المنافقين هو تصفية كيانهم الا بعض فئات منهم هم:

أولا : الذين تربطهم صلة التحالف معكم.

ثانيا : الضعفاء منهم الذين يخشون مقاتلتكم ، و يتخذون موقفا حياديا بينكم وبين قومهم ، و يفضلون السلام معكم.

بيد أن من هؤلاء من يتخذ موقف الحياد السلبي ، فهو يسعى من أجل الفتنة ، و لكنه يريد ان يشعلها بطريقة ذكية تؤمنه من أي ضرر ، فهؤلاء يجب الحاقهم بسائر المنافقين ، و بالتالي محاربتهم.

بينات من الآيات

الادوار التنفيذية للرسول:

[84]الرسول ليس مبلغا لرسالات الله فحسب ، بل و منفذا لتلك الرسالات بنفسه سواء نفذها الآخرون أم لا ، وهذه الميزة تجعل الناس أكثر ثقة بالرسالات السماوية ، وأسرع استجابة ليس فقط لأنهم يجدون أمامهم تجسيدا حيا ، و عمليا لما يسمعونه من الدعوة ، بل ولأن(عمل) الرسول يصنع (واقعا) في المجتمع ، وان لهذا الواقع أثرا طبيعيا على المجتمع ، و يخلق انعكاسات على الحياة.

فمثلا قيام الرسول في مكة بفك رقاب العبيد بصورة مباشرة ، أو عن طريق اعطاء المال لبعض أصحابه حتى يشتروا العبيد و يعتقوهم ، ان ذلك خلق انعكاسا على المجتمع الجاهلي ، وشكل طبقة اجتماعية قوامها المتحررون من العبودية ، وكان لهذه الطبقة اثرها في الحياة.

واعلان الرسول القتال ضد الكفار هو بذاته يشكل حقيقة واقعية تخلف أثرهافي تطبيق الدعوة ، ومن هنا أمر الله نبيه بهذا الاعلان:

]فقاتل في سبيل الله. [

و دور الرسالة هو تثوير الانسان من أجل تفجير طاقاته ، ومن ثم توجيهها في الصراط المستقيم ، وليس القيام بمسؤوليات الناس كبديل عنهم ، وكذلك دور الرسول فهو ليس مكلفا عن الناس ، انما هو راع لهم ، و مبلغهم رسالة الله ، و مشجعهم على تنفيذ هذه الرسالة.

]لا تكلف الا نفسك[

وهذه الفكرة تنسف الواقع الذي نعيش فيه نحن المسلمين ، حيث نزعم ان وجود الرسول فينا ، و حبنا له ، و انتماءنا اليه ، وان وجود كتاب الله الكريم بيننا ، يكفياننا حضارة و تقدما ، و لا نحتاج بعدهما الى عمل ، انما الرسول محــرض للانسان.

]وحرض المؤمنين[

ولكن لا يعني هذا ان الله بعيد عن دعم المؤمنين ، بل ان نصره ياتي وراء عمل الناس أنفسهم.

]عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا]فالله هو الذي يكف بأس (وقوة) الذين كفروا ، و يجعل بينكم وبين بأسهم حائلا من الرعب يلقيه في قلوبهم ، بسبب قوتكم و استعدادكم للقتال ، ولكن الله لا يفعل ذلك حتما ، وانما (عسى) ان يفعل ذلك عندما تكون فيكم الصلاحية لذلك ، و الله قــوي حيــن ينصر أولياءه ، و أشد قوة من الكفار ، و أقدر على انزال الهزيمة بهم.

إعمل تشفع:

[85]و تحريض الرسول هو شفاعته عند الله ، فبقدر استجابة الناس للرسول يكون قدر سيرهم في طريق الرسول المؤدي الى الله ، و اعتصامهم بحبل الله ، وبهذا القدر يشفع الرسول لهم عند الله.

أما الرسول فإنه سوف يحصل على الاجر من عند الله ، وكل شخص يحصل على أجر معين كلما شفع شفاعة حسنة ، بأن حرض الناس على العمل الصالح ، و بذلك شفع لهم عند الله ، أما لو دل على العمل السيء و حرض عليه ، فعليه من الوزر بقدر عمل الناس بذلك الوزر كاملا غير منقوص ، لأن الكلمة السلبية أشد خطرا و أكثر ضررا مما قد يعطيه الكلام الايجابي من منافع ، فجزاء ذلك أكبر من جزاء هذا ، وذلك بالقياس الى الفعل الذي ينتهيان اليه.

]من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها]والله يحسب بالضبط مقدار عمل هذا أو ذاك.

]وكان الله على كل شيء مقيتا[

قد أحرض أنا على عمل الخير بكلام ، و يذهب كلامي عبر الاقطار ينتقل من أذن لأذن ، حتى يتناقله الملايين و يعملون به ، و يكتب الله لي نصيبا مقدرا من عمل هؤلاء جميعا ، دون ان أعرف ذلك أو أستطيع ان أحصى قدر الثواب الذي يحصيه الله و يكتبه.

كن محسنا:

[86]و الكلام الطيب من البشر لابد ان يرد بكلام طيب ، و الشفاعة الحسنةيجب ان تقبل بالاستجابة لها ، والله يحسب على الناس كلامهم الطيب و جوابهم الاحسن أو لا أقل المناسب.

]وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا]فالسلام مستحب ، و الجواب فرض ، ورد التحية ليس في الكلام فقط بل في الرسالة أيضا ، فمن احترمك ببعث رسالة اليك فعليك ان تردها أو بأحسن منها ، و كذلك لو قدم لك أحدهم خدمة فعليك ان تردها بأحسن منها أو بمثلها.

[87]و علينا ان نتحذر من تجاوز حقوق الناس المفروضة علينا ابتداءا من أكبر حق و حتى حق رد التحية ، لاننا سنقف جميعا أمام الله للحساب في يوم لا ريب فيه ، وعدا على الله لا يخلفه ، وهل أصدق من الله حديثا.

]الله لا إله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا]ولقد عبر القرآن هنا بكلمة الى يوم القيامة ربما للدلالة على معنى انه يجمعكم و يسوقكم الى ذلك اليوم ، ليجعلنا نتصور ذلك اليوم المهيب الذي يساق الناس فيه جميعا الى محكمة العدل ليجازي فيها المحسنين و المسيئين باعمالهم.

ضرورة الالتزام:

[88]وعاد القرآن الى الحديث عن ضرورة الالتزام بتوجيهات الرسالة في اتخاذ المواقف الاجتماعية ، فبالنسبة الى المنافقين علينا الا نختلف فيهم ، بل نتخذ موقفا واحدا منطلقا من مبادئنا ، ذلك الموقف هو قتال المنافقين بكل حزم ،وعدم التعاون معهم بأي شكل من أشكال التعاون ، ماداموا ملعونين عند الله ، غارقين في أوحال الكفر بسبب ما فعلوه من السيئات.

]فما لكم في المنافقن فئتين[

أي لماذا انقسمتم الى طائفتين في موضوع المنافقين ؟!

]والله أركسهم بما كسبوا[

أي ان الله أركسهم في الضلالة بفعل أعمالهم السابقة.

ومن السفه التفكير بأن التقارب مع المنافقين يسبب هدايتهم ، اذ ان الله أضل هؤلاء حين ابتعدوا عن الرسالة ، و أصبحت نفوسهم معقدة تجاه الرسالة ، فلا يمكن أصلاحهم بل يجب تصفيتهم جسديا.

]أتريدون ان تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا]الهجرة إنفصال و إلتحاق:

[89]ليس هذا فقط ، بل ان هؤلاء يحاولون أضلالكم ايضا ، ويحولونكم الى جبهة النفاق لتكونوا تماما مثلهم.

]ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله]الهجرة في سبيل الله طريق الانفصال عن مجتمع النفاق ، والالتحاق بمجتمع الرسالة و الذوبان فيه ، ولكن لو لم يهاجروا فلاحقوهم في كل واد حتى تقضوا عليهم ، لانهم سوف يشنون عليكم غارات مفاجئة ، و عليكم الا تتعاونوا معهمبأية صورة.

]فان تولوا فخذوهم وأقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا]من نسالم ؟

[90]وهناك بعض فئات المنافقين لا يشملهم هذا الحكم وأولهم : المتحالفون معكم ، فإذا كان المنافق من طائفة تربطهم بكم صلة الميثاق ، فإنه لا يقتل أحتراما للميثاق.

والثاني : الذين لا يريدون الاعتداء عليكم بسبب ضعفهم و جبنهم ، وهؤلاء لا يجوز الاعتداء عليهم.

]الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم]ولكن الله القى في قلوبهم الرعب فأسترهبوكم وجبنوا عن القتال ، وقد عبر القرآن عن الجبن بكلمة حصرت صدورهم ، وهو تعبير انيق وعميق حيث ان من يشتد به الخوف تتسارع نبضات قلبه ، فتضيق نفسه وكأن قلبه محصور ، وهؤلاء ماداموا بعيدين عن قتالكم اتركوهم لشأنهم.

]فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا]جزاء المخادعين:

[91]ولكن من المفروض الا يكون سلم هؤلاء خداعا ، فلو كان كذلك لوجب تعقبهم واخضاعهم للقانون.

]ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها]ان هؤلاء يشاركون اولئك في الجبن ، بيد انهم حاقدون يتحينون الفرص ، بينما أولئك يائسون مستسلمون لواقعهم الضعيف .

]فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم [و بالتالي لو لم يصبح هؤلاء مثل الفئة السابقة في انهاء حالة العداء ، و حبك المؤامرات ضد سلامة الأمة ، فلابد من قتالهم.

]و أولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا[

السلطان المبين هو : الحجة الدامغة أو القوة القاهرة ، ذلك لأن هؤلاء المنافقين يعتبرون متآمرين على سلامة الأمة عابثين بأمنها.

إن هذه الآيات تبين لنا حكم الطوائف المختلفة التي تشكل خطرا على أمن الدولة الاسلامية ، وهي عادة الفئات الموتورة و المعقدة التي تساهم في الاخلال بالأمن في البلاد ، وهي لا تطبق على الفئات الثائرة ضد الانظمة الطاغوتية الحاكمة ، لأنها لا تتمتع بشرعية الرسالة كالنظام الاسلامي القائم على أساس الحق ، و العدل ، و الحرية.

الأمن الشخصي

هدى من الآيات

استمرارا للحديث عن الأمن في المجتمع الاسلامي ، تتحدث الآيات هذه عن أمن الانسان ذاته في داخل المجتمع ، و جريمة الاعتداء على النفس خطأ أو عمدا ، و وجوب دفع الدية الباهظة و التكفير بالصيام لمن قتل نفسا بالخطأ ، اما من قتل نفسا متعمدا فإن جزاءه جهنم خالدا فيها.

ولا يجوز الاستخفاف بقضية الدم ، بل حتى في العمليات العسكرية يجب التأكد قبل الهجوم على طائفة

، ولا تجوز الاغارة على الناس الآمنين بهدف الحصول على مكاسب مادية منهم بصورة غنائم ، إن هذه كانت عادة الجاهلية السوداء.

وان النفــس البشرية محترمة في القانون الاسلامي ، ولا يجوز التفريط فيها أبدا ، و المجتمع المسلم لابد ان يسوده الامن ، حتى يتحسس كل فرد بالاطمئنان فيندفع في البناء و الاعمار.

بينات من الايات
اهداف الجهاد
هدى من الآيات
بعد الحديث عن الامن الاجتماعي الذي جاء بدوره في أعقاب الحديث عن الطبقات الاجتماعية ، يأتي الحديث عن بعض أهداف القتال في الاسلام بمناسبة الحديث عن طبقة اجتماعية هي طبقة المهاجرين داخل الامة.

فما دامت القيم هي هدف الحروب الاسلامية ، فإن اولى هذه القيم هي : عدم الاعتداء على الشعوب تحت شعار أو آخر.

والثانية هي : القتال من أجل الله ، وان يجعل المقاتلون في سبيل الله في درجة عالية داخل المجتمع.

والثالثة هي : تحرير الشعوب المستضعفة ، و هذا التحرير يرتبط بالامة الاسلامية كما يرتبط بالشعوب ذاتها ، فعلى كل شعب ان يقوم بتحرير ذاته من الطواغيت ، ولو كان بالهجرة التي تهدف تقوية الذات من أجل شن حرب ضد الجبابرة و المتسلطين .

و الامر بالهجرة من قبل الاسلام يفرغ جبهات العدو من العناصر الخيرة التي اضطرت لمقاومة المسلمين الذين جاؤوا لتحريرهم ، كما و يدعم الجبهة الاسلامية بالعناصر الجيدة ، كما ان الاسلام بأمره بالهجرة يتم حجته على المقاومين لحركة الفتح الاسلامي ، فلا يستطيعون تبرير مواقفهم بانهم كانوا مضطرين الى ذلك.

بينات من الآيات
مواقف المجتمع من الجهاد:

[95]بالنسبة الى الجهاد في سبيل الله ، يختلف الناس فيه الى ثلاث فئات : فئة مجاهدة ، و فئة لا تجاهد ولا تستطيع عليه ، و فئة تقعد عن الجهاد وهي قادرة عليه ، و الفئتان الاوليتان أفضل عند الله من الفئة الثالثة ، و بالتالي أفضل داخل المجتمع الاسلامي ،ولهما حقوق ليست لسائر أبناء المجتمع .

]لا يستوي القاعدون من المؤمنين - غير أولي الضرر - و المجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة]وهذه الدرجة هي : أن المجاهدين تتخصص لهم أموال الامة قبل القاعدين ، وان لهم التأثير في حياة الامة الاجتماعية أكثر من القاعدين ، وفي الاخرة تعتبر أعمالهم اثوب عند الله ، وتقبل صدقاتهم قبل ان تقبل من القاعدين.

ان صلاة المجاهدين في سبيل الله ترفع الى الله بسرعة البرق ، لان صاحبها قرن القول بالعمل ، أما صلاة القاعد فإنها قد ترفع اولا ترفع ، واذا رفعت فإنما ترفع بشروط قاسية ، ومثل الصلاة سائر العبادات و الممارسات ، ذلك ان الجهاد في سبيل الله يفتح عقل صاحبه، ويعطيه الهدى و المعرفة و الايمان ، و المجاهد في سبيل الله يزوده الله ببصيرة واضحة في الحياة ، لانه أقتحم عقبة الذات ولم يعد بينه وبين الحقائق الكونية حاجز من الهلع و الخوف و الطمع و التردد و الشك ، فإذا بهتنكشف أمامه حقائق الكون بوضوح ، ويزداد ايمانه بالله وبالقيم قوة وثباتا.

والمجاهــد في سبيل الله لا يعيش نفاقا في ذاته ، ولا تناقضا بين الدنيا والاخرة ، انه قد باع الدنيا

بالاخرة ، واشترى بنفسه جنة عرضها السموات والارض ، فهو مطمئن من نفسه ، واثق من طريقته و منهجه.

ولكن لا يعني هذا ان القاعدين كفار ، بل هم مدينون عليهم أن يهيئوا مصالح العباد ، فالفلاح في حقله ، و العامل في مصنعه ، و الكاتب في مكتبه ، والكاسب و التاجر و.. و.. لكل واحد من هؤلاء واجب ، و مسؤولية و دور يؤديه في الحياة ، وعليه ان يؤدي دوره تماما ودون غش فيه.

ان المدنيين في المجتمع الاسلامي يشكلون صفوف الجهاد في سبيل الله ، فلولا زيادة الانتاج الزراعي ، ولولا جودة الصناعة الاسلامية ، ولولا سلامة و صدق البحوث العلمية المؤدية الى الكشوف و الاختراعات ، ولولا تداور الثروة بين التاجر و الكاسب و .. و .. الخ ،لولا كل ذلك لا يتمكن الجندي المسلم ان يؤدي دوره بالكامل ، ولذلك بين القرآن هنا : ان أفضلية المجاهد لا تعني ابدا ان القاعد (العامل بوظائفه المدنية) قد غمط حقه ، و جهل قدره و قيمته وقال:

]وكلا وعد الله الحسنى[

بايمانه و اتباعه لمناهج الله في الحياة ، وعاد القرآن و أكد أهمية الجهاد و فضل المجاهدين وقال:

]وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما[

ذلك لكي يبين ان المجاهد رفعه الله درجة في الدنيا ، وأعطاه أجرا عظيما في الدنيا والاخرة.

أجر المجاهدين:

[96]المجاهد يتمتع باجر عظيم فما هو ذلك الاجر ؟

اولا :انه يرفع عند الله درجات بقدر جهاده و تضحيته ، و تنعكس هذه الدرجات في الدنيا ايضا مثلا : ان المجاهد يحسب عند الله عالما و يعطى درجة العلم ، لان الجهاد يفتح عقل صاحبه ، ويجعله يعرف كثيرا من الاشياء التي يجهلها الناس القاعدون.

فدرجة العلم ينالها المجاهد عند الله ، كما ينعكس ذلك في حياته في الدنيا ايضا حيث يصبح عالما فعلا ، وكذلك يعطي درجة الايمان و التقوى و الشجاعة و الطاعة والانضباط و طول العمر و الصحة.

وكل تلك الاثار الخيرة للجهاد هي درجات و مكاسب في الاخرة تنعكس ايضا في الدنيا.

ثانيا :انه يمنح المغفرة و التوبة ، حيث ان الله سبحانه يمحو سيئاته السابقة ، ولا يجازيه بها في الاخرة ، كما انه في الدنيا يتخلص من اثارها السلبية على نفسه.

ان الحسود المعقد المنطوي على ذاته ، و الضعيف الارادة و الكثير القول ، القليل العمل ، التارك باهماله كثيرا من الواجبات ، و المرتكب بضعف أرادته كثيرا من المحرمات ، انه اذا انخرط في الحياة العسكرية الاسلامية سوف تتغير عنده الصفات بفضل الخشونة و التعب و مواجهة الاخطار في العسكرية ، فيصبح الجهاد بالنسبة اليه مدرسة تربوية كاملة التأثير ، وهذه المغفرة التي ينالها المجاهد وهي : الصياغة الجديدة للشخصية ، وهي من خصائص الجهاد.

ثالثا : ان الله يعطي المجاهد الرحمة ، وهي تعني في الاخرة المعاملة الحسنة ،وقبول أعماله الصالحة بلا تردد ، وعدم التدقيق في حسابه ، اما في الدنيا فتعني : فتح أبواب الحياة أمامه ، لان الجهاد يربي صاحبه على التحكم في ذاته وفي الحياة ، ومن كان كذلك وفقه الله في الدنيا ، بالاضافة الى السمعة الطيبة التي يحصل عليها المجاهدون في المجتمع ، من هنا يصبحون موضع تقدير و احترام الجميع.

هذه هي مكاسب الجهاد درجات و مغفرة و رحمة ، لخصها الله تعالى بقوله:

]درجات منه و مغفرة و رحمة وكان الله غفورا حيما]واجب المستضعفين:

[97]على الشعوب المستضعفة التي يتحكم فيها الصغاة بالاستبداد و الظلم ، و يسلبون حريتها بالقوة ، عليها ان تثور ضد الطغاة ، واذا لم تستطع الانتصار لنفسها في أرضها فعليها الهجرة الى أرض اخرى ضمانا لحريتها ، وبالطبع في ظل الدولة الاسلامية ستكون الارض المسلمة معقل الحرية ، ومأوى المهاجرون الاحرار ، وعن طريق هجرة هؤلاء اليها تدعم قضيتهم ، لان الامة الاسلامية تحمل على عاتقها رسالة تحرير الشعوب المستضعفة ، وهؤلاء الاحرار المهاجـــرون سوف يزيدون من قوة الامة ، ويعجلون عملية تحرير أراضيهم من نير الطغاةوالمحتلين.

والذين لا يهاجرون في سبيل الله الى موطن آمن ، ويبررون ارتكابهـم للسيئات ، ومساهمتهم في ظلم أنفسهم وعدم الرد على المعتدين عليهم هؤلاء سوف يساقون يوم القيامة الى جهنم ، ذلك لان الظالم و المظلوم في الذنب سواء ، إذ كان بامكان المظلوم دفع الظلم عن نفسهولم يفعل.

]ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم[

أي جاءتهم الوفاة حين كانوا يظلمون أنفسهم ، أما بعدم الرد على ظلم الظالمين لهم ، أو باقترافهم السيئات تحت ضغط الظالمين.

]قالوا فيم كنتم[

أي كيف كنتم تعيشون وفي أية حالة ؟! بالطبع لم يكونوا يعيشون في حالة رضـا ، ولا في حالة طاعة لله لانهم كانوا في ظل حكم غاشم ، ولكنهم لم يبينوا حالتهم ، بل بينوا فقط عذرهم الذي سرعان ما رد في وجوههم.

]قالوا كنا مستضعفين في الارض[

قالوا :مستضعفين ولم يقولا ضعفاء ، لان الله لم يخلق احدا ضعيفا ، بل الناس هم الذين يساهمون في اضعاف أنفسهم ، أو إضعاف بعضهم لبعض.

]قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها[

مادامت الارض لله ، ومادام الانسان عبدا له ، فلماذا يستمر في أرض واحدة ؟ لماذا يعبـد أقرانـه حتى ولو كان عليه الظلم والكبت ؟ أفليس خير البلاد ما حمل الانسان ؟! كما قال الامام علي (ع. (

إن جزاء هؤلاء هو أشراكهم في ظلم الظالمين لهم ، بالاضافة الى جزاء سيئات أعمالهم التي لا يبررها الضغط عليهم من قبل الظالمين ، ماداموا قادرين على الهجرة عن أرض الظلم.

]فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا [

المستضعفون و واجب الهجرة:

[98]بلى هناك طائفة من المستضعفين لا يستطيعون الهجرة ، فأولئك قديعفيهم الله من جزاء بقائهم في أرض الظلم .

]الا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا]فهؤلاء قد يكونون رجالا أو نساء أو شبابا ، وهذا يعني ان الهجرة مفروضة على كل الرجال القادرين ، وكل النساء القادرات ، وكل الشباب القادرين ، وليس من الصحيح بقاء المرأة القادرة على الهجدرة لان زوجها غير قادر ، أو بقاء

الشاب لان والديه لا يستطيعان الهجرة.

ذلك لان الله سوف يحاسب كل واحد منا على عمله بشكل انفرادي ، ولا ينام اثنان في قبر واحد.

وانما يعفى هؤلاء عن جزاء الهجرة اذا لم يكونوا قادرين على دفع الظلم ، ولا على الهجرة من أرض الظلم ، فهم لا يستطيعون حيلة لمنع الظلم عن أنفسهم ولا يهتدون سبيلا للخروج من بلد الظالمين.

[99]ولا يسقط واجب الهجرة عن هؤلاء بمجرد عدم الهجرة ، بل عليهم ان يهيئوا لانفسهم وسائل القوة حتى يهاجروا ، أو يمنعوا الظلم عن أنفسهم ، ولذلك عبر القرآن عن سقوط واجب الهجرة عن هؤلاء بقوله (عسى) للدلالة على الاحتمال القوي دون التأكيد ، حتى لا ينامالمظلومون على الظلم تحت تأثير مخدر اليأس ، وتبرير عدم القدرة على الهجرة أو الثورة.

كلا فإن الانسان غير القادر عند نفسه ، قد يكون قادرا في الواقع لو تحرك متوكلا على الله .. قال الله تعالى:

]فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا]ان صفة العفو الكاملة عند الله هي وراء العفو عن هؤلاء ، والا فهم مسؤولون ايضا عن عواقب سكوتهم وبقائهم مع الظالمين.

ماذا تعني الهجرة ؟

[100]و الهجرة لا تعني الاستغناء عن الوطن ، بل معناها الانتقال من الوطن الصغير الى الوطن الكبير ، من الافق الاضيق الى الافق الارحب ، الى حيث الرخاء و الحرية.

فهناك أراض واسعة خلقها الله ، و المهاجر سيجدها أمامه اذا لم يدركه الموت في الطريق ، اما اذا أدركه فانه سيجد أمامه رحمة الله والجنة.

]ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة [سيجد ترابا كثيرا ، والتراب يشكل نصف حضارة الانسان ، لانه موقع السكن و الزراعة و السياحة ، و نصفها الاخر الحرية التي عبر عنها القرآن بـ (سعة (، حيث يمكن للبشر في ظل الحرية ان يستثمر طاقات التراب ، و يعيش حياة هانئة.

]ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله]لانه هاجر بهدف دعم قضية الرسالة المتمثلة في تطبيق مناهج الله و تحرير عباد الله.

]وكان الله غفورا رحيما[

وكلمة أخيرة : ان نظرة واحدة الى التأريخ تعطينا فكرة واضحة عن دور الهجرة الاساسي في تأسيس كل الحضارات الكبرى ، وفي أغلب الحركاتالاصلاحية و التحررية في العالم عبر العصور ، وأهمية الاسلام انه يجعل الهجرة واجبا دينيا مقدسا ، و قاعدة أساسية في حياة المؤمنين ، و بذلك يضمن للحركة الاصلاحية البقاء ، و التوسع ، و القدرة على تجاوز القوى الطاغوتية ، كما يجعل لها أفقا عالميا يساعد على تركيع الطغاة بفضل تعاون الشعوب الساعية نحو التحرر و التقدم و التطوير.

وليت القوى التحررية الاسلامية عرفت اليوم هذا الدور الاساسي للهجرة ، و ركزت جهودها في أرض حرة ، ثم انطلقت منها لتحرير الشعوب.

صلاة الخوف

هدى من الايات

الايات الثلاث الاولى بينت بعض ما يرتبط بالهجرة و القتال من أحكام الصلاة) كالقصر في الصلاة حين

السفر ، و حين الخوف ، و صلاة الخوف جماعة ، و واجب التسلح حين اقامة صلاة الخوف. (

وجاءت هذه الاحكام لتبين عدة حقائق :

أولا :ان للهجرة أو القتال أهدافا أساسية و مقدسة تتلخص في رضا الرب ، و اقامة حكمه في الارض ، وعلينا الا ننسى هذه الاهداف ، ونحن نعيش صعوبة الحياة أثناء الهجرة ، أو القتال ، وذلك باقامة الصلاة أثناء الهجرة أو القتال ، و القرآن يريد بناء مجتمع متوازنو متكامل البناء بما يحقق جميع جوانب الاســلام المادية و الروحية.

ثانيا : ان على المسلم الا يزعم ان العبادات هي أهداف ، وانها لا تتغير ، بل انها - بالرغم من أهميتها - وسائل في اطار الاهداف الكبرى للمسلم ، ولذلكفهي تتطور وفق مقتضيات تحقيق تلك الاهداف ، مثل ظروف الحرب أو الهجرة ، فالصلاة وهي أهم العبادات تختصر بسبب الهجرة أو الخوف.

ثالثا : على المسلم الا ينشغل بالصلاة عن باقي واجبات الاستعداد المادي ، فعليه ان يكون حذرا مسلحا سريعا و نشيطا ، فإذا كان الاستعداد واجبا حتى حين الصلاة ، فكيف به في غير هذه الحالة ؟!

بهذا يريد القرآن أن يبين لنا مدى الضرورة في تحقيق الشروط الموضوعية للنصر على العدو و عدم التكاسل عن واحد منها ، بتبرير أننا مسلمون و قضيتنا قضية حقة .

و الاية الرابعة والاخيرة تبين هذه الحقيقة بصفة اخرى ، اذ تحذرنا من مخاطر الحرب و آلام الهجرة ، وتبين لنا ضرورة الاستعداد النفسي لتحملها ، والا نتصور ان الحرب لعب ، أو ان الهجرة سياحة ، اذ ان هذا التصور قد يؤدي بنا الى الوهن و الارتخاء ، و التقاعس عن متابعة المراحل النهائية للحرب ، والاكتفاء فقط باسقاط الواجب.

بينات من الآيات

القصر و صلاة الخوف:

[101]في حالة السفر و الخوف من العدو ، كما اذا كان المهاجر يتعقبه الكفار ليردوه الى معقتل الكبت و الارهاب ، هنالك لا بأس عليه ان يصلي قصرا ، فيحذف من كل صلاة رباعية ركعتين ، بالرغم من ان الصلاة عبادة موقوته ، وعلى المسلم ان يؤديها كما هي دون نقيصة، فانه بسبب السفر أو الخوف يسقط نصف هذه العبادة.

]واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة]ويبقى سؤال : هل القصر واجب في هذه الحالة ؟

الجواب:

بلى ..والسبب ان تعريض المسلم ذاته للخطر حرام ، فاذا كانت الصلاة الواجبة فقط ركعتين ، فاضافة ركعتين اخريين في ظروف الخوف حرام.

من هنا اكتفى القرآن بكلمة) لاجناح) أي (لا بأس) لبيان سقوط الوجوب عن الركعتين الاضافيتين.

أما حرمة إقامتهما فقد سكت عنها لوضوح الامر من خلال معرفة ظروف الخوف التي أسقطت قسما من الصلاة ، فلا يجوز التفريط فيها بحياة المسلم.

]ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا[

أي ان يخدعوكم بمكيدة ، و يعودوا بكم الى أرض الطاغوت ، أو يقتلوكم أثناء الصلاة.

]ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا[

فعليكم التحذر منهم حذرا شديدا.

الحرب و صلاة الجماعة:

[102]أما في حالة الحرب فإن الصلاة تقام جماعة ، حيث ينقسم المسلمون الى طائفتين : طائفة يقيمون الصلاة ، واخرى يواجهون العدو.

اما القائد فهو يصلي بكلتا الطائفتين ، حيث انه يقف امامهم و وراءه الطائفة المصلية يصلون معه ، وفي الركعة الاولى ينتظر الامام وهو جالس بينما يسارعالمأمومون بالقيام و الركوع و السجود ، وحين سجود هذه الطائفة تعود الطائفة الثانية التي لا تزال غير مصلية حتى يصيروا وراء المصلين ، وبمجرد انتهاء صلاتهم و زحفهم نحو العدو ، يكون هؤلاء قد استقروا في مكانهم ، حيث يقف الامام و يتابع صلاته ، وتأتم به هذه الطائفة بحيث تصبح الركعة الثانية للأمام مساوية للركعة الاولى للمأمومين (وهم هنا الطائفة الثانية (فإذا جلس الامام للتشهد قام هؤلاء واضافوا ركعة ثانية وانهوا صلاتهم.

فيكون المحصل ان الامام صلى ركعتين كل ركعة بطائفة ، وتكون كل طائفة قد صلت ركعة مع الامام وركعة منفردة.

]واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك [وعلى المحاربين أن يكونوا في حالة الصلاة مسلحين ، ولا تشغلهم الصلاة عن الحرب بما فيها من الاهتمام بالسلاح و العتاد و الحذر.

اذ ان العدو ينتظر هذه الفرصة لينقض على المسلمين و يبيدهم ، وفي حالة واحدة فقط يسمح بوضع السلاح وهي حالة الضرورة ، مثل ان يكون المطر مانعا من الاهتمام بالصلاة و السلاح معا ، أو يكون الشخص مريضا لا يستطيع ان يقوم و يقعد و يسجد وهو مثقل بالحديد.

]وليأخــذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكــم]أمتعة الحرب هي العتاد أو الزاد وكلها ضرورية للنصر.

]فليميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أوكنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا]وبالطبع يكون الحر الشديد ، أو الرياح العاتية وما أشبه من الظروف التي يصبح حمل الاسلحة فيها حرجا يكون بمثابة المطر.

ذكر الله بصيرة المؤمن:

[103]فإّذا انتهت الصلاة ، وعاد المقاتلون الى الحرب ، فعليهم ان لا ينسوا ذكر الله في مختلف الحالات .

]فإذا قضيتم الصلاة فأذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم]أي وانتم مستلقون.

وربما جاء الامر بذكر الله بعد صلاة الخوف لتكميل النقص فيها ، حيث يستحب ان يذكر المصلي قصرا ربه خلال فترة من الزمن ، تساوي فترة صلاة الركعتين اللتين سقطتا عنه ، ولكن لا يجب ان يكون ذلك في هيئة الصلاة ، بل اثناء قيامه بالاعمال العادية.

وبعد انتهاء الخوف وعودة الحياة الطبيعية ، تعود الصلاة كما كانت أربع ركعات.

]فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا [أي أمرا ثابتا ، ومقدرا في

أوقات محددة ، والشيء لا يكون ثابتا الا لأهميته ، كما لا يكون محددا تحديدا دقيقا إلا لأهميته أيضا.

[104]اذا كان اداء الصلاة في الحرب يختلف عنه في السلم ، اذا يجب انيكون قصرا ، و يتسلح المصلي خلالها و يتحذر ، فإن ذلك يهدينا الى مدى أهمية التسلح و التحذر في الحروب ، و بالتالي الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات ، وهذا شرط ضروري لنصر الله.

ومن الاستعداد التهيوء النفسي للقتال ، و الشجاعة في الاقدام من دون خوف أو تردد ، وهذا ما تبينه هذه الاية:

]ولا تهنوا في ابتغاء القوم[

لا تضعفوا في متابعة الاعداء ، ومهاجمة معاقلهم ، والتفتيش عنهم ، وبتعبير آخر : كونوا دائما المبادرين بالهجوم على العدو ، ولا تخافوا من عواقب الهجوم ، ذلك لان العدو بشر مثلكم ، وهو يألم و ينهار بالصعوبات ، كما تألمون أنتم ولكنكم لا تنهارون ، لانكم ترجون الله سبحانه.

]إن تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما]فهو بعلمه المحيط بكم يعلم مقدار تضحياتكم ، و بحكمته يعطيكم النصر على قدرها ، بعد الصبر عليها ، وليس عبثا وبلا سبب.

المذنبون بين التوبة و العصيان

هدى من الآيات

في سياق الحديث العام عن طبقات المجتمع الاسلامي في هذه السورة تتحدث هذه الآيات عن طبقة المذنبين ، وهم الذين يخونون أمانات الناس فيأكلون أموالهم بالباطل ، أو يخونون أمانة الله فيرتكبون الخطايا التي تعود على أجسامهم أو عقولهم بالضرر ، وهذه الطبقة تحاول أن تستميل القيادة الى جنبها حتى تعمل ما تشاء ، لذلك أمر الله رسوله الا يجادل عنهم والا يحميهم ، ذلك لأن الرسول عليه أن يتبع الحق الذي أنزل عليه في الكتاب ، ويتخذه مقياسا لحكمة على الناس ، واتخاذه المواقف منهم.

وهذه الطبقة تخشى من أفتضاح أمرها عند القيادة و الجماهير ، ولا تعرف أنها أحق بالخشية من عذاب الله ، ولذلك فحتى اذا انحرفت القيادة وهادنتهم زورا ، وحتى اذا ضللت الجماهير ، فهي لا تبتعد عن عقاب الله سبحانه وتعالى غدا.

وأمام هذه الطبقة طريق واحد للتخلص من واقعها وهو التوبة ، فإذا تابوا وعادوا الى الايمان أصبحوا وكأنهم لا سوابق سيئه لهم.

بينات من الآيات

المبدئية في القيادة الاسلامية:

[105]القيادة الاسلامية قيادة مبدئية و ليست قيادة مصلحية ، ولذلك فهي لا تنظر الى بعد الناس أو قربهم اليها ، بقدر ما تنظر الى بعدهم أو قربهم عن الله سبحانه.

ومن هنا فهي لا تماليء طبقة الكبراء أو المفسدين لمجرد قوتهم ، أو من أجل دعمهم المحدود للقيادة . كلا .. بل تنابذهم العداء حتى يتوبوا الى الله ، فالقوي العزيز عند القائد الاسلامي ذليل ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، و الضعيف الذليل قوي عزيز حتى يؤخذ الحق له، كما قال الامام علي (ع. (

ان الكتاب هو المقياس في الحكم على الناس وليست المصالح أو الاهواء.

]إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله]ولذلك فلا مكان للفساد الاداري في الحكم الاسلامي الصحيح ، ولا مكان للواسطة ، و الرشوة ، و المحسوبيات على حساب حقوق الناس.

]ولا تكن للخائنين خصيما[

أي لا تخاصم في مصلحة الخائنين ، ولا تجعل قوة السلطة في خدمة هؤلاء.

الذين يخونون الناس و يأكلون حقوقهم ، وهؤلاء هم أصحاب مراكز القوى و العائلات الكبيرة ، و أصحاب الجاه العريض و الثروة الطائلة.

حفظ الاستقلال مهمة القيادة:

[106]المهمة الصعبة للقيادة هي : المحافظة على استقلالها امام الخائنين ، وترفعها عن اغراءاتهم ورشواتهم و مكائدهم ، و قدرتها بالتالي على أن تكون حاكمة بين الناس بالعدل.

ولصعوبة هذه المهمة أمر الله القيادة بالاستغفار ، إيحاءا بأنها لو وقعت في شرك الخائنين " لا يسمح " فعليها أن تصحح مسيرتها بسرعة و تتوب الى الله.

]واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما[

ان الاستغفار يعطي القيادة مناعة من الوقوع تحت تأثير مراكز القوى ، ويعطي القيادة شجاعة لتحدي الناس ، و الخوف فقط من الله رب الناس أجمعين.

[107]ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم[

أي يخونون أنفسهم بارتكابهم الذنوب ، وعلى القيادة الرسالية ألا تهادن هؤلاء ولا تجمل صورتهم القبيحة أمام الناس ، وتبرر للناس معاصيهم ، لأن الله لا يحب هؤلاء الذين لا يزالون يخونون أمانة الله الذي أمرهم بحفظ أجسامهم ، و عقولهم ، و كرامتهم من الاثم والخطيئة . فالزاني يخون الله في جسده و نسله وهما أمانتان لله على عاتقه ، و شارب الخمر يخون الله في جسده و عقله ، ولاعب القماريخون الله في جسده و ماله ، و بالتالي كل مذنب يتصرف في نعم الله التي هي أمانات عنده بغير ما أمر الله.

]إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما[

إزدواجية الشخصية:

[108]هؤلاء يتكتمون على أنفسهم لكي لا يعرف الناس ارتكابهم للذنوب ، غافلين عن أن الله عارف بأمرهم ، وأنه هو الذي يجازيهم عليه.

فالخمر و الزنا و القمار و كل الذنوب الاخرى تتبعها آثارها الضارة ، سواء عرف الناس أم جهلوا.

ثم ان الله يعرف هؤلاء قبل أن يرتكبوا الذنوب ، بل حين ينوون ذلك أو يتآمرون بينهم عليها في الليل ، إن الله معهم يسمعهم ، ويسجل عليهم أقوالهم ونياتهم ، أفلا يستحيون منه ؟!!

]يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا [فهو يعلم ما يقولون و قادر على منعهم متى يشاء !! كما هو قادر على أن يأخذهم حين يشاء أخذ عزيز مقتدر!

[109]ولنفرض أنكم بررتم مواقف هؤلاء المذنبين ، وجملتم صورهم أمام الناس هنا في الدنيا ، فمن ينقذهم هناك في الآخرة من الفضيحة أمام الخلق في يوم القيامة ؟ ومن يخلصهم من حكم الله ؟ ومن يحامي عنهم في محكمة العدل ؟!

]ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا][١١٠] ولهؤلاء باب واحد للخلاص هو التوبة حيث أنهم لو دخلوه أصبحوا مواطنين شرفاء يقبل الله توبتهم و المؤمنون.

]ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما[

التبرير باب النفاق و طريق الانحراف

هدى من الآيات

أسوأ ما في طبقة الخائنين و المختانين أنهم لا يتحملون نتائج أعمالهم ، فيحاولون القاء مسؤولياتها على الآخرين بطريقة أو بأخرى ، فيقولون مثلا : أن حادثة القتل قد ارتكبها فلان ، أو يقولون بأن السبب في شربنا الخمر تربية الآباء لنا على ذلك ، وأننا تبعا ،لذلك فنحن غير مسؤولين عن هذا الذنب بل آباؤنا هم المسؤولون.

وعند تبرئة أنفسهم واتهام الآخرين بالجرائم ، يحاولون تضليل القيادة واقناعها خطأ بأن مرتكبي الحادث الفلاني هم فلان و فلان.

ولكن هذه المحاولة تبوء بالفشل ، و تخلف أثرا سلبيا على أنفسهم ، إذ تجعلهم يتصورون أنهم غير مسؤولين تصورا أشد ، و بالتالي لا تتركهم يعودون الى رشدهم.

و الرسول لا يضلل لأن الله أنزل عليه الكتاب ، وفيه بصائر توضح المواقفالتي لابد من اتخاذها من مختلف الاشخاص ، كما أن فيه الحكمة و الاسلوب الصحيح لمعاملة الناس حسب طبقاتهم و أعمالهم ، وفيه القدرة على كشف الحقائق وهذا هو الفضل الكبير.

وبعض هؤلاء يحاول التزلف الى الرسول و مناجاته لكي يبرى ساحته أمام الناس ، و يتظاهر بمظهر المؤمن المقرب عند الله و عند رسوله ، فيأتي و يناجيالرسول وهو لا يملك شيئا يقوله ، بينما المناجاة يجب ان يكون لها هدف سام ، و بعضهم ينابذ الرسول العداء علنا ، وهو بذلك يختار الكفر على الايمان و الله يعامله على هذا الاساس.

بينات من الآيات

الشرك بين الارادة ، و الهوى

هدى من الايات

استمرارا للحديث القرآني عن طبقة الخائنين و المختانين أنفسهم تبين هذه الآيات جانبا من قضية الشرك بالله ، ذلك الجانب الذي يعتبر النهاية الحتمية للتمادي في معصية الله ، و اتباع الهوى من دون الله.

ان الخيانة للناس أو للنفس تنتهي بنوع من الشرك ، و الشرك لا يغفره الله أبدا لأنه ضلال بعيد.

وذلك النوع هو عبادة الاصنام والأجنة باعتبارها آلهة صغارا يشفعون عند الله سبحانه ، و الواقع أن عبادة هؤلاء ليس للصنم بل الصنم رمز للشيطان المريد الذي يضل هؤلاء ، وقد أقسم قديما على تضليل البشر .

وان تقديم الذبائح للأصنام بتلك الصورة البشعة إنما هو بأمر الشيطان الذي يستخدم في تضليلهم سلاح الوعود الكاذبة ، و الأماني الباطلة ، فهو يعدهم بالخصب و الرخاء ، و يمنيهم بألا يؤخذوا بجرائم أعمالهم.

وبعكس ما يعده الشيطان فان هؤلاء سوف يلاقون جزاء أعمالهم فيجهنم ، وسوف لن تنفعهم أماني الشيطان.

والذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون سيدخلون الجنة.

ان الشرك بالله هو نتيجة اتباع الهوى ، وإنما يشرك بالله من يشرك حين يستمر في معاصي الله ، ويتهرب من مسؤوليات طاعته.

بينات من الآيات

الشرك بالله وحدود المغفرة:

[116]بالرغم من أن رحمة الله واسعة و مغفرته كبيرة تشمل كل الذنوب إلا أنها لا تسع الشرك بالله لأنه ذنب عظيم ، و ضلالة بعيدة لا يمكن اصلاحها أو التغاضي عنها.

]ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا. [

لأنه لم يعرف الله حتى قرنه ببعض خلقه ، ولم يعرف الخلق حتى قرنه بالله سبحانه ، وليس هناك شيء أبعد من شيء في طبيعته و صفاته و أسمائه من الخالق عن المخلوق ، فالذي يخلط بينهما لم يعرف أيا منهما.

و الشرك انحراف رئيسي لا يصلح معه عمل وهو أشبه ما يكون بالسير نحو الشرق للوصول الى هدف في الغرب حيث لا يمكن تصحيح هذه المسيرة ، بل علينا تبديلها تماما ، و لذلك لا تسع مغفرة الله جريمة الشرك رغم أنها تسع كل ذنب آخر.

ولأنه انحراف رئيسي و سائر انحرافات البشر متفرعة عنه ، بل ليس هناك انحراف إلا و يحمل في جذوره صورة مصغرة من الشرك بالله.

فالتكبر على الناس ، و التعالي عليهم ، و الايمان بالعنصرية و الطبقية و .و . نوعمصغر من الشرك حيث لا يتكبر الشخص إلا اذا وضع نفسه في صف الاله ، ونسي انه ليس سوى مخلوق من خلق الله ، ولا ريب ان التكبر بدوره جذر لالآف الجرائم . إذ أن الشخص الذي يتعالى على الناس لا يتورع عن القيام بأية جريمة ممكنة بحقهم ، و الخضوع لبعض الناس ، و اعتبار كلمتهم هي الحق الذي لا ريب فيه ، واتباع سيرتهم اتباعا مطلقا ، و بالتالي العبودية لهم نوع من الشرك بالله ، حيث يضع الخاضع سيده في صف الاله ، وينسى أنه ليس سوى بشر ضعيف ، و عبودية الآخرين جذر لالآف الجرائم ايضا ، وهكذا سائر المعاصي الكبيرة و الصغيرةإن هي إلا صور مصغرة عن الشرك بالله . تلك الضلالة البعيدة التي تجسد كل انحرافات البشر.

منشأ الشرك:

[117]و الشرك بالله يبتدء بفكرة القوى الغيبية الخارقة التي تسمى بالأرواح وتنقسم الى:

الملائكة وهي القوى الخيرة ، والأجنة وهي القوى الشريرة.

فالملائكة كانت تعبد في الجاهلية بأعتبارها بنات الله سبحانه ، بينما كان الجن يعبد بأعتباره أندادا لله ومنافسا لسلطته على الكون.

]ان يدعون من دونه إلا إناثا وان يدعون إلا شيطانا مريدا]والمريد أي المتمرد دائما عن إطاعة سيده و الاعتقاد بالأرواح (الشريرة منها و الخيرة) و الاستعانة بها ، وجعل رموز حجرية لها في شكل أصنام تعبد ، وتقدم اليها القرابين . كل تلك كانت أغلالا على طاقات البشر ، و قيودا تعطل انطلاقته في الحياة.

ان الجاهلي الذي كان يتصور ان (هبل) هو الذي يشفيه من مرضه ، لا يطلق طاقاته من أجل البحث عن الدواء ، كما انه لم يكن يسعى من أجل تنمية ماله أو أرضه أو ماشيته أو تجارته سعيا عقلانيا لأنه مادام يعتقد أن بضع ذبائح تهدى الى اللات تكفي لفعل المعجزة في حياته الاقتصادية.

وكان الجاهليون يعطلون عقولهم حين يتصورون ان الجنة (الشياطين) توحي اليهم ، وكان أحدهم يجلس في غرفة مظلمة ، و يقوم بعملية إيحاء ذاتي مستمر حتى يخيل اليه أن هاتفا غيبيا يحاوره ، وإنما كان يحاور ذاته ، و يجتر خيالاته وظنونه ، وبالتالي كان كلامه لا يعدو تكرارا لا واعيا لما انطبع بقلبه من أفكار و انعكاسات ، وبالطبع كان كلامه الواعي وغير الواعي مجرد أباطيل و أوهام تقف حاجزا أمام انطلاقة فكره ، وتحرك عقله.

أهداف الشيطان:

[118]و قصة الملائكة تختلف عن قصة الشياطين فبينما الملائكة عباد مطيعون لله ، لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وبالتالي التقرب اليهم لا ينفع شيئا لأن الكلمة الحاسمة النهائية إنما هي لله سبحانه ، اما الشياطين فهم مطرودون من رحمة الله وملعونون ، ولكنهم اليوم في فسحة من المهلة ، ولا يعني قيامهم باضلال البشر أنهم قادرون على مقاومة هيمنة الله كلا .. بل يعني أن الله أمدهم بفترة من الوقت لكي يمتحن عباده بهم.

فالشيطان وهو ابليس.

]لعنة الله[

]وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا[

ان الشيطان وهو يمثل قوى الشر و الخطيئة ، و يدغدغ رغبات السوء في البشر ،ويمد في جهله و ضلالته . أنه جاد في اضلال الانسان ، وقد خطط للسيطرة على بعض أبناء آدم.

ولذلك قال : (نصيبا مفروضا) و كأنه تقاسم مع الله البشر فأخذ طائفة معينة و ترك طائفة لله سبحانه.

الشيطان و فساد الحياة:

[119]الشيطان يستخدم سلاح الأماني في إضلال البشر ، وعلينا كبشر أن نتحذر من هذه الأماني حتى لا يعمل سلاح الشيطان فينا عمله الخطير.

الشيطان يمني الانسان بطول العمر ، و بالخلود في الدنيا و يمنيه بالملك الدائم و الثروة الطائلة ، وهكذا يصور الشيطان للانسان ان الوصول الى أهدافه ممكن عن طريق ملتو.

ويأمر الشيطان الانسان فيما يأمره من الضلالة ليبتك آذان الانعام ، ويغير خلق الله.

إن ذلك يمثل ضلالة الشيطان التي يأمر بها الانسان ، إنه يمثل دعوة الشيطان للانسان بأن ينحرف عن طريق الاستفادة من الطبيعة الى طريق افساد الطبيعة.

ان الله خلق الأنعام وخلق كل عضو فيها نافعا لها ومؤديا وظيفة في جسدها ، و بالتالي جعل كل عضو من أعضائها يؤدي بصورة غير مباشرة خدمة للانسان ، و لكن الشيطان يضل البشر ويجعله يفسد أعضاء الحيوان ، و بالتالي يسقط منافعه المرتقبة له.

]ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله]ولذلك فمن يتبع الشيطان فانه يخسر منافع الحياة لأن الشيطان يبعده أبدا عن الطرق السليمة للاستفادة من الحياة.

]ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا. [

تسويف الشيطان:

[120]ماذا يقول الشيطان للانسان ؟

يقول غدا وبعد غد سوف تحصل على كذا و كذا .. فاذا بلغ غده يعده بما بعده حتى يبلغ أجله ولا يصل الى شيء مما وعده الشيطان.

]يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا[

ما هي النتيجة ؟

[121]اما في الدنيا فسوف يصابون بنتائج غرورهم ،وأما في الآخرة فجزاؤهم فيها جهنم لا يستطيعون فيها فرارا.

]أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا. [

أي لا يزحزحون عنها قيد أنملة ، والكلمة من : حاص يحيص أي تحرك في مكانه.

[122]أما المؤمنون الذين لم يخلطوا بايمانهم شركا ، وأخلصوا العبادة لله الحق ، فان جزاءهم الجنة.

وهذا وعد من الله ولكنه وعد حق . بعكس وعود الشيطان الكاذبة لأن الله أجل وأعظم من الكذب ، ولا يدعوه الى الكذب حاجة أو جهل سبحانه.

]والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهارخالدين فيها أبدا]ذلك هو منتهى تطلع الانسان أن يسكن جنة تتوفر فيها حاجاته الجسدية ،و المتع النفسية ، ومن أبرزها الأنهار التي تضفي جمالا على الجنة ، و أن يكون مطمئنا الى مستقبله ، و أنه خالد لا يزعجه موت أو طرد عن النعيم المقيم فيه.

]وعد الله حقا و من أصدق من الله قيلا[

إبراهيم قدوتنا في الالتزام
هدى من الآيات
هناك قاعدتان نفسيتان للشرك بالله .

الاولى : اللامسؤولية.

الثانية : الجهل بالله.

بالنسبة للقاعدة الاولى : فإن من الأسباب التي تدعو البشر الى الشرك بالله ، و الايمان بالاناث من عباده ، و بالشيطان المريد إنما هو محاولة التخلص من ثقل المسؤولية في الحياة.

ذلك ان البشر الذي يهوى الفردية المطلقة لنفسه يريد أن يبرر بطريقة أو بأخرى أعماله القبيحة ، فيتوسل بفكرة تعدد الالهة حتى يطمئن نفسه بالخلاص من عقاب الله عن طريق التزلف الى إله آخر.

ولقد رأينا كيف ان الشيطان يمد أولياءه في هذا الغي عن طريق أعطاءالاماني الكاذبة التي تخدع الانسان ، و تعده بالجنة بدون عمل.

وفي هذه الآيات ينسف القرآن هذه القاعدة النفسية ، ويبين أن الأماني لا تكون مقبولة أبدا عند الله.

وإن المسؤولية موجودة اعترف بها البشر أو انكرها ، وأن من يعمل سوءا أيا كان فله جزاؤه العادل . كما أن من يعمل الصالحات يجزى عليها من دون نقيصة ، وأن المقياس عند الله هو التسليم المطلق له لا التمرد عليه بحجة التحرر ، أما البرنامج العملي للانسان فهو طريق إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا ، بعد أن أسلم وجهه لله.

وفي الآية الاخيرة ذكر سبحانه ان له ما في السموات والارض ، وبذلك نفى القاعدة الثانية للشرك ، وهي جهل الانسان بعظمة الله ، بواسع قدرته ، و بأنه لا يقارن بخلقه.

بينات من الآيات

الأماني و واقع المسؤولية:

[123]هل تحصل على مليون دينار اذا حلمت بذلك أو تمنيتها ؟ وهل تبني مدينة كبيرة بمجرد التخيل بذلك و الرغبة فيها ؟ كلا..

فكيف يريد البشر أن يحصل على الجنة ، وهي أغلى و أعظم من مليون دينار ، ومن مدينة كبيرة بمجرد الأمنية.

إن مثل هذه الأمنية مثل شيخ كبير فقد أبنه العزيز عليه في حادثة مفاجئة ، ولهول الفاجعة لم يستطع أن يصدق بها ، فيمني نفسه بحياة ابنه في محاولة لتخفيف الألم عنه.

و بالرغم من أنه يعلم بموت ابنه ، ولكنه يتهرب من عقله ، و يستريح الى ظل خياله الوارف . كذلك الذين يتهربون من مسؤوليات أعمالهم بالأماني.

ان نفوسهم صغيرة ، وأن عزائمهم ضعيفة ومتهاوية ، ولا يقدرون على تحمل المسؤولية فيتهربون الى ظل الخيال ، ويمنون أنفسهم بشتى الأماني ، ومنها مثلا : ان المسيح سيفيدنا بنفسه ، أو أن هبل ينقذنا من عذاب الرب ، وهكذا .. أما القرآن فيجعل الانسان وجها لوجه أمام مسؤولية في الحياة ، ويقول له:

]ليس بامانيكم[

التي تزعمون بها التخلص من المسؤولية عن طريق التوسل بالاصنام.

]ولا أماني أهل الكتاب[

الذين يزعمون ان المسيح سيفديهم من ذنوبهم.

]من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا]فلا يدفع أحد عنه عذاب الله لأنه لا أحد قادر على مواجهة سلطان الله في الكون.

تخزين الأعمال:

[124]وفي المقابل سيجزي الصالح بقدر أعماله . من دون أية نقيصة سواء كان ذكرا أو أنثى ولكن بشرط واحد هو أن يكون عمل الصالحات من منطلق الايمان بالله . إذ من دون هذا الايمان فان الصالحات ستكون زبدا طافحا على السيل سرعان ما تنكشف حقيقته.

]ومن يعمل من الصالحات من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا[

أي لا يظلمـون حتى بقدر ما في الحفرة الصغيرة الموجودة في طرف نواة التمرة ، أو بمقدار موقع نقر الناقر.

وشعـور الانـسان بأن كل أعماله حسنة محفوظة له ، وهو مجزي بها عن قريب ، هذا الشعور يدفعه الى التسارع في الأعمال الحسنة ، و محاولة مضاعفتها يوما بعد يوم ، و ساعة بعد ساعة.

ولكي يدفع الشيطان البشر الى التكاسل يوحي اليه : أن سيئاته تغفر له بشفاعة فلان و علان ، وان حسناته لا تقبل منه ، لذلك نجد القرآن يؤكد عبر هاتين الآيتين أن للحسنات و السيئات جزاءها العادل من دون نقصان.

خط إبراهيم:

[125]ليس التوجه الى الأصنام ، و التنافس في عبادتها ، و تفاخر كل فريق بصنمه ، ليس ذلك هو الدين الحسن إنما الدين الحسن هو ما فعله إبراهيم حين أعرض عن كل رموز الشرك و الضلالة ، وكل أصنام الظلم و العبودية ، و توجه الى الله وحده ، و أخلص العبودية له، و أسلم وجهه له . أي بوجهه كاملا اليه ، فلم يهدف شيئا غير وجه الله سبحانه ، ثم تزود بالصالحات فلم يكتف بالواجب منها فقط . بل أكثر منها حتى أصبح محسنا.

]ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن وأتبع ملة إبراهيم حنيفا]أي مشـى على طريقـة إبراهيم في رفضه الأصنام و الرموز الحجرية و البشرية.

]و أتخذ الله إبراهيم خليلا[

فانتفع إبراهيم برفضه العبودية للأصنام و الشركاء نفعا عظيما ، حيث قربهالله اليه ، وجعله خليلا له.

[126]ان الذين يتخذون من دون الله أربابا لا يقدرون الله حق قدره . بل لا يعرفون الله اطلاقا ، فلو عرفوا الله وعلموا أنه بسط قدرته على كل شيء في السماء والأرض اذا لصغرت في أعينهم الأحجار الصماء التي تنحت بأيديهم ، و تتخذ آلهة من دون الله ، و لتضاءلالأشخاص الذين زعموا بأنهم شركاء لله ، ان معرفة قدرة الله من النظرة الفاحصة في السماء و الأرض ، و أكتشاف آثار قدرته . انها معالجة جذرية لمشكلة الشرك في الانسان ، ولذلك ذكرنا الله هنا بهذه القدرة:

]ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا]احاطة علم وقدرة . فليس هناك شيء يتطاول على قدرة الله ، أو يخفى على علمه سبحانه ، واذا ثبتت قدرة الله ، وعرفنا الا ملجأ منه إلا اليه فان من الطبيعي أن نسلم وجوهنا له ، ونتبع ملة إبراهيم حنفاء.

العدالة في العلاقات الأسرية
هدى من الآيات

العدالة أساس العلاقات الاجتماعية ، وعلى المسلم أن ينشر بذور العدالة في أسرته . فلا يظلم زوجته التي هي في بيته ، وتحت رعايته ، ولا يأكل عليها مهرها خصوصا اذا كانت يتيمة.

وبعد الزوجة يأتي دور الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون دفاعا عن حقوقهم ، و اليتامى . حيث يجب تطبيق العدالة في علاقة الشخص بهم.

وعلى الزوجة أن تحاول من جانبها اقامة علاقاتها مع الرجل على أساس المصالحة لا المطالبة بكل ذرة من حقوقها.

ذلك ان علاقات المصلحة الذاتية ، و بالتالي المطالبة التامة بكل الحقوق تسبب الشقاق بسبب طبيعة البخل المرتكزة في نفس البشر ، ولذلك فالأفضل دائما اقامة علاقة التقوى و الاحسان و المسامحة بدلا من العلاقات الحدية حيث يطالب كل جانب بكل حقوقه.

وعلى الرجل ألا يحرص في تعدد الزوجات إذ أن من الصعب عليه اقامة العدل بينهن ، فيضطر الى ترك واحدة منهن أو أكثر كالمعلقة فلا هي زوجته ولا هي مطلقة.

وفي حالة وصول العلاقة الزوجية الى حالة من الجمود و التنافر فالأفضل الانفصال دون أي خوف من الفقر لأن الله هو الرزاق.

ان علاقة الزوجين ببعضهما تشكل جانبا هاما من علاقات المجتمع بعضه مع بعض . كما وانها تنعكس على هذه العلاقات سلبا أو إيجابا ، وكثير من الذنوب تنشأ مباشرة أو غير مباشرة من العلاقة السيئة بين الزوجين.

ولذلك أعاد القرآن هنا الحديث عن العلاقات الزوجية بعد ما تحدث عنها في بداية السورة ، وذلك في اطار الحديث عن الذنوب وطبقة المذنبين الذين يختانون أنفسهم أو يخونون الناس ، لتكون الذنوب التي ترتكب في المحيط العائلي مثلا للذنوب التي ترتكب خارجه.

بينات من الآيات
حقوق المرأة:

[127]بسبب النظرة الجاهلية المقيتة الى النساء ، و اعتبارهن العنصر الأقل كفاءة و حقوقا من الرجل ، فإن الجاهليين كانوا يسألون الرسول كثيرا عن تجاوز حقوق النساء ، هل فيه اثم ؟ خصوصا اذا كانت المرأة زوجة في بيت الرجل لأنها في هذه الحالة تعتبر في ظن الجاهليين ملحقة بالرجل ، وليس لها أي استقلال عنه.

فاجاب القرآن هنا عن سؤال الجاهليين حول النساء ، وبين أن علينا أداء حقوقهن كاملة كما جاء في الشريعة الاسلامية . متمثلة في الكتاب خصوصا اذا كان المرأة يتيمة فعلينا أداء حقها كاملا اذا أردنا الزواج منها.

]و يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن و ترغبون أن تنكحوهن]وكذلك حقوق المستضعفين من صغار العمر و اليتامى . كل تلك الحقوق يجب ان تراعى رعاية تامة.

]والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط]وعلى المؤمن أن يزيد على أداء الحقوق بالاحسان الى هذه الطبقات و يعلم أن كل عمل يعمله خير مكتوب عند الله.

]وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما[

الصلح في العلاقات الأسرية:

[128]كما يجب على الرجل أن يوفي حقوق المرأة فعليها ان تتسامح بـدورها عن بعض حقوقها خصوصا اذا رأت في زوجها ميلا الى عدم أداء حقوقها ، أو حتى الاعراض التام عنها.

]وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير]فالاسلام وضع حدودا ثابتة في العلاقات الاجتماعية ، وكلف الناس بتطبيقها كلما اختلفوا فيها ، ولكنه وضع قانون التراضي و الصلح لاضفاء المرونة الواقعية على تلك الحقوق ، فمثلا : المهر حق من حقوق المرأة وعلى الرجل الا يتزوج بلا مهر ، ولكن هناك نساء أغنياءيتزوجن لسبب أو آخر من رجال فقراء . أفلا يمكن أن يتنازلن عن صدقاتهن للأزواج ؟

بلى . لأن ذلك يتفق مع واقعية التشريع وكذلك بالنسبة لسائر حقوقالزوجة ، فقد لا تكون من مصلحتها المطالبة بها تماما ، ولعدة أسباب محتملة.

/ 1فقد تكوم الزوجة لا تستحق تلك الحقوق ، حسب ملابسات حياتها ، فتكون مثلا امرأة كبيرة في السن دميمة في المنظر ، وضيعة في الشرف ، عاقرة جاهلة ، وقد تزوجت ببعل يعاكسها في كل الصفات ، فالأفضل لها أن تتجاوز عن بعض حقوقها للمحافظة على ود زوجها.

/ 2وقد تكون ظروف الزوج صعبة ، واذا ضغطت عليه الزوجة للحصول على كل حقوقها آنئذ يضطر الى الطلاق فخير لها أن تسكت عن بعض التجاوزات بانتظار ظروف أفضل.

/ 3وقد يكون الزوج رجلا منحرفا . يخون زوجته في حقوقها ، ولكن البقاء معه بانتظار صلاحه المرتقب أفضل من التمرد عليه وانهاء العلاقة الزوجية مما قد يسبب الضرر لهما معا.

إذا هناك ظروف استثنائية يجب على المرأة أن تتنازل بطوع ارادتها عن بعض حقوقها ، وتصطلح مع الزوج و تشريع الصلح هنا وفي سائر العلاقات يعطي مرونة واقعية للتشريع الاسلامي . حيث يضع للملابسات الخارجية دورا في الأحكام الشرعية.

]وأحضرت الأنفس الشح[

أي أرتكزت صفة الشح و البخل و الفردية في النفوس ، ولذلك يحاول كل جانب أن يجر النار الى قرصه ، وعلينا أن نعتبر أن إقامة العلاقة الاجتماعية خير من فضها فنحاول مقاومة صفة الشح ، ونتسلح بالتسامح و الصلح.

]وان تحسنوا و تتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا]أي حين أداء حقوق الآخرين تزيدون عليها الى درجة الاخلاص ، وحين أخذ الحقوق منهم تتقون الله فلا تأخذون إلا ما علمتم أنه من حقكم.

تعدد الزوجات:

[129]على الرجل ألا يحرص في الزواج بأكثر من امرأة واحدة لأن الواجب الشرعي عليه يقضي آنئذ أن يعدل بينهما ، وبما أن ميل الشخص سيكون بالطبع الى الحسنى منهما ، فلذلك من الصعب أن يقيم العدل في التعامل معهما ، وسيؤدي ذلك بطبيعة الحال الى ترك واحدة منهماو اهمالها . حتى تصبح

كالمعلقة فلا هي زوجة تتمتع بحقوق الزوجة ولا هي مطلقة فتكيف حياتها حسبارادتها.

]ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل]الى الـزواج بل اجعلوا الزواج من الثانية حسب المصلحة أو الضرورة فقط.

فمثلا : إذا وجدتم أرملة تحتاج الى كنف الزوجية ، وليس لها من يتكفل بها فتـزوجـوا منها ، أو إذا كان عدد النساء أكبر بكثير من الرجال لسبب أو لآخر ، مما يشكل مشكلة اجتماعية - لولا تعدد الزوجات - واذا كانت الزوجة الاولى عقيمـة أو مريضة أو مسنة بحيث لاتستطيع الوفاء بحقوق الزوجية وهكذا.

أما في الحالات العادية التي يكون الزواج بالثانية شهوة جنسية بحتة أو تفننا في المتعة المجردة ، فإن العاقبة المنتظرة هي اهمال احداهما مما يشكل خوفا لحقوقها.

]فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا و تتقوا فان الله كان غفورا رحيما]أي أن الزواج بالثانية ليس حراما حتى ولو كان لمجرد المتعة أوالشهوة الجنسية ، ولكن بشرط الاصلاح الدائم للعلاقة بين الاثنتين معا ، وبشرط التقوىو التحذر من سحق حقوق واحدة منهما تحت ضغط العاطفة.

فمن كانت ارادته قوية و قادرة على ضبط عواطفه ، وكان تقواه يحجزه عن الحاق الأخرى بواحدة منهما فلا بأس عليه حتى ولو صدرت منه هفوات من غير تعمد و اصرار . فان الله غفور رحيم.

وان يتفرقا:

[130]إذا أهمل الزوج عقيلته فعليها أن تطالب بالطلاق ولا تخشى من الفقر . إذ أنه هو بالتالي علاج . بيد انه ياتي في آخر القائمة . كذلك الطلاق علاج ناجح لظرف صعب لا ينفعه علاج آخر . ذلك ان البقاء على وضع شاذ ، و محاولة الصبر عليه تضييع للطاقات و افسادللضمير ، و هدر للحقوق.

]وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما]صحيح ان الله لا يرزق احدا من دون بذل سعي جدي لطلب الرزق لأنه سبحانه حكيم ، ولكن ابواب الرزق ليست محصورة في الزواج حتى اذا طلق المرء زوجته خافت من الفقر . كلا فان الله قادر على أن يفتح عليها أبوابا جديـدة للــرزق لأنه واسع .. وعلينا أن لا نحدد أنفسنا ضمن مجالات ضيقة للرزق ، بل ننطلق في رحاب الحياة و نفتش أبدا عن آفاق جديدة في هذه الارض الواسعة . ذات الامكانات غير المحدودة.

المسؤولية الاجتماعية

هدى من الآيات

حين يتحسس البشر بقدرة الله الهائلة التي تتجلى في ملكوت السموات و الأرض ، وتحيط به في كل شيء . حين يتحسس بذلك تجري في عروقه قشعريرة و ارتعاشة تدفعه أبدا الى الحذر ، وتبعده أبدا عن الطيش و الغفلة.

وكلما زادت معرفة البشر بالقدرة الكبيرة التي تحيط به . كلما زاد تقواه ، وبالتالي انضبطت أعماله ، و اتجهت في مسير سليم ، ونمى في روعه ضمير واع يردعه من اقتراف الخيانة أو ارتكاب الجريمة ، و يدفعه الى اقامة العدل وأداء الشهادة لله.

وفي هذا الدرس ينهي القرآن الحكيم حديثه عن طبقة الخائنين و المختالنين بمعالجة جذرية لمشكلة الذنب . تلك هي : ازدياد تقوى البشر النابع بدوره من معرفة قدرة الله ، ولذلك يبدأ هذا الدرس بالتذكير بملكوت الله ، وان الله غني لا يضره كفر الناس ، وانه يملك مافي السموات و الأرض ، وأنه قادر على تبديل

الناس بآخرين.

ثم يعطي أملا للانسان بثواب الله ، وينهي الدرس بما يعتبر علاجا آخر لمشكلة الذنب (الخيانة - المعصية) هو:

أن يقوم الناس جميعا بالعدل ، وأن يشهدوا لله بعيدين عن أي أعتبارات أخرى ، وطبيعي أن يقل الذنب في مجتمع قوام بالقسط شاهد على الحق لله.

بينات من الآيات

مشكلة الخوف عند الانسان:

[131]من الدوافع الاساسية لارتكاب الذنب هو الخوف ، فلولا خوف الشعوب المستضعفة من الطغاة اذا ما سكتوا على الظلم ، ولولا خوف الفرد من مجتمعه المنحرف اذا ما استمر في ضلالات ذلك المجتمع ، ولولا الخوف من الفقر لما بخل الأغنياء ، ولولا الخوف من الموت لما تخلف الجبناء عن الحرب.

وبالرغم من تجذر مشكلة الخوف عند البشر فان لها حلا يقتلع جذورها اقتلاعا هو : الايمان بالله ، وانه يملك ما في السموات و الارض ، ويأمر بالعدل و الاحسان ، ويدعم من يعمل بهما ، و يخلصه من عوامل الخوف بقدرته الكبيرة.

فما دام الله يملك كل ما نخاف منه فلماذا لا نخاف من الله . بل ولماذا نخاف شيئا مادام الله ، وهو رب كل شيء لم يغضب علينا.

ان هذه المعادلة الواضحة تجعلنا نقاوم الضغوط التي تدفعنا الى الذنب.

]ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و اياكم أن اتقواالله]هذه وصية وليست أمرا فقط لأن الأمر قد يكون في ضرر المأمور ، بيد انالوصية هي دائما في مصلحة من يسمعها ، ثم هي وصية مشتركة بين كل أجيال الرسالة لأنها من القيم العامة التي لا تتغير بالزمان.

ان التقوى في مصلحة الانسان وليس في مصلحة الله فهو لا يتأثر شيئا بتقواكم أو بكفركم.

]وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا]فهو غني بامتلاكه لما في السموات و الأرض ، و حميد لأنه لا يستخدم قدرته في الحاق الضرر بالخلق سبحانه . بل في اللطف بهم و التفضل عليهم.

الاستعانة بالله من الخوف:

[132]من استعان بالله و قاوم ضغوط الحياة ، ولم يستجب لها جس الخوف الذي يدفعه الى الذنب فانه سيجد وراءه ركنا شديدا يعتمد عليه.

]و لله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا]و مدافعا لمن استعان به ، ولم يخش عباده اعتمادا عليه.

[133]أما من خشي الناس ، وخاف من الطبيعة ، وأسخط الله لارضاء المجتمع أو لتجاوز أخطار الطبيعة ، فعليه أن يتحمل مسؤولية عمله إذ أن الله قادر على تصفيته من الوجود رأسا ، ويأتي بآخرين يعيشون في الأرض مكانه.

]ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا][١٣٤ [ومن الناس من يدفعه

الطمع الى اقتراف المعصية ، فيأكل أموال الناس طمعا ، و يتعاطى بيع الخمور ، و إشاعة الفاحشة طمعا .. فعلى هؤلاء اأن يعرفوا أنهم لو أتبعوا منهاج الله ، و ابتعدوا عن معاصيه ، فسوف يغنيهم الله ،ويعطيهم لا في الدنيا فقط بل وفي الآخرة أيضا.

]من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا]يسمع ويبصر أقوال و أعمال الناس الحسنة فلا يتركها من دون ثواب عاجل في الدنيا ، و ثواب آجل في الآخرة.

خلاصة القول : ان كانت المعصية بدافع الخوف فلنعلم ان الله قادر على أن يدفع عنا ما نخشاه ، وهو أولى بالخوف من أي شيء آخر ، وان كانت المعصية بهدف الحصول على غنيمة ، فان عند الله غنائم أفضل.

المسؤولية الاجتماعية:

[135]لكي نحافظ على نظافة المجتمع لابد أن يتوفر عاملان:

الاول : ضمير رادع عن المعصية عند كل شخص (التقوى. (

الثاني : أحساس الجميع بمسؤوليتهم عن المعصية ، و محاسبتهم العامل بها أنى كان ، وقد تحدثت الآيات السابقة عن العامل الأول.

وها هي الآية تتحدث عن العامل الثاني الذي يبرز دوره في الحقوق الاجتماعية ، فلو كان ضمير المجتمع حيا ، ويحس بمسؤوليته ، فانه يقتل الظلم وهو في المهد . إذ ما إن يظلم أحد من الناس حتى يردعه أقرب الناس إليه . من قراباته أو أصدقائه أو زملائه ، و بالتاليمن أولئك الذين يرجو أن يدعموا موقفه الظالم . بل قبل أن يهم الظالم باغتصاب حق فانه عادة ما يستثير القريبين منه ، ويحاول تهيئة الأجواء لجريمته ، فإذا كان المجتمع واعيا فإنهم يمنعونه عن تنفيذ مخططه فيقتلون الظلم وهو نطفة قبل أن يولد.

وهناك متدرجتان مترجتان لقيام المجتمع بمسؤوليته تجاه الظلم:

الاولى : منع الظلم ، و إقامة العدل.

الثانية :في حالة وقوع الظلم التعاون على ازالته ، وذلك بالشهادة ضده ، ولمصلحة صاحب الحق ، وليس للانسان أن يسكت عن اعلان موقفه من الظلم وذلك بالشهاد لصاحب الحق ، أنى كانت الظروف ، فلان صاحب الحق ضعيف أو غريب أو فاجر ، أو لأن الظالم له قوةأو من أقربائي أو أصدقائي او .. أو . لا أستطيع لأي من هذه المبررات أن أسكت عن الشهادة . بل علي واجب أن أشهد لصاحب الحق.

]يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط[

اي اعملوا على تطبيق العدالة . لأن صرح العدل في المجتمع بحاجة الى جهد ضخم ليتم بناؤه.

]شهداء لله[

اي أقيموا الشهادة بهدف مرضاة الله لا خوفا أو طمعا من أحد حتى ولو كانت الشهادة ضد مصالحكم.

]ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما]أي لا عليكم اذا كان من تشهدون له غنيا أو فقيرا ، بل هذا أمر يخص الله . أما أنتم فاشهدوا لله.

]فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا[

فلا يضلنكم حب المصلحة ، أو حب الأقارب من اقامة العدل بالشهادة أوبالتنفيذ.

]وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا]أي ان تنحرفوا قليلا أو كثيرا فان الله خبير بكم.

المنافقون و ازدواجية الولاء

هدى من الايات

في الحديث السابق عالج القرآن الكريم قضية الخيانة بكل أبعادها ، و وضع حلولا و مواقف لطبقة الخائنين.

اما في هذا الحديث فيطرح قضية المنافقين من بعدها الاجتماعي ، أي فيما يتصل بتواجدهم داخل المجتمع المسلم ، و انعكاسات سلوكهم السلبية على ذلك المجتمع خصوصا بالنسبة لازدواجية الولاء ، فهم في الظاهر أعضاء في هذاالمجتمع ، وفي الواقع مرتبطون بالاعداء.

ويمهد القرآن لهذا الحديث بترسيخ فكرة وحدة الايمان ، وأنه لا يتجزأ ، ثم يوضح فكرة استمرارية الايمان ، وانه لا يمكن التحول منه واليه بين الفترة و الاخرى ، ثم يبشر المنافقين بالعذاب ، واخيرا يبين القضية المطروحة ، وهي ان المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء.

ولكي يبقى المجتمع الاسلامي نظيفا من مؤثرات الكفر فقد أمرنا الله بأن نقاطع مجالس الكفار ، فكيف بالولاء لهم ؟!

اما هؤلاء المنافقون فهم يعيشون الازدواجية ، فمن جهة يريدون كسب ود المسلمين حتى يشاركوهم في مكاسب الانتصارات ، ومن جهة ثانية يريدون درء خطر الكفار حتى يحافظوا على انفسهم حين ينهزم المسلمون ، ولكن الله لا يدع المسلمين ينهزمون لو انهم امنوا وجاهدوافي سبيله.

بينات من الايات

الايمان الكامل:

[136]الايمان كل لا يتجزأ ، ومادام الانسان قد آمن ، وعرف الله و رسالاتـه ، فعليه ان يخلص في ايمانه ، ولا ينقصه تحت ضغط المصالح و الاهواء.

وأي نقـص في الايمان يناقض الايمان رأسا . اذ ان الايمان ليس العلم فقط ، بل هو مخالفة الهوى و اتباع للعقل.

فلو جزأ المرء إيمانه فأخذ منه ما يوافق اهواءه ، و رفض منه ما يخالف اهواءه ، فهل اتبع هذا الشخص عقله أم هواه ، وبالتالي هل آمن ؟!

]يا أيها الذين ءامنوا[

أي يا من انقطعت حجتهم بسبب اعترافهم بمبدأ الايمان ، ان عليكم متابعةالمسيرة لانه لا حجة لكم في التوقف.

]ءامنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله و الكتاب الذي انزل منقبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا [المواقف المتزلزلة تجاه القوة:

[137]و الايمان كما لا يتجزأ عضويا فهو لا يتجزأ زمنيا ، فليس من الايمان في شيء الارتباط بجهة الحق كلما كانت قوية ، ومخالفتها كلما كانت ضعيفة هل هذا ايمان بالحق أم ايمان بالقوة ؟

]ان الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا]هؤلاء كانوا يغيرون مواقفهم حسب موازين القوى في المجتمع ، او حسب رياح مصالحهم الذاتية ، ولذلك فهم بمثابة الكفار الذين لا يغفر الله لهم ذنوبهم ، بل هم أشد سوءا من الكفار اذ انهم تلاعبوا بهدى الله ، و اتخذوه مادة المساومة لحياتهم الدنيا ، ولذلك فهم لاينظرون الى الايمان نظرة الباحث عن الحق ، فيستحيل أن يهتدوا به.

ان من ينظر الى المرآة ليشتريها أو ليعرف قطرها و وزنها لا يمكنه ان ينظر الى الاشياء عبرها لانه مشغول عن الصور المنعكسة داخل المرآة بفحص زجاجتها ، و إطارها واتقان صنعها ، كذلك الذي يتخذ من الرسالة وسيلة الارتزاق لا يمكنه ان ينظر اليها الا كما ينظر التاجر الى متجره ، و البقال الى محله ، فلا يسعى من أجل فهمها أو العمل بها ، لذلك فهو لا يهتدي - عمره - بالرسالة.

المنافقون و حقيقة الارتباط بالأجنبي:

] [138]بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما[

[139]من هم المنافقون المعنيون هنا - بالذات - ؟ انهم الطبقة الاجتماعية المزدوجة الولاء ، او التي تعيش في مجتمع الايمان وتحمل ولاء لمجتمع الكفر بهدف الحصول على قوة و منعة و عزة.

فمثلا في المجتمع الاسلامي اليوم نجد طوائف مبتلون بمركب النقص ، و يحرصون على الحصول على القوة و العزة ، و يتقاعسون عن العمل الجاد الذي يعطيهم القوة و العزة ، حسب قيم المجتمع الاسلامي.

فيفتشـــون عن الاجنبي ليرتبطوا به يفتشون عن منظمات عالمية يمينية (صهيونية - ماسونية - قومية - اقليمية و .. و (.. أو يسارية (شيوعية -اشتراكية) و يهدفون من وراء ولائهم لتلك المنظمات الحصول على قوة يركنون اليها.

وربما يسودون في يوم من الايام بسببها على اخوتهم وابناء أوطانهم حتى ولو جر ذلك الى بيع استقلال بلدهم ، وتذليل شعبهم ، وتحطيم قيمهم.

ان هؤلاء هم المنافقون.

]الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة]كلا ، لا يمكنهم الحصول على القوة بالركون الى الاجنبي ، اذ ان الاجنبي إذا جاء فسوف يستعبد أول ما يستعبد هذه الفئة المرتبطة به والخادمة له!

انه لا يعطي هذه الفئة الدعم لسواد عينها بل لتحقيق مكاسب خاصة ، قد تتناقض مع مكاسب هذه الفئة ، وقد يبيع الاجنبي في مائدة المفاوضات الفئة المرتبطة به ، و يساوم عليها.

فأين تكمن عزة هؤلاء ، أنها تكمن في اللجوء الى الصف الايماني و تقوية شوكة الشعب كله حتى يكون الجميع اسيادا بين الامم.

]فان العزة لله جميعا[

لله و لمن ينفذ برامجه من المؤمنين .

لئلا نصير عملاء:

[140]لكي لا يستميل الاجنبي الكافر بعض ضعاف النفوس من أبناء الامة . منع الاسلام الاستماع الى دعايات الكفار المضللة التي يستهدفون من ورائها التأثير على البسطاء ، ومن ثم استدراجهم للعمالة ، و بيع القيم.

]وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم]الكفر هو الانكار المغلف بما يزعم صاحبه انه استدلال عقلي.

اما الاستهزاء فهو محاولة مفضوحة للتأثير على البسطاء عن طريق تهوين القيم الرسالية في أعينهم ، ويجب مقاطعة مجالس الكفر و الاستهزاء لحين تغيير طابعها العدائي ، وتبديل موضوع الحديث.

]حتى يخوضوا في حديث غيره[

وحين يجلس الانسان في محفل يستمع فيه الى انكار الرسالة ، و الاستخفاف بها ، ثم لا يرد ولا يتأثر ، فأنه محسوب من أصحاب هذا المحفل الفاجر.

]انكم اذا مثلهم[

اي انكم منافقون اذ ذاك كما هم كافرون ، و جزاؤكم آنئذ هو جزاء مشترك وهي النار.

]ان الله جامع المنافقين و الكافرين في جهنم جميعا][١٤١] ان المنافقين يوالون الكفار ، و يحضرون مجالس كفرهم و استهزائهم في حالة السلم ، .. اما في حالة الحرب فهم يجلسون فوق التل يراقبون سير المعركة لانهم جبناء ، والجبان لا ينفع اي طرف يتعاون معه ، وينتظرون بالتالي نهاية المعركة بقلب بارد ، فاذا انتصر المسلمون جاءوا وطالبوا بالغنائم باعتبارهم اعضاء في المجتمع الاسلامي ، واذا انتصر الكفار مؤقتا تسللوا اليهم وطالبوهم بأجور خدماتهم التي اسدوها لهم (هكذا يزعمون لهم ، بيد انهم لم يفعلوا شيئا هاما لهم)[الذين يتربصون بكم[

أي ينتظرون نهايتكم.

]فإن كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين]أي حفظناكم من ان يصيبكم سوء من قبل المؤمنين.

وليعلم هؤلاء : ان عاقبة نفاقهم حساب شديد يوم القيامة ، اما في الدنيا فلان الرسالة تنتصر ابدا على اعدائها ، فان المنافقين سوف يفقدون الدعم الخارجي لهم و يسقطون داخل المجتمع الاسلامي.

]فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا[

المنافقون صفات و تقييم
هدى من الايات

استمرارا لحديث السابق عن الولاء التام داخل المجتمع المسلم ، وإدانة إزدواجية الولاء كما يفعل المنافقون يأتي هذا الحديث ، ويبين في البدء بعض صفات المنافقين الظاهرة التي تدل على إنفصالهم الروحي عن مناهج و قيم المجتمع الاسلامي وذلك حين يقومون للصلاة كسالى ، وأن قلوبهم كالصخر لا تخشع لذكر الله ، وأنهم في حالة شك دائمة ، يراوحون بين جبهتي الايمان والكفر ، ولا يستقرون على واحدة منهما ، وانهم بفعل شكهم ، و عبادتهم لذواتهم و مصالحهم بعيدون عن نور الهداية.

ثم يحذر الله المؤمنين من المصير الذي انتهت اليه هذه الطائفة من المنافقين ، و ينذرهم بأن الله

سيأخذهم بسلطان مبين ، لو سمحوا لأنفسهم بموالاة الكافرين.

تلك العاقبة السوأى التي تنتهي بصاحبها الى نار جهنم في أسفل دركاتها حيث لا ينقذهم ولاؤهم للكافرين من النار.

وقبل ان ينهي القرآن هذا الحديث يفتح أمام المنافقين باب الامل ، و يرشدهم الى التوبة بشرط ان تقارن بالاصلاح ما أفسدوه بالنفاق ، وذلك بالولاء التام للمجتمع الاسلامي ، و الاخلاص في تطبيق مناهجه سبحانه ، وآنئذ سوف يلحقون بركب المؤمنين الذين أعد الله لهمأجرا عظيما.

بينات من الايات
خداع الله!

[142]يزعم المنافقون : إنهم كما يخادعون حسب زعمهم ابناء المجتمع الاسلامي ، كذلك بامكانهم مخادعة الله لذلك تجد ان أعمالهم الدينية تشبه ممارساتهم الاجتماعية.

فإذا قاموا الى الصلاة تكاسلوا ، وأدوا فقط القشر البارز من الصلاة ، اما جوهر الصلاة فانهم بعيدون عنه.

بيد أن هذه المخادعة ستنقلب عليهم . اذ أن الله اكبر من أن تنطلي عليه مخادعة العباد ، و يتقبل منهم هذه العبادات القشرية الفارغة.

]ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم[

كيف يخادع الله عباده ؟ انه يمكر بهم ، و يكيدهم ، ويكيدهم بأن يمهلهم أياما حتى تسكرهم النعم ، ويفقدوا عقولهم وأرادتهم ، ثم يأخذهم الله فجأة أخذا شديدا كما فعل مثلا بقوم لوط ، إذ بعث الله اليهم بملائكة العذاب في صورة ضيوف ، و ألبسهم ثوب الجمال حتى استهووا قوم لوط الذين تعودوا على الفاحشة سابقا ، فلما اجتمعوا إليهم وكانوا يمنون أنفسهم بليال حمراء ولم يبق في أنفسهم ذرة من التقوى أو الايمان..

آنئذ تحول أولئك الملائكة الى صورتهم الاصلية . فإذا هم غلاظ شداد ، واذا بهم يقتلعون مدينتهم ويدمرونها عليهم.

هكذا يخادع الله عباده عندما يحالون مخادعته.

]واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا]فهم لا يصلون حقيقة لله ، بل يتظاهرون أمام الناس.

وإذا كانت الصلاة وهي أهم الشعائر العبادية يؤدونها بهذه الروح فكيف بسائر الواجبات.

هذا مثل لخداع المنافقين لأنفسهم ، وكيفية قيامهم بواجباتهم الدينية ، و بالتالي هذه صفة واضحة فيهم نستطيع أن نكتشفهم عن طريقها.

فقدان المقاييس و الحكم بالشك:

[143]و الصفة الثانية للمنافقين هي الشك ، وتذبذب المواقف . فهم لا يتخذون مواقفهم حسب رؤية مستقبلية ، بل حسب التوفيق بين الجبهة الكافرة و بين المجتمع الاسلامي ، وتمييع المواقف ، وتأييد

كل طرف في شيء حسب المصالح الآنية العاجلة لهم.

]مذبذبين بين ذلك[

أي بين الكفار و المؤمنين وذلك بأشارة الكلمة الثانية.

]لآ الى هؤلاء ولا الى هؤلاء[

ولأنهم مذبذبون تستبد بهم الشكوك فان قلوبهم تفقد المقاييس الصحيحةالتي تميز الحق عن الباطل ، و بالتالي فانهم لن يهتدوا أبدا.

]ومن يضلل الله لن تجد له سبيلا[

الله هو الذي يهدي عباده بعد أن يسعوا من أجل الهداية ، أما الذين يتقاعسون عنها ويسدون أبواب قلوبهم دونها ، إذا كيف يهديهم الله ؟!

انه يتركهم في ضلالتهم وآنئذ لا يجدون من يهديهم من دون الله.

لنتصور الهداية كالعلم . كيف يحصل الواحد منا على العلم ؟ بالطبع عن طريق السعي الدائب ، و البحث الدائم ، ولكن كيف يكون حال من لا يسعى من أجل العلم ، بل و أخس من ذلك بأن يسد على نفسه الابواب ، ولا يدع أحدا يدخل علــيه ليعلمه ، أفلا يبقي هذا الشخص في الجهل أبدا ؟! كذلك الله يضلل المنافقين.

لمن الولاء ؟

[144]هذه بعض صفات المنافقين ، وعلينا أن نتحذر من انحرافهم الذي يبدأ بولاء الكافرين خوفا منهم أو طمعا فيهم.

]يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين]الانسان لا يستطيع ان يمنح ولاء لجهتين متضادتين : فأما هو - بالتالي - موال للمؤمنين أو للكافرين.

واذا والى المؤمن كافرا ، فانه سيقطع ولاءه طبيعيا عن المؤمنين ، ولذلك عبر القرآن الكريم هنا بكلمة " من دون المؤمنين. "

نعم يمكن ان يكون ولاء المؤمن للكافرين من خلال ولائه للمؤمنين ، وذلكبأن يخلص ولاءه للمؤمنين ، ولكل من يخدم المؤمنين من الكفار.

]أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا[

فلا ينصركم الله أنكم لا تخلصون الولاء له ، إّذ ان نصر الله انما يأتي للذين يعتمدون كليا عليه ، ويعبدونه بتطبيق برنامجه كاملا غير منقوص.

أما الذين يوالون الكفار فان الله يوكلهم اليهم ، لأنهم في الواقع لا يستطيعون تطبيق برامجه بالكامل.

[145]اما اذا والى المؤمنون الكافرين فانهم سيكونون منافقين ، و جزاء المنافقين معروف : انه جهنم.

]ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار[

طبقات الجنة تسمى بالدرجات ، و أرفعها أعلى عليين ، و طبقات النار تسمى الدركات و أسوأها أسفل

السافلين.

]ولن تجد لهم نصيرا[

انهم والوا الكفار بهدف الحصول على عونهم ، ولكن آمالهم ستخيب يوم القيامة . اذ سيجدون أنفسهم في النار دون أن ينصرهم أصدقاؤهم الكفار.

سبيل العودة:

[146]طريق عودة المنافقين الى الجبهة الايمانية ، طريق سالك ومعبد وذو مراحل أربع:

الاولى : التوبة بالندم على تعاملهم السابق مع الكفار ، و العزم على عدمتكراره.

الثانية :الاصلاح بترميم الجسور المهدمة بينهم وبين المؤمنين ، وذلك بتصفية عقولهم من أفكار الكافرين ، وتصفية قلوبهم من النفاق و الحقد على المؤمنين ، و تصفية علاقاتهم السابقة وتكوين علاقات حميمة جديدة.

الثالثة : الاعتصام بالله ، وذلك بتوثيق الولاء للقيادة الاسلامية والتسليم لها و الطاعة لأوامرها.

الرابعة :اخلاص الدين (١) ، وذلك باقامة الصلاة بنشاط و وعي ، ومن دون كسل ، وذكر الله كثيرا ، واقامة سائر الشعائر ، وممارسة سائر الواجبات بطريقة صحيحة.

بعد طي هذه المراحل يلحق هؤلاء بالمؤمنين الذين أعد الله لهم أجرا عظيما في الدنيا متمثلا بالنصر المؤزر ، وفي الاخرة في جنات عدن خالدة.

]الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما](١) ربما يكون معنى اخلاص الدين هو توحيد الولاء.

صفات الكافرين عرض و تقييم

هدى من الايات

بعد بيان مفصل لشروط الاصلاح المسبقة التي ينبغي ان يتصف بها المنافق التائب ، و بالتالي كل مؤمن حتى لا يتسرب النفاق الى قلبه.

يبين السياق ان من ابرز شروط الاصلاح الشكر لله ، و الايمان به ، و تنقية أجواء المجتمع من الكلام السلبي واشاعة الخير ، و العفو عن السوء.

وبعد بيان هذه الشروط الاساسية لاقتلاع جذور التفرقة و النفاق من ارض المجتمع يعود القرآن ليحدثنا عن طبقة اخرى من المنافقين ، وهم الذين يبعضون ايمانهم ، فيؤمنون ببعض الرسل وببعض التعاليم السماوية الموصى بها اليهم ، ويكفرون ببعض.

ويقرر القرآن انهم هم الكافرون ، لان الايمان كل لا يتجزأ ، ويؤكد هذه الحقيقة في الاية التالية ، وفي الدرس القادم يضرب مثلا من بني إسرائيل الذينامنوا ببعض الرسل ، وكفروا ببعض . ان ايمانهم ببعض التعاليم و كفرهم ببعضها الاخر انما هو حسب ما تقتضيه مصالحهم الذاتية.

بينات من الايات

شكر الله و النظرة الايجابية:

[147]ان الله غني عنا ، غني عن اعمالنا ، وغني عن عذابنا ، انه لا يتلذذ بعذاب احد سبحانه ، بيد انه حين يعذب الناس فانما لاستحقاقهم ذلك ، وبالتالي بسبب جر النار الى أنفسهم بأنفسهم.

ولكي يتحصن الانسان من شر اعماله فعليه ان يؤمن ، ولكي يؤمن فعليه ان يشكر الله ، اذ ان النفس الشاكرة لانعم الله عليها ان تتمتع بنظرة ايجابية متفائلة للحياة ، و تنظر الى كل نعمة بأعتبارها عطاء جديدا لا تستحقه ، وانه يمكن ان يؤخذ منه في اية لحظة ، فهو من جهة يقدر النعمة حق قدرها ؛ ومن جهة ثانية يقدر من أعطاها اياها وهو الله سبحانه ، حق قدره ، وبذلك يزداد ايمانه بالله ، و وعيه التام برحمته الواسعة ، و بهيمنته الدائمة على الحياة.

أرأيت لو استضافك رجل كريم ، ليس لك عليه حق ، وهيأ لك أفضل انواع المتع واللذات ، ولم يحدد نهاية ضيافته لك ، أولست تبقى تشعر بالامتنان اليه طيلــة فت،،رة ضيافته ، وتعمل خلالها بكل لباقة و أدب يتناسبان و رجل ضيف مثلك ، لانك تقدر من جهة العطاء الذي قدمه لك على غير استحقاق ، وتخشى من جهة ثانية من الطرد في اية لحظة.

كذلك الشاكر يزداد وعيه بنعم الله ، وبالتالي ايمانه بالله ، و شعوره بمنته عليه كلما اوتى نعمة جديدة ، بعكس المنافق الذي كلما زادت نعم الله عليه كلمااحــس بأنها جزء من حقوقه ، و دليل على عظمته ، وبالتالي يزداد طغيانا و كفرا.

]ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما]فكلما ازداد شكرك ، و تقديرك لنعمه عليك ، كلما شكرك الله ، و اغرقك بنعم جديدة ، وهو اذ ذاك يعلم كم شكرته ومتى ؟

علاج بعض الامراض الاجتماعية:

[148]حين تتشبع النفس بالشكر لله ، وبالرضا يقل الحسد والحقد و الكراهية المنبعثة عن ضيق الافق وتتناقص البغضاء النابعة من الاستئثار والفردية ، ويعم مكانهما الصفاء و المحبة و التسامح ، مما ينعكس على احاديث الناس فتصبح ايجابية سليمة.

لان الله لا يحب التجاهر بالاحاديث السلبية السيئة الا اذا كانت ذا هدف شريف وهو : الضرب على يد الظالم ، و الاستعانة بالناس ضده.

]لا يحــب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما [يسمع الغيبة و التهمة و النميمة و التنابز بالالقاب ، و الانتقاص من قدر هــذا أو ذاك ، ويعلم كذبها و دوافعها ، وهل هي تظلم ؟ أو استعانة ضد جائر أم لا ؟

ان الله حين لا يحب شيئا فلانه يضر بمصلحة الناس ، وسوف يعاقب عليه في الدنيا و الاخرة.

[149]بلى ان الله يحب ذلك المجتمع النظيف من سلبيات الكلام العاكف على عمل الخير سواء كان ظاهرا او مستترا ، ومن ابرز أعمال الخير العفو..

أو لم يقل ربنا في آية اخرى : (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ، ان العفو يربط أبناء المجتمع ببعضه ربطا و يقتلع جذور النفاق منه.

]إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا]ان الله يعفو عمن عفا عن الناس ويعفو عمن يعمل الخير للناس . يعفو عنهم بالرغم من قدرته عليهم ، أوليس من الافضل أن يتخلق العبد بخلق ربه ، وأن يكون هو الاخر عفوا ؟!

كيف تعبد الذات ؟

[150]ما هو الايمان ؟

الجواب :انه اخضاع قوى الشر في الذات لارادة الحق ، وتسليم النفس لهدى العقل ، انه استجابة الانسان لنداء الله ، وبالتالي مخالفة أهواء النفس ، واتباع برامج الله.

واذا كان هذا هو الايمان فليس بمؤمن ابدا ذلك الذي يوافق الحق حين يتوافق مع مصالحه ، ويخضع للحق بهدف تحقيق شرور ذاته ، وتسلم نفسه للعقل بشرط موافقة أهوائه و يستجيب لنداء الله حين لا يضر بشهواته ، وهكذاانما هذا الرجل متوغل في الكفر لانه يعبد ذاته ولا يرى الحق الا وسيلةلتحقيق مصالحه.

والذين يبعضون رسالات الله فيأخذون ما يوافق مصالحهم ، ويتركون ما خالفها .. انهم بالتالي يعبدون مصالحهم ولا يعبدون الله ، لذلك فهم الكافرون حقا ، وقد اصدر القرآن عليهم حكم الكفر مسبقا وقال:

]ان الذين يكفرون بالله و رسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا][١٥١] [اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا]و التفريق بين الله و الرسول يأتي بهدف عصيان الرسول ، و الادعاء بأنهم يكتفون ببرامج الله.

ولكن هل تعني برامج الله شيئا من دون قيادة الرسول ، انهم يكذبون كذبة مفضوحة حين يدعون وجود علاقة بينهم وبين الله ، اذ لو كان كذلك اذا لخضعوا لرسوله.

ان كل الطغاة عبر التأريخ يحاربون رجال الاصلاح في الوقت الذي يدعون انهم مؤمنون بالاصلاح ذاته ، و يقتلون النبيين بأسم المحافظة على الدين ، و يسحقون علماء الدين ، و يتظاهرون بحماية الدين.

ان الرسول لا ينفصل عن الله ، ولا ينفصل عن الاصلاح و مناهج الدين وعن حملتهما من المصلحين والعلماء ، وانما يهين الله هؤلاء الكافرين بعذابه يوم القيامة او حتى في الدنيا ، لانهم خالفوا رسل الله ، وبالتالي كفروا بالله بدافع كبرهم وعزتهم الكاذبة ، و غرورهم الفارغ ، لذلك يخزيهم الله و يذلهم في الدنيا و الاخرة.

[152]وفي مقابل الكفار الذين يفرقون بين الله و رسله ابتغاء المصالح العاجلة هناك رجال صادقون في ايمانهم يبتغون اجر الله الذي سيوافيهم عاجلا ام اجلا.

]والذين ءامنوا بالله و رسله ولم يفرقوا بين أحد منهم اولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما [

دوافع الكفر

هدى من الايات

لماذا يفرق المرء المؤمن بين الله و رسله . هل لأنه لا يقتنع بصدق الرسول ؟

كلا ..ان أكثر الناس يخالفون الرسول استجابة لأهوائهم و مصالحهم الانية ، وانما يغلفون مخالفتهم بطبقة من الجدل الفكري فهؤلاء بنو إسرائيل يطالبون الرسول بأن يأتيهم بقراطيس منزلة من السماء مباشرة كألواح موسى ، فهل كفروا بالرسول لانه لم ينزل عليهم قراطيس من السماء ؟ وهل انهم يؤمنون اذ نزلت هذه القراطيس ؟ كلا .. لقد جاءهم موسى بما اقترحوا ولكن لم يؤمنوا به ايضا ، وانما قالوا لموسى : أرنا الله جهرة حتى نؤمن لك ، وهل كان من الممكن استجابة طلبهم التعجيزي ؟! ثم انهم اشركوا بالله بعد ان اقتنعوا بالحق عنطريق البينات التي جاءتهم ، واكثر من ذلك انهم نقضوا ميثاقهم بعد ان احكمه الله عليهم أحكاما ، بعد ان ظلل عليهم جبل عظيم ، فكاد يقع عليهم لولا انهم تعهـدوا بالطاعة ، فلما رفع عنهم الجبل عادوا الى غيهم ، وكفروا بآيات الله ، وقتلوا الانبياء ، وادعوا ان قلوبهم مقفلة لا يدخلها نور الايمان ، وانما هم الذين اقفلوهاعلى أنفسهم بالكفر.

ومثل اخر :ان بني إسرائيل كفروا بعيسى ، واتهموا امه الصديقة مريم ببهتان عظيم . وادعوا انهم قتلوا المسيح الذي لم يقتلوه ، بل انهم اشتبهوا فيه ، ولكن الله رفعه اليه ، وقبل ان يموت أي واحد منهم فسوف يؤمن بالمسيح لأنه حق . و الانسان قبل موته يرى الحق بوضوح.

اذا ماذا كان وراء كفر هؤلاء ؟ انه الظلم الذي حرم الله عليهم بسببه كثيرا من الطيبات التي احلت لهم سابقا.

فالظلم سواء كان ذاتيا أو اجتماعيا فانه العامل الاساسي للكفر ، والظلم الذاتي مثل شرب الخمر ، و الظلم الاجتماعي مثل محاولة تحريف الناس عن الحق ، وأخذ الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وكل هذه تسبب الكفر ، ومرد الكفر عذاب اليم.

بينات من الايات
دلائل صدق الرسالة
هدى من الايات
في اطار الحديث عن الطبقات الاجتماعية انتهى القرآن في حديثه السابق الى طبقة الكفار ، وضرب مثلا من واقع بني اسرائيل الذين طالبوا الرسول بكتاب ينزل من السماء ، و غلفوا دوافع كفرهم بهذه المطالبة فردهم القرآن ، وبين ان للكفر دوافعه النفسية و المصلحية والاجتماعية.

أما لو أوتي البشر رسوخا في العلم أو ايمانا فانه لا يكفر ، وفي هذا الحديث يسوق القرآن بعض البينات على رسالة الرسول ، فيقول:

اولا : ان الرسالة ليست جديدة على الناس ، بل هي امتداد للرسالات السماوية السابقة التي نزلت على النبيين.

ثانيا : أن الهدف من الرسالة الا يبقى للناس على الله حجة ، فلا يعذبهم دون ان ينذرهم سلفا.

ثالثا :ان الله هو الشاهد على صدق الرسالة ، فكل من يعرف الله يعلم ان الله يحب الخير ، و يدعوا الى الاحسان و الصدق و الفداء ، وكل تلك القيم تتفق و روح الرسالة ، ثم يبين الله مصير الكفار بالرسالة فقال : أنهم منحرفون عن الصراط ، وان طريقهم يؤدي بهم الى النار.

و يأمر الناس أخيرا باتباع الرسالة لأنها خير للناس ، وأنهم لو خالفوها فلن يضروا الله شيئا ، بل انما يعرضون أنفسهم لعقاب الله و سخطه العظيم.

بينات من الايات
خط الأنبياء:

[163]لأن وحي الله لبعض عباده خرق لعادة الطبيعة ، ومخالفة للسنن التي يألفها الناس ، لذلك كان يرد مدعي الرسالة ، و أوضح تبرير لرده كان مخالفته للمألوف الذي تعود على الناس ، ولكي يتجاوز القرآن هذا الحاجز النفسي المانع للناس عن اتباع الرسالة . ذكرهم بأن هناك سلسلة طويلة من الانبياء على فترات من التأريخ ، إذا فليس الرسول بدعا من الرسل ، ولا هو عجيب من أمر الله الذي بعث الانبياء السابقين.

]إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح و النبيين من بعده]بعد نوح جاء أنبياء كثيرون لا يعرف عنهم التأريخ شيئا ، ولذلك أشار القرآن هنا الى ذكرهم أشارة ، كما لا يعرف بالضبط الفترة الفاصلة بين نوح وإبراهيم.

]و أوحينا الى إبراهيم و أسماعيل و اسحاق و يعقوب و الاسباط و عيسى و ايوب و يونس و هارون و

سليمان و آتينا داود زبورا]و بالرغم من ان الزبور لم يكن كتاب تشريع ، بل كتاب دعاء و ابتهال ، فإنه أوحي الى داود وحيا ، مما يدل على ان الله أوحى الى بعض رسله حتى الادعية و الابتهالات.

[164]هؤلاء بعض رسل الله . وهناك آخرون لا يعرفهم الناس فمن قال لكم : إن الرسالة مخالفة لسنة الله ، أو لطبيعة الحياة كلا انها جزء من هذه الطبيعة ، وتلك السنة ، وان ابسط دليل على ذلك هو و قوعها بشكل مكرر.

اننا نعرف ان المطر جزء من سنة الحياة لأننا نرى وقوعه مكررا ، وان الزلازل جزء من طبيعة الارض ، لأنها تقع بشكل مكرر ، وكذلك الرسالات مادامت توحي بشكل مكرر فانها جزء من سنن الحياة..

]ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك]وهناك أكثر من مجرد الوحي ، بل كان هناك تكليم مباشر من قبل الله مع الانسان ، وبالطبع دلالة الحديث المباشر أقوى من الوحي من وراء حجاب.

]وكلم الله موسى تكليما[

التبشير و التحذير وظيفتا الرسل:

[165]كانت الغاية من بعث الرسل هي : التبشير بحياة أفضل ، و التحذير من الهلاك ، حتى لا يقول الناس غدا : ربنا لم لم تبعث الينا الرسل حتى لا نضل ولا نقع في الهلاك ، ان هذا الهدف العقلاني لدليل على ان الله قد بعث الرسل بالتأكيد ، ثم لأن الله قادر علىبعث الرسل لا ريب في ذلك ولأنه حكيم ، فهو

لا يعذب البشر قبل ان يقطع عليهم الحجج و يسوق اليهم بالاعذار.

]رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما]فلو لم يبعث الرسل بالبشارة و الانذار ، ثم عذب من عذب و نعم من نعم ، إذا لكان ذلك مناقضا لعزته و حكمته ، وبالتالي دليلا على انه أما أن يكون غير قادر ، أو غير عارف بالمصالح و بظرف العمل سبحانه عن ذلك.

شهادة الله دليل صدق اللرسالة:

[166]والدليل الثاني على صدق الرسالات شهادة الله الذي انزل الوحي بعلمه ، ولكن كيف يشهد الله ؟

ان الله زود الانسان بعقل ، وان عقله يهديه الى معرفة الله من خلال التفكر في آيات الوجود ، بل و يهديه الى معرفة صفات الله الحسنى ، والى طائفة كبيرة من تعاليمه و قيمه.

ان نظرة واحدة الى الكون تهدينا الى ان الله عادل ، وانه رحيم يحب الخير و الاحسان ، وانه يكره الفسوق و الظلم و الفاحشة ، ونحن نعرف ذلك من خلال العدالة المنتشرة في أرجاء الكون ، ومن خلال الرحمة التي تتمثل في نعم الله على الحياة ، ومن خلال وصول كل فردالى جزاء عمله ، وهكذا يعرف العقل قيم الله التي تطابق الرسالات السماوية التي يوحي الله بها الى الانبياء ، فبنظرة واحدة الى برنامج الرسالات يكتشف الفرد صدق هذه الرسالة وارتباطها بالله ، وانها تتفق وقيم العدالة و الخير و الرحمة ، وانها بالتالي أنزلت بعلم الله.

شهادة الملائكة:

]لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا]كيف تشهد الملائكة ؟ هل ان شهادة الملائكة تعني ان حقائق الكون وقوى الطبيعة تتفق ورسالات السماء ، باعتبار ان الملائكة هي القوى العاقلة الموكلة من قبل الله بالطبيعة ؟

ربما كان ذلك ، وربما ان الملائكة يشهدون بدعم جبهة الرسالة عمليا كما فعلوا في بعض حروب الرسول ، أو ان الملائكة هي تعبير عن نوازع الخير في قلب الانسان ، تلك النواع التي تدعمها الملائكة ، و تخالفها الشياطين ، وحين تتفق نوازع الخير ورسالات السماء تعرف ان الملائكة يشهدون على صدقها .

ألم يشر الرسول مرة الى قلب واحد من الاعراب وقال له " : ما قال لك هذا فأفعله فإنه الحق. "

المهم أن الله و ملائكته يشهدون بصدق الرسالة و بطرق شتى.

شهادة الكفار دليل حي:

[167]وهناك شهادة على صدق الرسالة تأتي من الطرف الثاني أي من الكفار أنفسهم ، حيث ان مقاومتهم لقيم الرسالة ومن أبرزها : الحرية و العدالة تجسد أمامنا الضلالة بكل ما فيها من قبح و بطلان .

إنك قد لا تشعر بمدى خطورة الكبت و القهر و الظلم الا حين تراها مجسدة في نظام طاغوتي ، وترى كيف تسحق كرامة الناس ، و تغتصب حقوقهم ، وتصادر حرياتهم في ظل هذا النظام ، آنئذ تفهم مدى بطلان الايديولوجية التي يعتمدعليها هذا النظام ، كما تعرف صدق الفكرة التي تخالفه وتخالف ايديولوجيته.

إذا نظرة الى جبهة الكفر كافية للدلالة على صدق الرسالة.

]إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا]و سبيل الله هو كل خير يدعو اليه الله و ينتهي اليه.

[168]هؤلاء يصادرون حريات الناس ولا يدعونهم يتمتعون بنعم الحياة ، وبالتالي يصدونهم عن سبيل الله ، كما انهم يصادرون حقوق الناس و أموالهم ، فهل يمكن ان يكون هؤلاء على حق ؟ و يكون الرسول على باطل ؟ وهل يمكن ان يدخلهم الله الجنة و يدخل الرسول النار ؟
كلا إن الرب الذي نعرفه من خلال نعمه السابقة ، و رحمته الواسعة ، و عدالته الشاملة ، و بالتالي من خلال اسمائه الحسنى في الكون ، إنه لا يرضى بالتأكيد عن الظلم ، وانه يخالف تلك الفكرة التي تدعوا الى الظلم ، وبالمقابل يؤيد تلك الرسالة التي تدعو الى العدالة.

]ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا][١٦٩] [الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا]فبالرغم مما يملك هؤلاء من عز و سلطان في الدنيا مما يعظم في أعين الناس ، فإنهم هناك في الاخرة منبوذون في النار خالدين فيها ، لان عزتهم و سلطانهم لا شيء عند قدرة الله و سلطانه.

الواقع دليل بارز:

[170]و دليل اخر على صدق الرسالة دليل واقعي آت من تجربتها العملية ، حيث نكتشف من خلال التجربة ان تطبيق الرسالة يؤدي الى الخير (الرفاه ،و السعادة ، و الحرية ، و العدالة) لانها حق ، و مطابقة لواقعيات الحياة و سننها و قوانينها.

]يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فأن لله ما في السموات

والارض وكان الله عليما حكيما]أي انه قادر غني عنكم وعن عبادتكم ، ولكنه لا يوفر لكم الخير الا بعد اتباعكم لرسالته ، لانه حكيم ولانه عالم باعمالكم ، ويجازي عليها إن خيرا فخيرا وان شرا فشرا.

لا تغلوا في دينكم

هدى من الايات

تكميلا للحديث عن ضرورة الوحي ، وتوضيحا لمواصفات الطبقة المؤمنة ، حتى لا تختلط بالطبقات المتظاهرة بالايمان ، جاءت هذه الاية لتتحدث عن زيف فكرة انصاف الالهة التي ابتدعت في مذاهب النصارى ، فزعموا : ان نبيهم عيسى بن مريم كان ابنا لله . كلا ، عيسى وجميعالانبياء انما هم بشر ، و صفتهم المميزة التي جعلهم الله بها انبياء ، و اختارهم للوحي تلك الصفة هي عبوديتهم التامة لله و خضوعهم الكامل له.

و نهت الاية الاولى عن الغلو في الدين ، و الافتراء على الله غير الحق بأن عيسى ثالث ثلاثة ، يشكلون بالمجموع قيادة موحدة لادارة الكون ، بينما المسيح (كما تقول الاية الثانية) لا يتكبر عن عبودية الله ، ولا يرى نفسه أكبر من هذه العبودية ، وهذا سر عظمته، أما المتكبرون عن عبادة الله فان جزاءهم عذاب أليم.

بهذا نقت الايات فكرة الرسالة عما لصق بها من رواسب الشركالجاهلية ، وجعلها مقبولة للعقل البشري .

و الواقع ان كثيرا من الذين ينكرون الحقائق الدينية انما ينكرون ما لصق بها من خرافات و أوهام ، ولو صفيت الحقائق عن تلك الخرافات و الاوهام ، فان أكثرهم سيعود الى الرشد ، و يؤمن بالحقائق.

لذلك تعتبر تصفية فكرة الرسالة من رواسب الشرك بمثابة دليل على صدق الرسالة لأنه يفتح الطريق أمام الايمان بها.

بينات من الايات

الغلو:

[171]الغلو في الدين بمثابة الانكار للدين . ذلك لان اضرار الغلو لا تقل عن اضرار الجحود او الانتقاص من الدين ، وقد يكون الغلو في الدين سببا لكفر كثير من الناس الآخرين الذين ترفض فطرتهم النقية شوائب الغلو ، فينكرون ما ارتبط بها من حقائق الدين أيضا.

وقد كان غلو النصارى في عيسى سببا لهروب المثقفين منهم وانكارهم الرسالة رأسا لانهم وجدوا بفطرتهم الصافية ان الايمان بألوهية بشر مثلهم سخافة ، فآثروا الكفر بالدين رأسا ، ولم يجهدوا أنفسهم بالفصل بين الخرافة و الحقيقة في الدين.

لذلك تجد القرآن الحكيم يعامل المغالين في الدين بذات العنف و القسوة التي يعامل بها الكفار والجاحدين.

]يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بنمريم رسول الله[

وليس إلها في مستوى الله سبحانه ، وليست ولادته الخارقة الا دليلا على قدرة الله و عظمته ، وليس فيها أي دلالة على ألوهية عيسى.

]و كلمته القاها الى مريم وروح منه[

وكلمة الله يعني مشيئته التي تتجسد في كلمة " كن " التي تتحقق بها الاشياء ، كذلك خلق الله السموات و الارض . و كذلك خلق الله عيسى . قال الله : كن ، فكان في رحم أمه مريم ، ولذلك عبر الله عن ذلك بـ (ألقاها الى مريم) أي تلك الكلمة التي أنزلهاالله على مريم ، فكون بها عيسى عليه السلام .

ذلك لان جبرئيل هو الذي نفخ في جيب مريم متمثلا في رجل سوي ، وبذلك النفخ خلق الله عيسى.

اما الروح فانها حسبما - يبدو لي - روح القدس الذي أيد الله به عيسى ، فعلم الغيب وأحيا الموتى وعمل المعجزات.

و بذلك لم تكن معجزات عيسى دليلا على انه اله من دون الله ، بل انه مزود بروح من الله.

]فامنوا بالله ورسله[

سواء كان خلقهم بغير أب أم لا .. وسواء أحيوا الموتى أم لا .. اذ أن المهم ان يكون الشخص رسولا من قبل الله ، وليس المهم سائر الميزات المتوافرة عند هذا أو ذاك.

..]ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولدله ما في السموات والارض وكفى بالله وكيلا[

وهل من المعقول : ان يتخذ رب السموات و الارض واحدا من البشر بمثابة أبن له .. وما قيمة معجزات عيسى بالنسبة الى قدرة الله الهائلة المتمثلة في ملكوت السموات و الارض.

وهل يتناسب ان يكون عيسى البشر المحدود الضعيف ابنا لذلك الرب العظيم .. القادر.

وبدلا من ان يتخذ الواحد منا عيسى الها ، أفلا يكون من الأفضل أن يتخذ الله إلهه ؟!. أفليس الله يغنيه عن عيسى و غير عيسى من البشر ، افلا يكفيه وليا و نصيرا و قائدا ؟!

العبادة لله هي الامتياز:

[172]أبسط دليل على ان عيسى لم يكن سوى بشر عبادته لله و طاعته لمناهجـــه ، تلك العبادة و الطاعة التي اتقنها و أكملها المسيح ، كما أتقنها سائر الرسل . مما دل على أنهم - كما نحن - عباد الله علينا جميعا ان نطيعه.

]لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله[

اي لا يرى ذلك غير مناسب لشخصيته ، أو غير لا ئق لعظمته كرسول.

]ولا الملائكة المقربون[

أولئك الذين تصور بعضهم انهم يشاركون الله في الالوهية سبحانه ، هم بدورهم لا يرون العبادة غير لائقة بهم .. كلا بل هي من صميم وجودهم الناقصالضعيف.

]ومن يستنكف عن عبادته و يستكبر[

أي من يرى نفسه أعلى من العبادة تكبرا و كذبا ، فلابد أن يعرف انه ليس سوى بشر ضعيف ، وآية ضعفة انه سوف يحشر الى الله بكل خضوع.

]فسيحشرهم اليه جميعا[

[173]وهناك ينقسم الناس فريقين:

]فأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا]و دفعهم الستنكارهم الى الكفر.

]و استكبروا[

ودفعهم استكبارهم الى ترك الاعمال الصالحة.

]فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا]فلا ينفعهم اولئك الذين اتخذوهم انصاف آلهة ليخلصوهم من عذاب الله..

حكم الارث

هدى من الايات

بعـد ان ســاق القــرآن الحجــة بعـد الحجــة على صــدق الرســالات السماوية - عموما - اختص الحديث عن رسالة النبي محمد (ص) وبين انها تحتوي على ذات المواصفات الموجودة في أية رسالة سماوية.

فهي برهان من الله يشهد عليه الله سبحانه بما فيها من قيم صادقة ، وهي نور مبين ينير للانسان كافة جوانب حياته ، وهي خير لمن اتبعها واعتصم بها . سعادة و رفاه و هدى.

وختم القرآن سورة النساء بما بدأ السورة من بيان حكم اجتماعي يتجلى فيه حكم الاسلام العادل الذي يعطي كل ذي حق حقه .

بينات من الايات

القرآن نور و هدى:

[174]القرآن برهان من الله ، و بذلك يكون هدى لحياتنا فيه كل الجوانب

العامة من قيم الخير ، وهو نور من الله ، و بذلك يكون توضيحا لتفاصيل خطوط الحياة.

]يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا][١٧٥ [ولأن القرآن برهان من الله فهو يربط البشر بربه وعلى البشر ان يستجيب لهذا الربط بالايمان ، ولانه من جهة اخرى - نور - فعلى البشر ان يستضيء به ، و يتبعه و يعصم و يتمسك بحبله.

]فأما الذين ءامنوا بالله[

حيث جاءهم برهان من الله.

]وأعتصموا به[

حيث جاءهم نور من الله.

]فسيدخلهم في رحمة منه[

متمثلة في حياة سعيدة تتوافر فيها حاجات الجسد و الروح و الفرد و المجتمع و بكل طبقاته و عناصره.

]وفضل[

متجسدا في الرفاه المادي ، و التطلع الروحي . ذلك ان السعادة هي الدرجة الاولى من الخير ، وقد يكون الفرد سعيدا و لكنه لا يكون ذا رفاه عظيم ، بيد ان الفضل هو الدرجة العليا في سلم الخير ، وهو الذي يوفره الايمان و اتباع الاسلام.

]و يهديهم اليه صراطا مستقيما[

فيكـون تحقيـق الخير و الفضل في الدنيا مقدمة لسعادة و رفاه أكبر في الاخرة ، كما يكون تحقيق هذه جميعا بأقل قدر ممكن من الجهد لأنه يتبع صراطا مستقيما وهو أقرب الطرق الى الهدف.

كيف ترث الطبقة الثانية:

[176]و كمثل على ذلك منتزع من حكم الاسلام في القضايا الاجتماعية التي ابتدأت سورة النساء بها ، و تختتم بها أيضا ، كمثل على ذلك يبين القرآن حكم الارث الذي هو من جهة رابط اجتماعي بين أجنحة الاسرة الواحدة ، ومن جهة ثانية : طريق سليم لـتوزيـع الثـروة و محـاربة تكريســها ، ومن جهة ثالثة : احترام لحقوق الفرد (الميت) الذي بذل جهودا كبيرة للحصول على المال ، فمن حقه ان يقسم هذا المال بعد موته على أقرب الناس اليه ، وذلك بعد اداء ديونه و تنفيذ وصاياه.

في الارض طبقات ثلاث متدرجة لا ترث الطبقة الثانية فيها الا بعد ان ينعدم أي شخص في الطبقة الاولى ، و الطبقة الثالثة لا ترث شيئا الا في حالة عدم وجود أحد من أبناء الطبقة الثانية و الاولى.

و الأخوات هن في الطبقة الثانية (بعد الابوين والأولاد) وفي حالة وجود أخت واحدة للميت ترث نصف التركة ، واذا كانت له اختان فأنهما تتقاسمان ثلثي المال ، أما اذا كانوا أكثر من ذلك ، بل مختلطين ، أي كان للميت أخوة و أخوات فهم يتقاسمون المال على أساس نصيبين للذكر و نصيب للأنثى.

كل ذلك فـي حالة عدم وجود أحد من أبناء الطبقة الاولى ، أي الوالدين و الاولاد.

]يستفتونك[

أي يسألونك أن تصدر فتوى في قضية الكلالة.

]قل الله يفتيكم في الكلالة[

]أي الاخوة و الاخوات.

]ان إمروء هلك ليس له ولد [

ولا والد ، وانما أغفل القرآن ذكر الوالد لان الاغلب عدم وجود الوالد مع هلاك الشخص.

]وله أخت فلها نصف ما ترك[

أما اذا ماتت هي و تركت أخا أو مات رجل و ترك أخا لا غير ، فهو يرثها او يرثه الكامل.

]وهو يرثها ان لم يكن لها و لد[

أما اذا مات الرجــل ، وخلــف اختين فهما تتقاسمان ثلث المال لكل واحدة الثلث.

]فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء]فهم يرثون المال على أساس نصيب واحد للأنثى ، ونصيبين للذكر.

]فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم]أي انما يبين الله احكامه لكم لكي لا تضلوا ولكي لا تبخسوا حقوق أحدلحساب الاخرين ، و الله يعلم ما يناسب الصلات الرابطة بين أبناء المجتمع ، وأبسط الحقوق ، فيضع لها أحكاما مناسبة ، هل هناك من يعلمها الا الله ، حاشا لله..

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الهداة الميامين.

فضل السورة

عن عيسى بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي عليه السلام قال:

"كان القرآن ينسخ بعضه بعضا ، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله (ص) باخره ، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة ، نسخت ما قبلها ، ولم ينسخها شيء ، فلقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء ، وثقل عليه الوحي حتى وقعت وتدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض ، وأغمي على رسول الله (ص) حتى وضع يده

على ذؤابه شيبة وهب الجمحي ، ثم رفع ذلك عن رسول الله (ص) فقرأ علينا سورة المائدة ، فعمل رسول الله (ص (وعلمناه. "

الاطار العام

استوحي اسم السورة من قصة ذكرت في اخرها و العبرة فيها : ان الرفاه الاقتصادي نعمة تهبط على البشر من السماء بقدر إلتزامهم بمناهج الله و أحكامه.

وتتناسب هذه العبرة مع الاطار العام لأحاديث السورة ، التي تدور في محور التنظيم الاجتماعي وبصورة تكاد تكون قريبة الى اطار سورة النساء اللهم الا في نقطة واحدة . ان هذه السورة تعني في الأغلب بالروابط الاجتماعية العامة ، بينما كانت سورة النساء تركز علىالعلاقات الأسرية و الحقوق المتبادلة فيها ، وبالذات قضايا الارث ، وما اشبه.

تبتدء السورة بضرورة الوفاء بالعقود ، باعتبارها الرابطة الاعتبارية الأساسية التي تبني حضارة الانسان ، ولكن القرآن يحدد العقود في حدود أحكام لا يجوز أن تتجاوز.

من أبرز هذه الاحكام ما بينه القرآن ، في الأطعمة التي هي اول واهم ما تتناوله عقود البشر ، لانها مرتبطة بأشد الحاجات ضرورة لهم.

وبعد بيان طائفة من أحكام الاطعمة التي فيما بينها حكم الصيد ، و حكم حرية التجارة - خصوصا في الأشهر الحرم - و التعاون على البر و التقوى وما أشبه ، مما يتصل من قريب بقضية الطعام (الايات ٤/١) .

بعدئذ يتحدث عن طعام الذين اوتوا الكتاب حيث يحله القرآن للمسلمين ، و يشجع بذلك التجارة بين أهل الكتاب و بين المسلمين في الأطعمة (الاية / ٥. (

ثم يبين القرآن بعض أحكام الطهارة في الاسلام ، المتصل بالعلاقات الاجتماعية (حيث ان التطهر يحبب الناس بعضهم الى بعض ، وهو حق من حقوق المجتمع على الفرد) (الاية / ٦. (

ويحدثنا القرآن (بعدئذ) عن ضرورة الوفاء بالمواثيق باعتبارها ركنا أساسيا للعلاقات الاجتماعية ، واذا كانت العقود وسيلة للتبادل التجاري ، فإن المواثيق وسيلة للتعاون السياسي الاجتماعي ، الا ان المواثيق يجب ان تهدف تحقيق العدل في الحياة (الايات ٧ / ١١. (

كما تحددت العقود بالاحكام الشرعية و بالتعاون على البر.

و الميثاق السياسي للدولة الاسلامية هو أهم ما يجب على الأمة احترامه ، و يسوق القرآن قصصا تأريخية من واقع بني إسرائيل ليجسد لنا مدى ضرورة الالتزام بالمواثيق و كيف ان نقضها يورث الدمار و اللعنة (الايات ١٢. (14 /

ثم يحدثنا عن ضرورة تطبيق شريعة السماء في المجتمع انها نور و هدى سواءنزلت على موسى في التوراة ، أو على عيسى في الانجيل ، أو على محمد في الكتاب المهيمن على التوراة و الانجيل.

و يسوق القرآن الكريم من تأريخ بني إسرائيل كيف ان مخالفتهم لأوامر السماء جعلتهم يتيهون في الأرض أربعين سنة ، ثم يبين حكم القتل بعد بيان قصة إبني ادم حيث وقعت أول جريمة قتل (الايات ١٥ / ٣٢. (

ومن القتل ينتقل القرآن الى حكم الفساد في الأرض (قطاع الطرق) ومنه الى جريمة السرقة ، ومنها الى جريمة التجسس مما يرتبط جميعا بقية الأمن الاجتماعي . (الايات ٣٣/ ٤٢. (

ويبين ضرورة الالتزام برسالات السماء انى كانت وأن من يخالفها كافر أو ظالم أو فاسق حسب طبيعة المخالفة ، و يسوق أمثالا لهذه المخالفات الثلاث) .. الايات ٤٣ / ٤٧. (

بيد انه ليس من الضروري لاقامة الدولة الاسلامية اباعهم لان القيادة و الهيمنة تكون للاسلام ، حيث لا يجوز للقائد اتباع اهوائهم لانها جاهلية (الايات ٤٨ / ٥٠. (

و الولاء السياسي داخل المجتمع المسلم يجب ان يكون خالصا للقيادة الاسلامية (الايات ٥١/ ٥٣. (

وبعد ان بين القرآن طبيعة الولاء السياسي داخل المجتمع المسلم ، والذي سماه بحزب الله (الايات ٥٤ / ٥٦) عاد و حذر من ازدواجية الولاء ، و بين بعضا من مساوىء أهل الكتاب ، ومن ابرزها حقدهم على المسلمين ، و مسارعتهم في الاثم و العدوان ، و قولهم يد الله مغلولة و فسادهم في الأرض

)الايات ٥٧/ ٦٤. (

وماذا يستفيد الناس من تطبيق شريعة الله ؟ يجيب القرآن : بأنهم سوف يأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم اذا طبقوا كتب الله ، هذا في الدنيا ، اما في الاخرة :فسوف يرزقهم الله جنة النعيم (الايات ٦٥/ ٦٦. (

وعلى الرسول ان يبلغ رسالة الله في كل الشؤون (ومن أبرزها قضية القيادة الاسلامية) ولا يخشى

أحدا (الاية ٦٧. (

ذلك أن رسالة الله هي خير للناس وان الأمة لا تساوي شيئا لو لم تطبق هذه الرسالة بالكامل ومن دون زيادة فيها) الاية ٦٨. (

وان قيمة الايمان و العمل الصالح هي القيمة الاساسية التي يقاس بها الاشخاص في المجتمع الاسلامي على اختلاف انتماءاتهم (الاية ٦٩. (

ولكن حرف أهل الكتاب دينهم ، واتبعوا أهواءهم حتى انه لو جاءهم نبي يخالف أهواءهم كذبوه أو قتلوه ، وزعموا انهم بقتله ضمنوا لانفسهم حياة هانئة ، ولكن كانت النتيجة بالعكس من ذلك تماما (الاية ٧١. (

اما النصارى فقد اتخذوا المسيح إلها بينما كان المسيح يدعو الى الله ، و ينهي عن الشرك به و منهم من قال : ان هناك ألهة ثلاث ، المسيح واحد منهم ، وهؤلاء كفار سوف ينالون جزاءهم إذا لم يستغفروا ربهم.

اذا ، لم يكن المسيح سوى رسول مثل سائر رسل الله ، وأن امة صديقة ، وان أي شخص يعبد من دون الله لا يملك ضرا ولا نفعا فهو الأخر عبد لله ، وإنما تسربت فكرة تعدد الالهة الى الرسالات السماوية من أفكار الجاهلية ، وقدحاربها كل انبياء الله ومن بينهم - المسيح بذاته (الاية ٧٨. (

وهؤلاء الذين أدخلوا هذه الافكار الكافرة في الرسالات هم كفار وبعيدون عن روح الرسالة ، وأبسط دليل على ذلك انهم لا يتناهون عن المنكرات ، وان كثيرا منهم يتخذون الكفار قادتهم و أولياءهم ، و هذه صفة الكفر ، اذ لو كانوا يؤمنون بالله حقا ، لما اتخذوا الكفار أولياء ، بيد ان بعضا من علماء النصارى لا

يزالون متمسكين برسالة الله ، وان لهم جزاء حسنا . وبهذا السرد أراد القرآن فصل قيادة المجتمع الاسلامي عن اليهود و النصارى ، ثم عاد يتحدث عن : تنظيم الحياة الاجتماعي و ضرورة الانتفاع بالطيبات في اطار مراعاة حقوق الناس.

ومن الحقوق مراعاة اليمين الذي ينظم جانبا من حياة المجتمع.

و المجتمع الاسلامي متماسك لانه بعيد عن الطيش (هو سبب من أسباب النزاعات الجاهلية) فلا خمر ولا ميسر ولا انصاب ولا ازلام داخله.

ولا يعني ذلك ان كل لذة حرام في هذا المجتمع . كلا إذ أن كل شيء حلال في حدود القانون الذي تحصنه التقوى و الاحسان)الاية ٩٢. (

فمثلا :كل الطعام حلال إلا بعض الصيد ، الذي جاءت حرمته امتحانا و تربية للناس وذلك هو الصيد وقت الاحرام ، ويختص ذلك بصيد البر اما صيد البحر فهو حلال حتى في وقت الاحرام وتكميلا للصورة .. تحدث القرآن قليلا عن الكعبة ، وانها تخدم النظام الاجتماعي . فلوحرم الله الصيد خلال رحلة الحج فلأن ذلك سوف ينتهي الى تنظيم الحياة الاجتماعية (الاية ٩٧. (

وبعد ان تحدث القرآن عن ضرورة الالتزام بتعاليم السماء ، بين سخافةبعض ما الصق بالدين من خرافات و أساطير.

و بالتالي بين : ان الزيادة في الدين هي بمثابة النقيصة فيه . لا تصلح الحياة به (الاية ١٠٣) وانها جاءت نتيجة التقاليد الجاهلية ، وان على الامة أن تتحصن ضد هذه التقاليد ولا تأبه بها (الاية ١٠٥. (

وتنظيما للحياة الاجتماعية يأتي دور الشهادة حيث انها تحصن المجتمع من الاستهتار بالحقوق ، و يبين الله أحكام الشهادة هنا بايجاز ضمن مثل حي (الاية ١٠٨. (

ثم يعود الى الحديث عن الرسل و دورهم الذي لا يتعدى البلاغ ، وانهم حتى لو فعلوا المعجزات فانما

باذن الله ، وبما اتاهم من قوة و علم ، وان الرفاه الاجتماعي الذي يعقب الرسالات السماوية ، انما هو من الله كما انزل الله مائدة من السماء على الحواريين ، فاننزول المائدة لا يدل على ان عيسى كان إلها ولذلك فهو يسأل يوم القيامة عن مقالة الناس فيه ولكنه يتنصل فورا عن فعله اتباعه لانالملك لله وحده (الاية ١٢٠. (

ركائز المجتمع المؤمن

هدى من الايات

لتأمين الحد الأدنى من الحضارة تحتاج البشرية الى تبادل موارد الرزق ، فيعطي كل انسان الفائض من غذائه للأخر بدلا من أخذه الفائض من غذاء الاخرين.

وقد بدأ القرآن سورة المائدة التي خصصت لتنظيم الحياة الاجتماعية العامة بتقرير مبدأ الوفاء بالعقود حيث انها تنظم علاقات الافراد الضرورية لتعاونهم في التجارة.

وقد تعيش مجموعة من الناس بغير مناهج - اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية ، خلقية - ، ولكنهم كمجموعة يكاد لا يجتمعون بدون تبادل تجاري.

ولكن مبدأ الوفاء بالعقود يجب ان يكون في اطار النظام الاقتصادي العام للاسلام.

لذلك تحدث القرآن عن المباحات و المحرمات فور حديثه عن العقود وقال ان بهيمة الانعام حلال و الصيد في الاحرام حرام ، كما يحرم شعائر الله و الشهر الحرام ، و الهدي و القلائد ، و يحرم ايذاء من يقصد البيت الحرام لغرض التجارة أو الحج ، وكذلك الاعتداء على الاخرين حتى ولو كانوا هم البادئين.

ثم يبين بالمناسبة ضرورة التعاون لتحقيق الخير للمجتمع و لتطبيق نظام الله الذي فيه السعادة.

وعاد الى الحديث عن بعض المحرمات مثل الميتة و الدم و لحم الخنزير ، و بين ان مـن الضروري تجنب العادات الجاهلية دون خوف ، لان الدين كامل لا نقص فيه ، وفي حالة الضرورة يجوز الانتفاع بالمحرمات ، ولكن بقدر الضرورة ومن دون الانحراف الى المحرم ولو نفسيا.

بينات من الآيات

الوفاء بالعقود:

[1]يجب الوفاء بالعقد أي تطبيقه تطبيقا تاما ، حسب ما تراضى عليه و تعاهدا به الطرفان و العقد : هو العهد و الميثاق أو هو الالتزام المتبادل حيث يلتزم كل طرف بشيء في مقابل التزام الطرف الثاني بما يقابله.

و مبدأ وجوب الوفاء بالعقد وجوبا شرعيا ، لانه يلزم صاحبه حقا من حقوق المجتمع . ان هذا المبدأ يجعل كل عقد مشروعا سواء كان تجاريا أو غيره ، وسواء كان عقدا معروفا بين الناس في عهد الاسلام الاول أم لا ، كما يجعل هذا المبدأ التشريع الاسلامي يواكب تطوراتالزمن.

]يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود [

ولعلنا لانجد في كتب القانون و الفقه كلمة موجزة كهذه الكلمة تفيض بعشرات الاحكام و القوانين العامة ، وربما جاء التعبير بـ " يا أيها الذين ءامنوا."

للايحاء بأن الوفاء بالعقود يدخل ضمن ركائز المجتمع المؤمن ، وكأنه يقول : أيها المجتمع المؤمن عليك

الوفاء بالعقود .

و مبدأ الوفاء بالعقود يوحي بحرية التجارة الا ان بقية الاية تحدد هذه الحرية باطار التشريع الاسلامي العام الذي يحل اشياء ، و يحرم اخرى.

]أحلت لكم بهيمة الانعام[

أي الانعام التي لا تفهم شيئا ، هي حلال عموما إلا بعض المستثنيات.

]إلا ما يتلى عليكم[

ومن هذه الاستثناءات:

]غير محلي الصيد وانتم حرم[

أي الاصطياد في حالة الاحرام ، أما الصيد في غيرها فهو جائز و يوجب الملكية.

]ان الله يحكم ما يريد[

وعلينا الا نتصور أننا أحرار في شؤوننا نختار النظم التي تعجبنا .. كلا . فالحاكم هو الله وحده.

اذا هناك حرية و انطلاق في الاسلام . في حرية التعامل التجاري و حيازة المباحات ، ولكن في حدود الارادة العليا لخالق الكون ، و المصلحة العليا للانسانية وفي الايات تفصيل مبين لهذه القضايا.

أنواع الأحكام:

[2]ما هو الحكم الذي يفرضه الله حسبما يريد ؟

يضـرب الله لنا مـثلا واقعيا لهذا الحكم فيقول : ان أحكام الله الاجتماعية نوعان:

الف /هناك أحكام تحافظ على أمن الناس ، و تصون حريتهم ، و تعطي لكل انسان فرصة للانطلاق وذلك مثل اقامة أماكن حرة تنحسر عنها الاعتداءات بأي مبرر كان فلقد جعل الله - الكعبة البيت الحرام - و فرض فيه السلام و الأمن ، و أعطى الحرمة و الحصانة لكل من دخله لكي يستطيع القادمون من تبادل التجارة و تداول الافكار و التعارف على بعضهم ، و بالتالي التعاون في سبيل الخير.

ان الهدف من هذا النوع من الأحكام هو حفظ الناس من شرور بعضهم و فسح المجال أمام كل الطاقات ان يساهم في بناء المجتمع.

باء /وهناك نوع من الاحكام تنظم علاقة الانسان بالطبيعة و الهدف منها صيانة البشر من أضرار الطبيعة ، وذلك مثل حرمة الميتة و الدم و لحم الخنزير وما أشبه.

وعن النوع الاول يحدثنا الله سبحانه قائلا:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله[

أي لا تجلعوا الشعيرة التي جعلها الله حراما ، احلالا و الشعيرة هي البهائم التي تساق الى بيت الله يحرم الاعتداء عليها بالسرقة أو النهب ، أو انها الحج نفسه وفيما يلي توضيح ذلك.

]ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد[

أي لا يعتدي بعضكم على بعض في الشهر الحرام ، ولا يسرق أو ينهب أحدكم الهدي الذي أختص بالكعبة ، ولا تأكلوا البهائم التي تقلد برقابها قلادة للدلالة على انها تساق الى بيت الله.

غرض كل هذه الاحكام هو تبين حرمة الكعبة على الناس ، وهي مقدمة لفرض جو من السلام على ربوع تلك البلاد المقدسة ، وعلى الطرق المؤدية اليها من كل أفق بعيد ، لذلك قال الله بعدئذ :

]ولا آمين البيت الحرام[

أي الذين يقصدون زيارة البيت الحرام ، فلا تعتدوا عليهم ولا تحلوا حرمتهم ذلك لانهم يهدفون رزق الله ورضاه.

]يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا[

أي انهم لا يريدون سلب أموال الناس ولا إلاعتداء على حقوقهم ، بل يريدون الحصول على رحمة الله المتمثلة في حيازة المباحات ، أو التبادل التجاري ، كما أنهم لا يهدفون الخروج على الانظمة الاسلامية بالحصول على مكاسب غير مشروعة بل يبتغون رضوانا من الله ، منهنا نعرف ان الذين يقصدون من وراء

الحج أكل أموال الناس بالباطل أو مخالفة أحكام الله فإنهم لا حرمة لهم.

ان الطبيعة واسعة وبأمكان الجميع ان ينتفعوا بها دون مزاحمة الاخرين ، واذا استل من قلــوب الناس الاحقــاد و روح الاعتداء ، استطاع الجميع الاستفادة من نعم الله . بيد ان هذه الاحقاد تاتي عادة بسبب ردة الفعل ، فكل طرف يتصور أنه ليس هو المبتدء بالاعتداءوانما يقتص ممن أعتدوا عليه باعتداء مماثل وهذا هو الذي يقف حاجزا أمام تعاون الجميع.

وعلى الجميع ألا يدفعهم الاعتداء على مضاعفة الرد (الصاع بصاعين) ، ولا ان يخرجهم من حدود العدالة ، وانئذ فقط يمكن للجميع أن يتعاونوا.

]واذا حللتم فاصطادوا[

ان الله جاء بهذا التمهيد لتوجيه الانسان الى نعم الله الواسعة ، وإبعادهم عن النظر الى أموال بعضهم ولذلك لم يلبث ان قال:

]ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا]أي لا يحتم عليكم اعتداء الاخرين عليكم مقابلتهم بالمثل ، وذلك بأن تعتدوا عليهم قصاصا على أنهم منعوكم عن المسجد الحرام ردحا من الزمن . كلا .. ان شنآن هؤلاء و عداوتهم لكم يجب الا تخرجكم من اطار العدل بل العكس من ذلك . عليكم ان تهدفوا تحقيق التعاون.

التكتل الايماني:

]وتعاونوا على البر و التقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان]هنالك تكتلات عدوانية الهدف منها ظلم الناس واستغلالهم مثل تكتل التجار المحتكرين ضد المستهلكين ، وتعاون الانظمة الجائرة ضد الشعوب المستضعفة ، وهذه لعنة سوداء..

وهناك تكتلات تهدف إشاعة الخير ، وتطبيق النظام .أما إشاعة الخير - فهي البر - وليس البر أن تسعد

على حساب غيرك ، بل أن تسعد و يسعد الجميع معك.

وأما النظام وتطبيقه فهو التقوى اذ هو الحذر من الله ، واتقاء بلائه ، وهو لا يكون إلا بتطبيق نظامه الذي أوحى به الى رسله ، ومراعاة سننه التي أركزها في الطبيعة ، و بتعبير اخر يجب ان يكون الهدف من التعاون اشاعة الخير و مقاومة الشر انى كان مصدرهما.

ويضع القرآن في مقابل البر الاثم ، وفي مقابل التقوى العدوان فالاثم هو دالحصول على أموال الناس بالخديعة (الغش - السرقة - الاحتكار - التعاون مع السلطات الجائرة - الحلف الكاذب. (

بينما العدوان : هو الاستيلاء على حقوق الناس بالقوة ، وبلا أي غطاء.

]واتقوا الله ان الله شديد العقاب [

ومن أنواع عقابه الشديد أن يضرب بعضكم ، بعضا ، ويشعل بعضكم نار حرب بعض على بعض فيحترق الجميع.

أو إنكم بتحالفاتكم العدوانية يخشى بعضكم بعضا ، فيتوجه الجميع الى صناعة السلاح و يضع الميزانيات الرهيبة لغرض التدمير ، فتمتص ميزانيات التسلح ثرواتكم وتحرق جذور السعادة و الرفاه ، فتصبحون على ما فعلتم نادمين.

أوليس هذا بعض ما يعيش فيه العالم ؟!

افلا يرجعون الى هدى الله ؟! والى متى ؟!

[3]لكي يسعد المجتمع لابد ان تنظم علاقاته ببعضه على أساس ثابت من العدل و التعاون ، كما لابد أن تنظم علاقته بالطبيعة بحيث لا تضره شرورها . وقد بين القرآن في هذه الاية جانبا من تنظيم علاقة الانسان بالطبيعة ، و بالذات جانبا من العادات المحرمة التي كانت شائعة في المجتمع الجاهلي انئذ فقال:

]حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير[

لانها كلها تضر بصحة الانسان.

]وما أهل لغير الله به[

أي كل ذبيحة ذبحت على غير إسم الله .

]والمنخنقة[

الذبيحة التي قتلت خنقا وليس ذبحا .

]و الموقوذة[

وهي التي ضربت بآلة غير حادة حتى ماتت (كأن ضربت بصخرة. (

]والمتردية[

التي وقعت من عال فماتت.

]والنطيحة[

التي نطحتها البهائم حتى ماتت.

]وما أكل السبع الا اما ذكيتم[

وما تبقى من فضلاته الا اذا جرحها السبع وقبل ان تموت استطعتم ذبحها بالطريقة الشرعية.

]وما ذبح على النصب[

من أجل إرضاء الاصنام التي لا تضر ولا تنفع فعليكم اجتنابه لانه يمتزج بعبادة الاصنام ، و بالتالي بالشرك .

]وأن تستقسموا بالأزلام[

تلك العادة التي كانت في الجاهلية حيث كان يجتمع طائفة من الناس و يساهمون في شراء شاة ثم يقسمونها بينهم لا حسب سهامهم بل حسب الأزلام حيث توضع أخشاب مختلفة في كيس أو في بطن صنم ثم يسحب كل واحد نصيبه ، فإذا خرجة له خشبة معينة يأخذ نصف الذبيحة ، واذا خرجت اخرى لا يأخذ منها شيئا ، أو يأخذ الرأس فقط ، وهذا نوع من أنواع القمار المحرم.

ان الذبيحة تحرم في هذه الحالة اذا كانت قد ذبحت باسم الصنم الذي يقترع في بطنه على نصيب كل واحد من المشركين.

]ذلكم فسق[

وعمل محرم يخرج الانسان عن حدود التقوى ، بل عن حدود الايمان اذا كان بهدف التقرب الى الاصنام ، و بالتالي اذا كان العمل ذا خلفية شركية.

وإذا كان الجاهليــون قد تعــودوا على هذه العادات السيئة فعلينا مقاومتهم وإياها ، و عدم التنازل لهم فيها ، ذلك لأن خطا واضحا قد رسم بيننا وبينهم فقد يئسوا منا ونحن بدورنا لا يجب أن نداهنهم ، ولا نتنازل عن بعض واجباتنا استسلاما لهم.

علينا ان نعرف ان ديننا كامل لا نقص فيه ، فلماذا نرجع للعادات الجاهلية للاخذ منها.

]اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم و اخشون اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا]الاسلام هنا بمعناه اللغوي الذي استخدمه القرآن في سائر الايات بمعنى التسليم لله و لمناهجــه وانه دين الله الذي ارتضاه لنا و يتجسد في تقوى الله ، واتباع مناهجه ، وفي طاعة رسول الله و أولي الامر من بعده الذين يشكلون الامتداد الرسالي و الطبيعي لخط اللهو الرسول.

وبما ان سورة المائدة جاءت بعد سور القرآن كلها ، فان قضية تكميل الدين طرحت فيها ، و بالطبع تكون قضية القيادة الاسلامية هي أبرز و أهم القضايا المعلقة التي كمل بها الدين بعد نزول سورة المائدة ، وعرف الناس ان الائمة المعصومين عليهم السلام هم القادة الرساليون للأمة سواء حكموا البلاد سياسيا أم لا .. وسواء قاموا بمصالح الأمة العليا أم لم يقوموا.

بيد أن القيادة لا تعني شيئا في منطق الاسلام لو لم تنفصل عن رواسب الجاهلية ، بل لو لم تتحد الجاهلية بشجاعة ومن دون خشية ، وتطبق تعاليم الاسلام.

لذلك جاءت الاشارة الى القيادة ضمن الحديث عن طائفة من عادات الجاهلية التي نسفها الاسلام ليعطي للقيادة بعدها الرسالي بحيث يجعلها لا تنفصل عن مناهج الدين ، فلا يعترف الاسلام بقيادة لا تطبق هذه المناهج وان اختفت تحت غطاء كثيف من الكلمات الدينية و الشعارات الرسالية.

]فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فان الله غفور رحيم]أي إن الحالة الواحدة التي يجوز فيها الاكل من البهائم الميتة المحرمة هي حالة الاضطرار ، حين تعم المجاعة البلاد ، فيجوز الاكل منها بقدر الاضطرار بحيث لا يجوز ان يميل الى أكل الميتة ميلا نفسيا ، بل يظل يعرف ان الاضطرار هو السبب في أكل الميتة فمتى رفعالاضطرار استطاع بسهولة ان يقلع عن أكلها الميتة ، لانه لم يتعود (لا اقل نفسيا) عليها.

الضوابط القانونية في العقود

هدى من الايات

في ذات الوقت الذي يحرم الاسلام طائفة من الاشياء ، لا يريد ان يكبل البشر بهاجس الحرمة ، فيجمد عن الانطلاق و العمل ، لذلك يسد عليه أبواب الحرام ، ثم يفتح أبوابا اخرى و يدفعهم الى ولوجها ففي هذا الدرس يحلل الاسلام الطيبات بوجه عام فالقاعدة الاساسيةهي حلية الطيبات الا ما استنثي مما جاء فيه نص.

و الادوات التي تستخدم في الحصول على الطيبات هي الاخرى يجب أن تكون حلالا الا ما يتلى ومنها :ٍأدوات الحيازة كالكلاب و وسائل التجارة ، أو كالتجارة مع أهل الكتاب ، فكلاب الصيد يجوز أكل ما أمسكن به من الاحياء بشرط أن يذكر الصياد اسم الله عليه.

كما يجوز التبادل التجاري مع أهل الكتاب للحصول على منافع مشتركة ، ليس هذا فقط بل حتى المتعة الجنسية غير المحرمة ، الا في حدود معينة فيجوزالتمتع بالنساء العفيفات سواء كن من المؤمنات أو من أهل الكتاب بشرط أن يلتزم كل طرف بواجباته ، فالزوجة تحصن نفسها ولا يتبعها لقاء ذلك أجر ، و الزوج يؤدي أجورها بالكامل.

إذا فدين الله ليس دين الجمود ، ولا دين الكبت والارهاب ، بل هو دين النظافة و التوجيه.

بينات من الايات

كل شيء طيب الا:

[4]الجهل يدعو صاحبه الى التطرف يمنة أو يسره ، كما إذا ضل شخص في الصحراء و جهل الطريق فانه ينحرف عنه ذات اليمين و ذات الشمال.

و ليس بامكانه من دون العلم ان يلتزم بالطريق المستقيم ، و لقد كانت الجاهلية تعيش بين خطي الفوضى المطلقة ، حيث لا شيء حرام عندهم ، كما كانت الحال عند عرب الجزيرة غالبا حيث خط (الجمود المطلق) فهم يحرمون على أنفسهم طيبات الدنيا (كما كانت الحال عند بعض المسيحيين و المترهبين من العرب) وجاء الاسلام بالقول الفصل ، فحرم ما يضر البشر صحيا أو خلقيا أو اجتماعيا ، و حلل الطيبات و جعل القاعدة الاساسية أن كل شيء طيب حلال حتى تعلم حرمته بالذات.

وسائل الكسب:

و الطيب هو كل ما يستطيبه العقل السليم.

]يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات[

وسألوا عن بعض الوسائل التي يحصلون بها على الطيبات ، فأجاب القرآن عن وسيلتين احداهما : نموذج لوسائل الحيازة و الاستفادة من الطبيعة ، و لكنه نموذج يثير الشك و يدعو الى التساؤل إذ أنه غريب على الطبيعة وهو صيد الكلب.

فهل يمكن استخدام الحيوانات في حيازة المباحاة ، و الكلب بالذات حيوان نجس و مكروه في الدين فهل تحل ذبيحته ؟

وحين أجاب القرآن عن هذا التساؤل بالايجاب تبين أن الطرق الاخرى التي قد تستخدم في حيازة المباحات طرق مشروعة (كاستخدام اليد أو الالآت الحادة كالسكين أو الحيوانات المحببة الاليفة وما اشبه)و الثانية : وسيلة من وسائل التعاون في الحياة ، و تبادل المنافع و التجارات وهي ايضا وسيلة قد يثار حولها بعض التساؤلات:

هل يجوز التعامل التجاري مع أهل الكتاب أم لا ؟

فلما أجاب القرآن بالاباحة تبين بالطبع حرية التجارة مع كافة المسلمين . هكذا خصصت هذه الايات عن ضرورة التخلص من الرهبنة و اتخاذ كل شيء حراما ، بل بالعكس كل شيء حلال ، حتى يتلى فيه نص صريح.

]وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله]فهذا ارشاد بان تعليم الجوارح ليس فقط مباحا ، بل و مستحبا ايضا ، لأنه يساعد على رفاه الانسان.

]فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا أسم الله عليه[

بأن يذكر الصياد اسم الله حين يبعث كلبه.

]و اتقوا الله إن الله سريع الحساب[

[5]وإذا كانت الطيبات أو بعضها محرمة على بعض أهل الكتاب بسبب سوء أفعالهم ، و ظلمهم لانفسهم فانها قد أحلت لكم حيث انتهى السبب الداعي الى التحريم.

]اليوم أحل لكم الطيبات[

و الوسيلة التجارية التي تحصلون بها على الطيبات محللة لكم هي الاخرى حتى ولو كانت التجارة مع غير ملتكم مثل (أهل الكتاب. (

]و طعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم و طعامكم حل لهم]وبالرغم من ان الطعام يعم الحبوب و الفواكه و يشمل الذبيحة و المطبوخات الجاهزة للأكل ، بالرغم من ذلك فان سياق الاية يدل على التبادل التجاري و التبادل التجاري لا يكون عادة الا في المأكولات غير الجاهزة مثل الحبوب و البهائم غير المذبوحة ، اما المأكولاتالجاهزة فهي قليلة التداول خصوصا في ذلك الوقت.

و المحصنات من أهل الكتاب:

]و المحصنات من المؤمنات و المحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم]أي يجوز لكم التمتع بهن في عقد دائم أو عقد مؤقت و الجنس ليس خسة أو خبثا ، أو حالة بهيمية عند البشر ، كلا ان الجنس لذة طيبة هيأها الله للانسان.

ولكن يجب ان يكون التمتع بالجنس في حدود الشرع المقدس.

فأولا :يجب ان تكون المرأة محصنة (أي عفيفة ، أحصنت فرجها ، و صانت كرامتها (ومن جانب ثان : أحصنها زوجها أي جعلها في حصن اللذة المشروعة حتى لا تفتش عن لذة حرام.

ثانيا : أن يلتزم الزوج باداء حقوقها ، و بالذات مهرها الذي هو أجر حصانتها و اخلاصها للزوج ، و تمكينها للزوج انى دعته اليها حاجة جنسية.

ثالثا : الا يهدف الزوج من وراء العلاقة مع المراة السفاح ، و ضياع ماء الحياء ، و التلذذ بالمقاربة الجنسية لفترة محدودة ، بل يكون هدفه بناء حصن الزوجية الرصينة حيث يحافظ كل واحد على حقوق الثاني و حرماته.

رابعا : الا يكون الهدف من وراء العلاقة الصداقة المائعة ، حيث يوفر كل واحد لصديقه الجنس مقابل توفير الثاني له ذلك من دون التزامات قانونية محدودة - كلا - يجب ان يكون تراضي الطرفين على اساس الاحكام الشرعية و بالتعهـد على الالتزام بها.

انك قادر على تبادل الهدايا مع اصدقائك أو أقاربك لأن ذلك التبادل لا يؤدي الى الخلاف و النزاع ، ولا يضعضع علاقاتك الاجتماعية الأخرى ، ولكن لا يجوز لك أن تبادل امراة أجنبية الحب و الجنس كهدية متقابلة لان الجنس قضية هامة في حياة البشر ، و ركن أساسي منأركان التعاون الاجتماعي فلو سمح لنا القانون بان يكون الجنس حسب أهواء الطرفين ، ومن دون الضوابط القانونية لكانت نهايته تفكيك عروة من العرى الاجتماعية و لتزلزلت أرسخ قاعدة من قواعد التماسك الاجتماعي ، من هنا فرض الاسلام أحكاما في العلاقة الجنسية ، وأمر

بان يكون ترابط الطرفين بينهما على اساس هذه الاحكام ، وليس لمجرد الصداقة واتخاذ العلاقة كهدايا متبادلة .

]اذا اتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان]واعتبر القرآن الخروج عن هذه الانظمة بمثابة الخروج عن الدين ، اذ أن الفكر ليس قولا انما هو عمل و سلوك.

الايمان قول و عمل:

]ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله [

أي من يكفر بعد ان كان مؤمنا ، أو مع التظاهر بالايمان فان أعماله الصالحة غير مقبولة عند الله بل تحبط و تقذف في وجهه ، ولا تنفعه شيئا.

]وهو في الاخرة من الخاسرين[

فلا يظن أحد ان بإمكانه الجمع بين العقيدة الصحيحة و العمل الفاسد ، إذ أنه سوف يؤخذ بعمله ولا يؤبه بعقيدته التي يدعي أنه يلتزم بها فكريا.

التطهر واجب اسلامي

بينات من الايات

[6]تأتي آية التطهر في إطار الحديث عن المجتمع الاسلامي للدلالة على الجانب الاجتماعي في الطهارة ، ولبيان العلاقة بين طهارة القلب و طهارة الجسد ، و قد رأينا في سورة النساء كيف جاءت اية التطهر (٤٣) بعد ايات النهي عن البخل و الرياء ، و قبل ايات النهيعن تحريف الدين.

وهنا جاءت هذه الاية في سياق النهي عن طائفة اخرى من المنكرات بينــها الزنا ، فكان الحديث عن الوضوء و الغسل مناسبا لطبيعة العلاقة بين حرمة الزنا و حرمة الميتة و الدم و ، . و. وتنظيم العلاقة الجنسية مما يرتبط بصحة الجسم ، وبين الطهارة التي تتصل هي الاخرى بالصحة ، اضافة الى العلاقة بين طهارة الظاهرالتي تجسده واجبات الوضوء و الغسل ، و طهارة الباطن التي يمثلها الابتعاد عن دالمحرمات.

]يا أيها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا و جوهكم و أيديكم الى المرافق]الوضوء

ان الشرط المسبق للتحدث مع الله في مراسيم العبادة ، هو التطهر و ذلك بغسل الوجه مما يصدق عليه الوجه عرفا ، و قد حدده الفقهاء بأنه من منابت الشعر الى نهاية الذقن طولا ، وبما يشمل عليه الابهام و الوسطى عرضا.

اما اليد فانها تطلق عادة على أي جزء من العضو المشهور.

ولذلك حدد القرآن مقدار المغسول منها بالمرفق على ان يكون المرفق جزء منه.

الغسل:

وقد سكت القرآن عن بيان طريقة الغسل وما يغسل به ، ولكن بما ان القرآن يتحدث الى الناس الذين يمارسون الغسل طبيعيا ، و يعرفون كيفياته ، فان ذلك يكفينا دليلا عن كافة التفاصيل.

شرائط الغسل:

فأولا : الغسل يكون بالماء و ليس بأي سائل اخر (فلا يجوز بعصير البرتقال او بالكحول مثلا)ثانيا : ان الغسل يكون عادة من الأعلى الى الأسفل لان الهدف منه ان يحمل الماء الوسخ في جريانه ، و بالطبع فالماء لا يجري الى الأعلى بل يجري الى الأسفل.

من هنا يجب ان نصب الماء اولا على الجبهة ومن ثم ينحدر على الوجه ،كذلك يجب ان نصبه على المرفق ومن ثم ينحدر الى الذراع و الكفين.

كيفية الغسل:

و اتصور ان التفسير الذي يجعل كلمة (الى) في هذه الاية بمعنى (نهاية عملية الغسل) و يزعم ان بدايتها الكفان وان الغسل ينبغي ان يكون من تحت الى الاعلى ، اتصور انه تفسير ساذج لا يتفق مع بلاغة القرآن ، كما انه يخالف العرف العام .. أوليس اذا قال الأب لأبنه اغسل يدك الى الرسغ ، هل يفهم من ذلك ان الغسل يبدأ من الرسغ ، فلا يتصور الابن ان والده أمره بان يقلب كفيه حين يغسل ؟ أوليس اذا امرت الصباغ بان يصبغ غرفتك الى السقف ، أولست تضحك عليه اذا رأيته يأخذ بالصبغ من أسفل الغرفة صاعدا الى السقف ، بل قد تنهاه عن ذلك لانه يسبب تشويه الغرفة ، فاذا قال لك انت امرتني بان أصبغ الى السقف ، اوترد عليه باني انما أردت ان يكون نهاية المقدار المصبوغ عند السقف ؟! ولم أرد ان يكون اسلوب الصباغة من تحت الى فوق .. اذ ان الاسلوب شأنك انت وليس من شأني .. وانت تعرفه جيدا.

كذلك في العرف يعرف كيف تغسل الاشياء ، ولكن على الشريعة ان تحدد لهم فقط المقادير.

كيفية المسح:

]وأمسحوا برؤوسكم و أرجلكم الى الكعبين[

أي أمسحوا بجزء من رؤوسكم فتدل الباء هنا على ضرورة مسح جزء من الرأس ، اما الرجل فبالرغم من أنها هي الاخرى يمسح عليها ولكن القرآن جعلالكلمة منصوبة من ناحية الاعراب (أرجلكم) بفتح اللام لماذا ؟ لانه لو جعلها مجرورة) أرجلكم) بكسر اللام اذا لكان تقديره (بارجلكم) ومن الطبيعي ان هناك اختلافا كبيرا بين المسح بالرجل و المسح بالرأس ، فالمسح بالرجل يعني عند العرف جعل الرجل أداة للمسح كأن أمسح برجلك الارض فقد قال الله تعالى:

]أضرب برجلك هذا مغتسل بارد و شراب[

بيد ان الرأس لا يصبح أداة للمسح فلا يتصور ان يكون معنى امسح برأسك أي اجعل رأسك اداة للمسح بشيء أخر ، بل يتبادر الينا معنى (البعضية) أي امسح ببعض رأسك.

من هنا كان من البلاغة ان يفتح كلمة الرجل ليكون المعنى (وأمسحوا أرجلكم) فيجعل لفظ أرجلكم معطوفا على محل (برؤوسكم (وليس على لفظه ، أو يقدر له كلمة أمسحوا بدلالة السياق.

ولو قال القرآن أمسحوا بارجلكم لكنا نتساءل أي شيء نمسحه بأرجلنا ، وكأن الارجل أداة للمسح و الكعبان هما قبتا الرجل.

ا لتيمم:

]وان كنتم جنبا فأطهروا[

أي اغتسلوا.

]وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا]أي توجهوا الى تراب طاهر أو أرض طاهرة لتتطهروا بها تيمما.

]فامسحوا بوجوهكم و أيديكم منه[

بان تضربوا أيديكم على التراب ، فاذا علقت به عالقة من التراب فامسحوا بها بعضا من وجوهكم ، و بعضا من أيديكم ، اما الوجه فهو الجبين و الجبهة الى بداية الانف ، أما اليدان فتمسح الكفان منهما ابتداء من الرسغ حتى رؤوس الأصابع.

إن حكم التطهير ليس الهدف منه ابتلاء المؤمنين بعمل شاق ، بل الهدف منه تطهيرهم من النجاسات الظاهرة و الباطنة.

الحرج:

]ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج [

ان أي حكم شرعي يصل في صعوبته الى درجة الحرج (وهي الصعوبة الشديدة التي لا تحتمل) فانه يلغى أو يبدل بما هو اخف منه فالحج و الصوم و الصلاة و . و . اذا كانت تحتوي على صعوبات جسدية لا يحتملها ولا يطيقها الشخص فانها تخفف فيسقط بعض واجبات الحج و يبقى البعض فقط ، و كذلك تصبح الصلاة عن جلوس بدل القيام ، أو بالايماء بدل الحركات ، أو انها تحذف فيما إذا كان الواجب لا يتحرز .. مثل الصوم ، فانه يحذف مرة واحدة اذا كان ذا صعوبة بالغة لا يطيقها الفرد.

وقد ضرب الله مثلا لهذه القاعدة الفقهية التي تسمى بقاعدة (الحرج من واقع التيمم الذي جاء بديلا عن الوضوء و الغسل في أوقات الحرج مثل المرض أوالبرد القارص ، أو قلة الوقت لعجلة السفر ، أو فقدان الماء ، أو الخوف من عــدو قاهر..

و نستطيع ان نستأنس بهذه الامثال التي ساقها القرآن الحكيم هنا في تفصيلات قاعدة الحرج و تعميماتها على الاحكام الجزئية الاخرى.

أنهم اناس يتطهرون:

]ولكن يريد ليطهركم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون]الهدف من الغسل و الوضوء أو التيمم هو طهارة الجسد ، و طهارة الروح ، و الجسد يطهره الماء و التراب أما الروح فانها تتمرغ في أوحال الشهوات فتحتاج الى ان تتطهر بتجدد الايمان ، و عمليات التطهير هي رمز هذا التجدد . كيف ؟

الرجل ينام و يلبي بالنوم حاجة جسدية ملحة ، و لكن روحه غير راضية عن ذلك ، ان الروح تتطلع الى عمل دائب ، و جهد مستمر لتحقيق مزيد من أهدافها في فرصة العمر لذلك فحين يقوم المرء من النوم يجد روحه كسولة غير راضية ، فيذهب الى المــاء و يتطهر استعدادا للصلاة بهدف تحقيق مرضاة الله في العمل بواجبات الدين ، و بالتالي في تحقيق أهداف الروح ، فيرفع الكسل عن روحه بذلك و يجد أن روحه بدأت تسير في الاتجاه الصحيح.

ان قيمة التطهر الروحية آتية من انه مقدمة و تمهيد للواجبات و استعداد نفسي لها.

و الله حين يبين حكم التطهر فانما يكمل الدين بذلك ، ولا يدع الدين مرتبطا بالجوانب المعنوية فقط ، بل بكل الجوانب وهذا من تمام نعمة الله على الانسان ،ولكن هل يشكر البشر ربه بهذه النعمة التامة المتجسدة في دين كامل أنزله اليه ، وهل يعمل به حتى يسعد في الدارين . هذا السؤال ؟ ! ومنك الاجابة.

الميثاق
هدى من الايات
بين الرب و العبد:

بين الانسان المسلم و بين الله ميثاق اجتماعي عليه ان يلتزم به لانه سبب مباشر لنعمة الله عليه ، و نصره له ، و الالتزام يجب ان يكون نابعا من القلب فلا يداخله تردد أو نفاق.

أما بنود هذا الميثاق فهو:

أولا : العمل الدائب من أجل الله من دون كلل أو كسل.

ثانيا : الشهادة بالقسط لا بالزور ولا من أجل مصالح خاصة.

ثالثا : إقامة العدل في المجتمع حتى مع الاعداء.

رابعا : التقوى في تطبيق هذه البنود وغيرها من فرائض الدين.

و بالالتزام بهذه البنود يمنح الله المؤمنين مغفرة منه تمحي ذنوبهم السابقة ، و تعرض عن تخلفهم و تكاسلهم في الماضي ، و تفتح لهم آفاق التقدم و الرفاه ، بينما العكس يورد الجحيم.

تطبيق الميثاق:

ولكي نطبق الميثاق بدافع قوي علينا ان نتذكر أبدا أن تطبيق هذا الميثاق في السابق هو الذي خلصنا من براثن العدو بعد ان امتدت الينا ، وفي المستقبل سيكون الوضع كذلك لو آمنا بالله ، و توكلنا عليه ، و لم نخضع لأية ضغوط جاهلية تمنعنا عن تطبيق مناهج الدين وفي طليعتها الميثاق المقدس.

بينات من الايات

الرسالة:

[7]أكبر نعم الله على الانسان نعمة الرسالة ، إذ أنها الاداة التي تمكن البشر من الانتفاع بسائر نعم الله عليه ، فمن دون مناهج الدين لا ينتفع البشر من نعمة الصحة ، بل يفسدها بارتكاب الموبقات ولا ينتفع بنعمة العقل ، بل يدسه في تراب الشهوات ، ولا ينتفعبنعمة الحرية بل يكبلها بأغلال الشك ، و عبودية الجبت و الطاغوت.

من هنا يذكرنا الله بالنعمة الكبرى)نعمة الرسالة) التي وفرت لنا فرص الإنتفاع بنعم الحياة ، يذكرنا بها مرة بعد مرة فيقول:

]واذكروا نعمة الله عليكم[

بيد ان هذه النعمة بحاجة الى ما يكرسها و هو الميثاق الذي تعهدنا مع الله في العمل به ، فمن دون الإلتزام بالميثاق لا نقدر على الاستفادة من نعمة الرسالة.

]و ميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا و أطعنا]لابد ان نتذكر يوم الميثاق حتى لا نتصور أن نعمة الرسالة وما وراءها من نعم الحياة سوف تبقى لنا أزلية ، كلا .. انما تبقى لنا ما دمنا ملتزمين - نحن بدورنا - بالميثاق و ذلك هو التقوى.

]و اتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور[

فأية نية لنقض الميثاق ترصد من قبل الله ، و يؤآخذ صاحبها عليه أخــذا شديدا.

بنود الميثاق:

[8]لهذا الميثاق بنود ثلاث:

الاول : العمل النشيط من أجل الله ، فعلينا ألا نتوانى عن تنفيذ واجباتنــا الدينية ، أو مسؤولياتنا الاجتماعية.

ان الله لا يحب الامة الكسولة المتخلفة التي لا تنشط في الحياة ، كما لا يحب الامة التي تنشط لا من أجل الله بل من أجل مصالحها العدوانية . إن الله يريد منا ان نكون مجتمعا دائم الحركة و الفعالية و لكن باتجاه الأهداف السامية ، وهذا معنى أن نكون كما قال الله:

]يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله[

أي أن نبالغ في القيام من أجل تحقيق أهداف الرسالة المتجسدة في عمارة الارض و إشاعة الخير في

أرجائها.

الثاني : ان تكون الامة واعية لذاتها ، و لما يجري حولها ، وتمتلك موقفا سليما ، و تعلن عن هذا الموقف بإصرار.

فالأمة التي يلفها الجهل و الغيبة عن الحياة ، و الأمة التي لا تملك المقياس الصحيح لتقييم أحداث الحياة ، و الأمة التي لا تعلن عن مواقفها السليمة . انها ليست الامة التي يريدها الله و التي يقول عنها :

]شهداء بالقسط[

ذلك لان الشهادة لا تكون إلا بعد العلم بالحقيقة و بعد الاستعداد لإعلان الموقف منها.

الثالث يجب ان تكون الأمة عادلة حتى مع اعدائها ، ولا تنمو فيها الحساسيات العدائية ضد هذا أو ذاك ، ولا تنجر وراء هذه الحساسيات في سلب حرية الأمم الاخرى و نهب خيراتها.

]ولا يجرمنكم شنآن قوم معل ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى]العدل هو أقرب و سيلة لتحقيق مرضاة الله ، و اتقاء عذابه ، أما الظلم فهو أقرب طريق الى النار.

]و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون[

مكتسبات تنفيذ الميثاق:

[9]و بسبب تنفيذ بنود الميثاق تجازى الامة بجائزتين.

الاولى : اصلاح ماضيها السيء ، و تصفية رواسب هذا الماضي.

الثانية : ضمان مستقبلها الحافل بالخيرات في الحياة الدنيا وفي الاخرة.

]وعد الله الذين ءامنوا و عملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم]و الله لا يخلف وعده وقد جاءت كلمة (لهم) تأكيدا على أن الله قرر هذا الجزاء لهؤلاء قرارا نهائيا لا رجعة فيه.

[10]اما من خالف هذه الصفة فبدلا من الايمان الكفر ، و بدلا من تطبيق مناهج الاسلام بالعمل الصالح التكذيب بهذه المناهج المنزلة في آيات القرآن و بذلك فانه من المقيمين في الجحيم.

]والذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم [11][ان نعمة الايمان تستقطب سائر النعم وفي طليعتها نعمة العزة و المنعة ، ولقد كانت العرب في الجاهلية أذلاء يطمع فيهم كل دنيء ورديء فجاء الايمان و نفخ فيهم روح الشجاعة و الوحدة ، فانتصروا على أعدائهم.

اننا يجب ان نتذكر دائما كيف كنا قبل الايمان أذلاء و كيف أصبحنا أعزة ، ذلك لان هذا التذكر يجعلنا نعرف أكثر فأكثر قيمة الايمان ، و نندفع الى العمل بواجباته و فروضه ، ومن أبرزها العمل ببنود الميثاق الآنف الذكر.

]يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكمايديكم فكف ايديهم عنكم[

لان الله قذف في قلوبهم الرعب فتولوا هاربين.

سبيل الانتصار:

]و اتقوا الله[

بتطبيق مناهجه ، و تنفيذ الميثاق الذي بينكم و بينه.

]وعلى الله فليتوكل المؤمنون[

فلا يخشون القوى الاجتماعية المناهضة ان تنحرف بهم عن العمل بمسؤولياتهم كأمة رسالية ، بل يستمروا على طريق الحق برغم ضغوط الاعداء.

ان العامل الاساسي الذي سوف يحسم الصراع القائم بين الجاهلية و الاسلام هو الخوف ، فاذا استرهب الجاهليون جانب المسلمين انهزموا ، وهذا ما كان يحدث دائما ، اما اذا تمكن الخوف من قلوب المؤمنين فإن العدو سيهزمهم ، و تقوى الله) بتنفيذ برامجه) و التوكل عليه (بالشجاعة و الاقدام) هما اللذات يطردان الخوف من الامة و يقذفان به في قلوب العدو.

الامة التي نقضت ميثاق ربها

هدى من الايات

بعد ان بين القرآن في حديثه السابق أهمية الميثاق و ضرورة الالتزام ببنوده عاد ليضرب مثلا من واقع اليهود الذين نقضوا الميثاق ، ومثلا من واقع النصارى.

اما اليهود فقد أخذ الله منهم الميثاق ، وأرسل اثني عشر رئيسا عليهم - بأعتبارهم اثنتي عشرة قبيلة - و فرض عليهم في الميثاق اقامة الصلاة ، و ايتاء الزكاة ، و الايمان بكل الرسل و السير وراءهم ، و المبالغة في عمل الخير و وعدهم إنهم ان طبقوا هذه المواثيق، فسوف يغفر الله ذنوبهم ويدخلهم الجنة ، اما من كفر فسوف تلفه الضلالة و ينحرف عن السبيل.

بيد ان اليهود نقضوا الميثاق ، فلعنهم الله ، وأول ما جازاهم بنقض الميثاق كانت قسوة القلب التي كانت العلة في سائر المحرمات ومنها:

اولا : تحريف ايات الكتاب و عدم الاستفادة منها عمليا.

ثانيا : الخيانة التي أصبحت عادة شائعة فيهم ، و لذلك نصح الله رسوله بأن يعفوا عنهم ، ويحسن إليهم لعلهم يرجعون.

هكذا لعن الله اليهود بنقض الميثاق .

أما النصارى : فإنهم لما نقضوا الميثاق أوقع الله بينهم العداوة فأخذوا يتآكلون داخليا ، و يضرب بعضه بعضا ، و سوف يظلون هكذا الى يوم القيامة حيث يأخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر.

إن هذا كان مصير اليهود و النصارى حين نقضوا الميثاق ، ولكن دعنا نعتبر منهم و نلتزم بالميثاق التزاما شديدا.

بينات من الايات

ميثاق بني إسرائيل:

[12]لكل أمة ميثاقها المرتبط بظروفها الحياتية و بحاجاتها التشريعية ، و بنو إسرائيل اتخذ الله منهم ميثاقا مرتبطا بظروفهم يعالج مشاكلهم ، وأبرز مشاكلهم التي لا زمتهم خلال تاريخهم كانت مخالفتهم

لرسلهم ، فإذا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم خالفوه ، فقتلوه أو كذبوه.

وكان اتباع و تعزير الرسل أهم بنود الميثاق ، بالاضافة الى اقامة الصلاة و ايتاء الزكاة و التضحية بمزيد من المال في سبيل الله.

هذا من جانب بني إسرائيل.

واما من جانب الله فقد وعدهم بإن يكون معهم في الدنيا ، ينصرهم فيالحرب ، و ينعم عليهم في السلم و الرخاء وأن يكفر عنهم سيئاتهم ، و يدخلهم الجنة في الاخرة.

]ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا]أي جعل الله لكل طائفة منهم نبيا أو قائدا يدبر شؤونهم.

لنستوجب رحمة الله:

]وقال الله اني معكم[

]لأن اقمتم الصلاة[

]وآتيتم الزكاة[

]و آمنتم برسلي و عزرتموهم[

]و اقرضتم الله قرضا حسنا[

البند الاخير : يعني الجهاد في سبيل الله بالمال و هو يختص بالظروف الاستثنائية)كحالة الحرب أو حالة المجاعة) حيث يجب على كل فرد ان يتنازل عن حقوقه المشروعة ، و يطوع إرادته من اجل الصالح العام اما الزكاة فهي حق واجب على المؤمن ان يدفعه في الظروف العادية.

ان الميثاق كان يأمرهم بهذه البنود و يعدهم بأن يكون الله معهم في الدنيا وان يكون جزاؤهم في الاخرة حسنا.

]لأ كفرن عنكم سيئاتكم و لادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار]وجاء في الميثاق انذار صريح لمن لا يطبقه.

]فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل[

وكيف حال من يضيع الطريق المستقيم و يتيه في الصحراء ؟

القلب و التحريف:

[13]بيد أن أغلب بني إسرائيل خالفوا الميثاق و لعنهم الله.

]فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم[

فأبعدهم الله عن حظيرة الايمان ، ولم تعد قلوبهم تستوعب نور معرفة الله لعظمته ، وتخشى عذابه ، و ترجوا رحمته ، لم تعد نفوسهم تندفع الى الخير ، وترهب عواقب الشر ، فأصبحت قلوبهم جامدة لا تهزها متغيرات الحياة ، ولا تؤثر فيها الأحداث ، و بالتالي أصبحت قلوبهم قاسية.

]وجعلنا قلوبهم قاسية[

ان القلب يلين بالمعرفة و الموعظة و يقسو بالجهل و الغفلة .. ان معرفتك بالله تجعلك تخافه و ترجوه ، وبين الخوف و الرجاء يلين قلبك و يستعد للتفكير الموضوعي و يتقبل الحق الذي يهديه اليه تفكيرك الموضوعي و يندفع للعمل الذي يستوجبه الخوف و الرجاء ، القلب اللين يحب و يكره يحب ما يسبب له السعادة و يكره ما يشقيه فالقلب اللين كأرض لينة تنبت الزرع ، و تستجيب للعمران.

أما اذا جهلت الحياة ، ولم تؤمن بالله ، ولم تع الاخطار التي تهددك ولم تعرف المنافع التي يمكن ان تأتيك فإن قلبك يقسو و يصبح صلبا لا يتحرك لرجاءولا يهتز لخوف ، انك تشعر وكأن الكون جامد من حولك ، وان ما عندك من خير و نعمة لا يزول ابدا ، وان ما بك من نقص او عجز لايزول ابدا ، فلماذا الخوف إذا ؟ ولماذا الرجاء ؟ و لماذا التفكير الموضوعي ؟ ، وبالتالي لماذا التحرك و النشاط ؟

القلب القاسي يقبع في زنزانة الذات ، ولا يرى سببا لمعرفة الحياة ولا للتوافق مع سنتها و حقائقها ، اذ أنه لا يخاف ولا يرجو ، ومن هنا فإنه يستهين بالعلم و يستخف بالحق و برسالات السماء بل و يلعب بها حسبما تملي عليه أوهامه.

انه يحرف كلام الله لانه لا يرى قيمة لكلام الله ، ولا يشعر بانه هو الذي يجلب الخير اليه و يدفع الضر عنه ، ذلك لانه اساسا لا يعقل زوال الخير عنه ، ولا خطر نزول الضربة.

من هنا لعن الله اليهود بقسوة القلب فحرفوا كلام الله.

]يحرفون الكلم عن موضعه[

يحرفون كل كلام عن موضعه الصحيح ، و يضعونه في موضع آخر إما بتحريف الكلمة ذاتها مثل ما فعلوا بما يخص بشارة نبوة نبينا محمد (ص) فغيروا فيها بحيث لا تتوافق و دلائل بعثته ، او بتأويل الكلمة الى غير معانيها الأصلية.

لقد قالت اليهود : أن كل ما جاء في التوراة من ذم الربا و السحت و أكل أموال الناس بالاثم و العدوان ، انها جميعا تختص بعلاقة اليهود ببعضهم ولا تشمل علاقة اليهود بغيرهم من الأميين حيث زعموا انه يجوز الاعتداء عليهم.

وبذلك حرفوا الكلم النازلة حول هذه الموبقات عن مواضعها الصحيحة ، وهي علاقة الناس ببعضهم (اليهود و غيرهم) الى مواضع اخرى تتوافق معأهدافهم الخبيثة .

ولم يكتف اليهود بتحريف الكلم ، بل و حرفوا بعض بنود الرسالة لانهم حين قست قلوبهم لم يعطوا للرسالة قيمة فحرفوا منها ما خالف أهواءهم.

]و نسوا حظا مما ذكروا به[

ولــم يقــل القــرآن حــذفوا قسما من الرسالة بل قال : (نسوا حظا مما ذكروا به. (

لان الرسالة باقية لا تتغير ، ولا يقدر احد ان يحذف منها شيئا بل هم الذين نسوا و بالتالي ابتعدوا عن بعض بنود الرسالة.

ثم عبر القرآن بكلمة (حظ) عن جانب للدلالة على ان القسم الذي نسوه من الرسالة كان بالتالي في صالحهم كسائر أقسام الرسالة.

واخيرا قال الله (مما ذكروا به) لبيان أن عقولهم كانت تتوافق مع بنود الرسالة التي كانت تذكيرا لتلك العقول ، بيد أنهم أداروا ظهورهم عن هدى عقولهم ايضا .. فلم يحفلوا بالرسالة ولا بما ذكرت به.

ولم تنته فصول اللعنة التي احاطت باليهود بسبب نقض الميثاق عند هذا الحد ، بل سيطرت اللعنة على سلوكهم العام.

]ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم[

لأنهم أصيبوا بقسوة القلب ، و الاستخفاف بالرسالة و تحريفها ، و نسيان جانب منها ، فقد توغلوا في الانانية وما الأنانية سوى وليدة الاستهانة بقيم الحق ، و التمحور حول الذات.

وهذه الأنانية ولدت عندهم خيانة بعضهم البعض الآخر ، لأن الامانة تأتي نتيجة الخوف و الرجاء و الالتزام بالقيم و التمحور حول الحق.

اما هؤلاء فكانت قلوبهم صخرية ، ولم يجدوا حتى رائحة القيم فلماذا الامانة ؟

بيد ان خيانة هؤلاء يجب الا تدعونا الى خيانة مضادة ، إن الأمة الأسلامية يجب ان تحتفظ بأخلاقياتها السامية عند تعاملها مع الامم الفاسدة خلقيا ، والاتكتسب منها سيئات خلقها و سلوكها.

لذلك نبه القرآن الى ذلك بالقول:

]فأعف عنهم و أصفح ان الله يحب المحسنين[

العفو :هو عدم مؤاخذة المذنب بذنبه ، و الصفح : هو نسيان هذا الذنب كلية ، و الاحسان : هو محاولة اصلاح المذنب برفع اسباب ذنبه (كالفقر و الجهل أو الحقد. (

النصارى النموذج الاخر:

[14]كانت تلك قصة نقض اليهود للميثاق ، اما قصة النصارى في نقض الميثاق فهي تختلف جزئيا في قسوة القلب فلان رسالة المسيح كانت منصبة على المواعظ و الترغيب و الترهيب فإن النصارى لم يصابوا بلعنة قسوة القلب.

بيد ان النصارى نسوا - مثل اليهود -جانبا من رسالتهم ، و اتبعوا في ذلك الجانب أوهامهم و شهواتهم و مصالحهم.

ولأن البشر حين يتبعون أوهامهم و شهواتهم و مصالحهم فانهم يختلفون فيمابينهم بسبب اختلاف الاوهام و الشهوات و المصالح من طائفة لأخرى بل من شخص لآخر لذلك فقد اختلف النصارى وانتهت حياتهم الى جحيم.

]ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة و البغضاء إلى يوم القيامة]ان التزام الأمة كلها بالميثاق ، يوحدها ، و يصبح الميثاق بوتقة تصهر خلافاتها و مصالحها.

فإذا تركوا الميثاق عادوا الى الخلاف الأبدي ، و ليس هناك ما يوحد الناس مثل الالتزام بميثاق واحد.

]و سوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون[

لان الله مهيمن عليهم ، يحصي عليهم أعمالهم ، و يسجلها ليحاسبهم بها في يوم القيامة.

الاسلام بصيرة هدى و منهاج صلاح

هدى من الايات

لقد نقضت اليهود و النصارى الميثاق ، و حرفت كتبها .. فما هو العمل الان ؟ ان عليهما الالتفاف حول رسالة الله الجديدة التي لا تزال بيضاء نقية و لم تدخلها شائبة الشرك بالله.

إن هذه الرسالة أوضحت الحقائق ، التي حاول أهل الكتاب إخفاءها ، وإلغاء بعض الأحكام المؤقتة التي استوجبتها ظروف خاصة ، وهي بالتالي نور يذكر البشر بربه و يثير دفينة عقله ، و يزكي ضميره.

كما انها كتاب مفصل ، يحمل خريطة واضحة لدروب الحياة السالكة التي طالما تاهت البشرية فيها وكانت عاقبتها الهلاك.

لقد أصبح النصارى كفارا بسبب قولهم في المسيح : انه هو الله ، وأصبح اليهود مشركين بقولهم نحن أبناء الله ، ولم يبق للبشرية رسالة نقية سوىالاسلام

فلم يكن المسيح سوى عبد لله ، وليس اليهود سوى بشر كسائر البشر.

أما الله فهو رب السموات و الأرض ، ولا يعقل أن يتجسد في شخص المسيح ، كما لا يعقل ان يتخذ اليهود أبناء له سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

بينات من الايات

رسالة الله بين التجديد و التكامل :

[15]جاءت الرسالة الاسلامية مجددة لرسالة الانبياء من قبل و مكملة لها ، أما التجديد فلأن أهل الكتاب الذين استأمنهم الله على رسالته خانوا الأمانة ، وأخفوا كثيرا من بنود الرسالة التي خالفت مصالحهم ، فجاءت الرسالة لتجديد التأكيد على تلك البنود لأنها كانت ضرورة اجتماعية لسائر الافراد.

فمثلا : أن يكون العالم الديني المطاع ، زاهدا في الدنيا ، راغبا فيما عند الله . إن هذا الأمر أخفاه علماء أهل الكتاب عن الجماهير ، لأنه كان يتناقض مع مصالحهم العاجلة فجاء القرآن يوضح هذا الأمر و يجدد التأكيد عليه ، وان على الناس التمرد على السلطان الجائر أمرآخر أخفاه أهل الكتاب ، فجاء الاسلام يظهره إظهارا.

وجاءت الرسالة مكملة ، حيث ألغت بعض الأمور الهامشية ، التي إقتضى تشريعها ظروف خاصة مثل تحريم اقسام من اللحم كان يعقوب قد حرمها على نفسه ، فحرمها الله على بني إسرائيل مرحليا ، لمجرد التأسي بيعقوب أو لتأديبهم إسرائيل ، فجاء الاسلام ليعفو عن هذا التحريم.

]يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير]رسالة الله الكنز الأعظم:

و الرسالة السماوية نور و كتاب ، نور لأنها توقد في ضمير البشر مشعل العقل فيمشي في ظلمات الحياة بصيرا سويا.

إن رسالات السماء تذكر الانسان بربه ، و تفتح نوافذ بصيرته على آيات الله في الكون ، إنها تذكره بعقله ، و تحذره من الهوى و الشهوات و الغضب و الغفلة ، و بالتالي من كل ما يسد عليه أبواب المعرفة ، و يحجب عنه أنوار العقل.

وإذا فتح عقل الانسان ، واستثيرت بصيرته ، فإنه سيعرف الكثير من خفايا الحياة ، سواء تلك التي أوضحتها الرسالة السماوية و فصلتها ، أم لا.

بيد ان الله لا يكتفي بإعطاء البشر نورا ، بل يكمل عليهم النعمة ، بأن يرسم لهم خريطة متكاملة لدروب الحياة ، و يوضح لهم المسالك المهلكة ، و الصراط المستقيم ، وذلك عبر تشريعات مفصلة ، و واضحة يسميها القرآن - بـ (الكتاب (و يقول:

]قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين[

كيف تستحق هدى الله ؟

[16]بيد أن نور الله و كتابه ، و بالتالي رسالته ، لا تنفع إلا الذين يتبعونمناهج الله التي فيها رضوانه ، فالذي يتولى عنها سوف لا تعطيه رسالة الله نورا في القلب ، ولا شريعة في الحياة.

إن عقل الانسان يتبع إرادته ، فلو أراد الانسان أن يفهم ، لتحرك نحو أسباب الفهم و لفتح عينه و سمعه و قلبه ، و لبحث عن وسائل المعرفة.

أما الذي لا يريد أن يفهم ، فإن عقله يدس في تراب الجهل ، و يخبت نوره الى الأبد.

والذي يريد الفهم عليه ان يجهد في سبيل ذلك ، بأن يبحث عن العلم ، فإذا وجده عمل به ، وكلما زاد عمل الإنسان في شيء زاد علمه فيه.

أما من علم علما فلم يأبه به ، ولم يعمل بهداه ، فإن العلم سيرتحل عنه بلا توديع ، وقد جاء في الحديث :

"العلم يهتف بالعمل ، فإن اجابه والا ارتحل "لذلك فإن هدى الله لا يعطي الا لمن عمل به ، و استعد ليذل الجهد في سبيل تطبيقه ، فإذا فعل البشر ذلك ، فسوف تتوضح له دروب السلامة في مختلف حقول الحياة ، درب السلامة في : الاجتماع ، و درب السلامة في السياسة ، وفي الاقتصاد و هكذا..

ذلك لأن لكل حقل دربا سليما ، و دروبا مهلكة ، تنتهي بسالكها الى المأساة ، وهذه الدروب لا يهتدي اليها الا العاملون فقط..

]يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام[

إن الذين يتبعون مناهج الله ، يهديهم ربهم للطرق السالمة في الحياة بعيدا عنالطرق المهلكة.

]ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه[

أي إن الله لا يكتفي بأن يرسم للبشر خريطة للحياة توضح لهم دروب السلامة بل ويعطيهم مشعل العقل و الايمان ، حتى يكتشفوا هم بانفسهم هذه الدروب ، ويتسوضحوا ما خفي عنهم منها.

]ويهديهم الى صراط مستقيم[

أي ان سبل السلام تنتهي بالتالي الى صراط واحد مستقيم لا عوج فيه ولا انحراف ينتهي بصاحبه الى الجنة.

لقد كفر الذين قالوا:

[17]وأبرز معالم الصراط المستقيم الذي هدى الله عباده اليه ، وزودهم بنور العقل للمشي فيه ، انه صراط التوحيد الخالص ، بينما الطرق الأخرى إنما هي سبل الشرك ، و الانحراف ، وقد احتاجت البشرية جميعا ، وبالذات اليهود و النصارى لهداية الله ، وتجديد رسالته لهم لانهم انحرفوا عن هذا الصراط

المستقيم فقالوا أقوالا كافرة على أنبيائهم فمثلا قالت النصارى (أو طائفة منهم) : إن الله قد حل في المسيح حلولا ، فأصبح المسيح هو الله ؟!

انها كلمة كفر ، و صراط أعوج . أن يكون العبد العاجز الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، الها يملك السموات و الارض ؟!

أية ضلالة أكبر من هذه الضلالة ! ان يتصور البشر أن واحدا مثلهم ياكل و يشرب و يمشي في الأسواق و تعتريه أسباب الضعف و العجز هو إله يملك الشمسو القمر و النجوم و الكواكب ؟!

]لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الأرض جميعا]هل يملك المسيح القدرة على منع الله من إهلاكه وإهلاك أمه ، و الناس الذين يقولون عنه انه إله ؟! كلا .. ان المسيح أعجز من ذلك ، فكيف يدعي انه إله سبحانه الله وهل يفهم الذين يزعمون ان المسيح هو الله ، هل يفهمون ما يقولون ؟ هل يعرفون مقام الألوهية .. وأن الله يملك السموات و الأرض وانه يخلق ، وانه قادر على كل شيء ؟!

انهم لو تصوروا قليلا ضخامة السموات و الارض لصغرت في أعينهم شخصية المسيح على عظمته ، واعادوه الى مرتبة عبودية الله.

هــذه الارض الواسعة بما فيها من قفار شاسعة ، و بحار عظيمة ، وجبال راسية ، و انهار و احياء مختلفة ، هل يملكها المسيح (من دون الله) أبدا هذا غير معقول!

وهذه الشمس العملاقة التي لو وضعت أرضنا فيها لضاعت كما تضيع حلقة صغيرة في صحراء واسعة!!!

هذه المجرات التي تحتوي على ألوف الملايين من الشموس بعضها أكبر من شمسنا بحيث لو وضعت فيها شمسنا لضاعت كما تضيع حبة الرمل في الصحراء.

وهذه الملايين من المجرات التي تسبح في الفضاء اللامتناهي ، التي تضيع فيها مجرتنا على ضخامتها.

كل هذه يملكها الله ، أم المسيح البشر الضعيف الذي لا يكاد يملأ حيزا منالأرض ؟! ومن هو الجدير بالالوهية الله أم المسيح بن مريم ؟!

]و لله ملك السموات و الأرض وما بينهما[

إن أحد الأسباب الرئيسية للكفر أو الشرك هو جهل عظمة الله ، وعدم معرفة سلطانه الواسع ، و ملكوته العظيمة ، ولذلك كلما تحدث القرآن عن الشرك بين جانبا من قدرته لينتزع من قلب الانسان أهم أسباب الشرك به.

]يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير[

[18]وحين قالت النصارى : ان المسيح إبن الله ، أو إنه هو الله ، فإن دافعهم النفسي كان التملص من مسؤوليتهم كبشر.

انهــم قالــوا : ان المسيح هو الله ، ونحن اتباعه المقربون اليه ، فهو لن يعذبنا ، بل سوف يقف حاجزا بين رب العرش و بيننا حتى لا نعذب بذنوبنا.

وهذه هي الضلالة الكبرى التي يقع فيها البشر ، فماذا ترجو من بشر لا يرى نفسه مسؤولة عن الخطيئات التي يرتكبها ؟ افترجو منه سوى الجريمة و العدوان ؟

]وقالت اليهود و النصارى نحن ابناء الله و أحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق]انظر كيف ان الله فضحهم و أكذب أحدوثتهم رأسا ، وبلا مقدمات ، فلم يناقش مسألة أنهم ابناؤه أم لا ، بل

ناقش قضية المسؤولية مباشرة فقال:

ان الهدف الذي تبغونه من وراء هذه الدعاوى هو الخلاص من مسؤولية أعمالكم .. كلا .. إنكم مسؤولون عنها ، وأبسط دليل على ذلك مسؤوليتكم في الدنيا عن اعمالكم . إن الواحد منكم يشرب الخمر فيسكر و يجرح نفسه ، أويمرض و يموت أو ليست هذه مسؤولية مباشرة لعمل شرب الخمر ، والاخر منكم ياكل الميتة وهي حرام ، فيموت متأثرا بالجراثيم التي كانت فيها أو ليست هذه مسؤولية لحقت به جراء عمله إذا فأنتم مسؤولون عن أعمالكم ، معذبون بسيئاتكم ، وهذا أبسط دليل على انكم كسائر البشرخلقكم الله.

]يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء[

بلا حتم عليه من قبل الناس انفسهم .

وعاد القرآن و ذكرنا بقدرة الله ، و ملكوته ، لعلنا نتذكر استحالة إتخاذ الله لبعض عباده ابناء له.

]و لله ملك السموات والأرض وما بينهما[

ثم ذكرنا مرة اخرى بالمسؤولية أمامه ، تجاه اعمالنا قائلا:

]وإليه المصير[

وهناك يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء.

بنو إسرائيل في التيه

هدى من الايات

لقد استخدم القرآن أسلوب الترغيب في الدرس السابق ، لتشجيع بني إسرائيل على اتباع رسالة الاسلام.

اما في هذا الدرس ، فقد استعمل التهديد المبطن ، وقال : لو لم يلتف بنو إسرائيل حول الرسالة ، فان أخطارا كبيرة تهددهم ، وسوف يندمون من دون جدوى .

و ضرب لهم مثلا من تأريخهم ، كيف أصابهم السوء بسبب عصيانهم أمرا من اوامر الله ، وها هم اليوم يخالفون رسالة بكاملها فماذا ينتظرون ؟

لقد أمرهم الله على لسان موسى بن عمران بأن يتذكروا نعم الله عليهم ، و يلتزموا بتعهداتهم تجاه هذه النعم ، و يدخلوا الأرض المقدسة سلما أو حربا ، ولكنهم ابوا القتال ، و خافوا من بطش الذين كانوا يسكنون فيها ، و طالبوا نبيهمبان يقوم هو و ربه بالقتال نيابة عنهم ، بيد أن الله حرم المدينة عليهم ، وجعلهم يتيهون في الصحراء ، أربعين سنة.

وهكذا تكون عاقبة الذين يخالفون أوامر الله ، وهكذا تكون عاقبة من لايؤمن برسالاته.

بينات من الايات

استمرارية الرسالات:

[19]الرسالة السماوية مستمرة سواء في شخص الرسول أو في أوصيائه ، و حملة علمه و هديه ، و بالتالي فانها لا تنقطع في أي زمان ، بيد انها قد تغتر ، و تتباطأ خطواتها و تقدمها في الحياة ، و حينئذ يختار الله من عباده رسولا جديدا يعطي دفعا لمسيرة الرسالة، و يزيل عنها فترتها و تباطؤها.

وقد جاء الرسول (ص) وفقا لهذه السنة الإلهية ، و الهدف من بعثته توضيح المسيرة للناس بعد ان طمست التحريفات معالمها.

]يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل]و الرسالة نعمة إضافية للانسان ، فقد زود الله البشر بالعقل و العلم ، و عليه أن يتجنب المهالك بهما.

ولكنه مع ذلك من عليه بالرسالة إتماما لنعمته ، و تكميلا لفضله ، لكي لا يأتي غدا ويلقي بمسؤولية هلاكه على الله سبحانه و يقول مثلا : يا رب لماذا لم تبعث رسلا فقد كنا غافلين جهلة وها هو الله قد بعث الرسل.

]ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير]وإذا اشهدوا على انفسكم أن لو هلكتم فانما بسبب عملكم وسوء اختياركم.

]والله على كل شيء قدير[

فهو قادر على ان يعذبكم متى شاء اذا خالفتم الرسل ، كما هو قادر على ان يبعث عليكم رسلا بالغيب و بصورة مخالفة لطبيعة الأشياء.

دور الانبياء و مسؤوليتهم:

ما هو دور الأنبياء و ما هي مسؤولية الأمة تجاههم ؟

[20]دور الأنبياء هو توجيه البشر الى ما فيه خيرهم ، أما مسؤولية الأمة فهي العمل بذلك التوجيه ، ومن دون التوجيه لا توجد فرصة امام الناس للعمل ، ومن دون العمل لا يكفي التوجيه وحده وهذه قصة بني إسرائيل مع رسلهم.

]وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا]الأنبياء جاءوا بتوصيات إتبعها الناس ، فاصبحوا بسببها ملوكا في الارض ، فلما أصبحوا ملوكا دبت فيهم آثار الرخاء فظنوا ان وصلولهم الى الملك إنما هو من انفسهم أو من الله ، ولكن بسبب ان الله فضل عنصرهم على غيرهم تفضيلا عبثا و بدون حكمة ، لذلك أوصاهم موسىبتذكر نعمة النبوة وانها لو اهملت فان الملك سوف ينزاح عنهم الى غيرهم.

]وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين[

ليس عبثا ! بل بسبب اتباعك للرسل الذين جعل الله فيكم.

[21]بعد ان بين موسى لقومه دور الأنبياء و مسؤولية الأمة تلقاء الانبياء ، وبعد ان ذكرهم بأن في اتباع الانبياء يصبح بنو إسرائيل ملوكا في الأرض ، أمرهم بدخول الأرض المقدسة (فلسطين) بعد ان قادهم من مصر عبر البحر الـى تلك الأرض ، وكان أمر موسى حازمايشبه الأوامر العسكرية اذ قال:

]يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين]إن الله كتب لبني إسرائيل آنئذ بدخول فلسطين ، لانهم كانوا يمثلون الأمة المؤمنة الوحيدة ولأن حكام فلسطين كانوا قوما جبارين يفسدون في الارض.

ثم حذرهم موسى من ان رجوعهم يسبب لهم الخسارة.

التبرير افيون الحضارة:

[22]أما رد بني إسرائيل فكان جبانا بما فيه الكفاية ، و فوق ذلك وعلى اساس ايدلوجي فهو خاطيء ، وهو أن على الانبياء ان يهيئوا غيبا كل وسائل التقدم المادي بعيدا عن جهد البشر و لذلك قال بنو إسرائيل وبلا خجل:

]قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين[

وانما كرروا كلمة موسى استعطافا و تذكيرا بدوره الغيبي في عبور البحر ، و هلاك فرعون ، و لذلك شبهوا حكام فلسطين بحاكم مصر السابق ، وان كليهما كان جبارا.

]وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فإنا داخلون]وكأن دخولهم المدينة بعد خروج الجبارين منة منهم على الله ، او أنها طاعة يبتغون من ورائها ثوابا منه.

والواقع ان هذا تفكير موجود عند كثير من الناس انهم يتبعون الانبياء فقط فيما يخدم شهواتهم العاجلة ، ثم يعتبرون ذلك عملا عظيما.

[23]بعد جوابهم الفاتر لامر موسى سكت عنهم ، و تولى مهمة إقناعهم بعض الحواريين من أصحابه.

]قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون]اذ انكم انتم اصحاب الحق وانكم تتبعون آنئذ خطة المبادرة بالهجوم ، و تملكون ناصية الموقف بالاقدام ، ثم انكم تهدفون من وراء الحرب تحرير شعب هذه المدينة من ايدي الجبارين ، وبذلك تنتصرون عليهم ، بتعاون الشعوب معكم ضد الجبارين.

]وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين[

ذلك ان التوكل على الله يزيدكم ثقة و روحا معنوية عالية.

القيادة مشعل هداية لا واقع تبرير :

[24]لقد كان هذا الرأي موقف رجلين فقط منهم ، حيث حاولا اقناع الاخرين بضرورة إتباع اوامر الرسول ، اما الأكثرية الساحقة فقد خالفت انطلاقامن فكرة سلبية متخلفة ، حيث زعموا ان على الله ان يوفر لهم النصر و يقدمه اليهم في طبق من ذهب.

]قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها]و استخدموا أنواعا من التأكيد اللفظي في رفض دخولهم المدينة لقتال الجبارين فيها فقالوا : (لن) الدالة على نفي الأبد ، و أضافوا إليها كلمة أبدا للدلالة على ان كل المحاولات المبذولة لإقناعهم بضرورة الجهاد ، ستذهب سدى ، وان الحل الوحيد هو صنع النصر و اعطاؤهم إياه جاهزا.

]فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون[

ان نظرة الناس الى الدين تختلف اختلافا يكاد يكون متناقضا فبينما يؤمن البعض بالدين ليجدوا فيه برنامجا للعمل الصادق ، و اسلوبا للتضحية السخية ، و قيادة رشيدة للجهاد من أجل التحرر و التطوير ، نجد اخرين يؤمنون بالدين و بالقيادة الدينية لتحمل عنهم مشاكلالحياة و تقوم بدلا عنهم بالعمل من اجل حلها.

وإذا لم تحل مشاكلهم بالدين صبوا عليه جام غضبهم ، و كفروا به و بقيادته كما يفعل المسلمون اليوم الذين نبذوا الدين لأنه لم يمنحهم التقدم ، بينما السبب في تخلفهم انما هو تقاعسهم عن العمل الصادق.

النصارى الذين زعموا ان المسيح يفديهم بنفسه و يخلصهم من شرور أنفسهم ، ومن سيئات أعمالهم كانوا من هذا النوع ، و اليهود الذين وكلوا الله عنهم في الحرب كانوا هكذا ايضا من أصحاب هذه الفكرة.

بينما المسلمون الصادقون استجابوا للرسول عندما ناقشهم في الحرب (فيبدر) فقال له المقداد : نحن لا نقول لك مثل ما قالت اليهود لنبيهم (اذهب انت وربك فقاتلا) بل نحن نقول : لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد.

[25]ان اتباع القيادة بصدق هو هذا الاتباع لا ذاك ، لذلك تبر موسى من قومه ، وقال:

]قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين]ان اخطر بلاء ينزل على الأمة اللامسؤولة التي تلقي بأعبائها على كاهل قيادتها و تتقاعس عن العمل هو : حرمانها من تلك القيادة ، حيث ينفصل عنها قادتها المصلحون بعد التأكد من أن لا رجاء في اصلاحهم.

لقد تبرأ موسى من قومه و انفصل عنهم و رماهم بالفسق.

[26]اما الجزاء الثاني : فهو البقاء في التخلف لان هذه الامة لم ترض بدفع ضريبة التقدم وهي الجهاد ، لذلك كان جزاء بني إسرائيل عندما تقاعسوا عن حرب الجبارين أن بقوا في التيه ، كما أن جزاء كل أمة لا تتبع قيادتها الرسالية ، هو بقاؤها في مستنقع الضلالةو التخلف حتى تعرف أهمية القيادة ، و تعود الى رشدها.

]قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين]ان موسى تبرأ من قومه و طلب من ربه بأن يفرق بينهم و بينه ، وقد استجاب له الله و طلب منه ان ينسى هموم قومه ، ولا يأسف على ما يصل اليهم.

دوافع الصراع و آثاره النفسية
ببنان من الايات

الاستعلاء في قصة الاعتداء الاول:

[27]قصة ابني ادم تحتوي على عبر حقة ، فبالاضافة الى انها بذاتها قصة واقعية ، فان الهدف منها واقعي و حق ، وهو تحقيق السلام بين أبناء ادم.

وكما لا نرضى ان يعتدي اخ على اخيه وكلاهما ابنا لآدم ، كذلك علينا ان لا نرض اعتداء بشر على بشر ، لانهما من أبناء آدم وهما بالتالي أخوان.

]واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا[

و ضحيا بأضحية في سبيل الله.

]فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك]ان الدافع الذي بعث قابيل الى إرتكاب أول جريمة قتل في تأريخ البشرية هودوافع الحسد ، وهي غريزة الحرص على التفوق و الاستعلاء.

إن البشرية بامكانها ان تتقاسم بينها خيرات الارض دون الحاجة الى الاقتتال ، اذ أن الله وفر للبشرية ضرورات حياتها فهي لا تحتاج الى الصراع مع بعضها من أجل الحصول على هذه الضرورات.

ولكن الحروب انما كانت من ثورة غريزة الاستعلاء الشيطانية التي يجب لجمها وتحديدها.

ان قابيل لم يقتل أخاه من اجل الصراع على البقاء كما يزعــم المذهب الداروينى ، ولا من اجل الحصول على بنت أجمل كما يزعم المذهب الفرويدي ، ولا من أجل سوء التربية و ضغوط الاجتماع ، أو الصراع الطبقي أو غيرها مما تزعمها المذاهب الاجتماعية المختلفة ، كلا ،ولكنه قتله لحب الاستعلاء و الحسد ، واذا سيطرت البشرية على غريزة الاستعلاء في ذاتها فقد وفقت للعيش بسلام مع بعضها و انتزعت من نفسها فتيل الحروب.

لقد كان موقف هابيل أمام التهديد بالاعتداء موقف المسالم.

]قال انما يتقبل الله من المتقين [

عبرتان:

الاولى :ان كثيرا من الحروب تقع بدافع الخوف من الاعتداء فمثلا : تخشى دولة معينة من اعتداء جارتها عليها ، فتتسلح ، وحين ترى جارتها عملية التسلح تخشى هي بدورها فتتسلح هي الاخرى فتخشى احداهما من مبادرة الاخرى بالهجوم فتهجم ، فتدافع الاخرى عن ذاتها ، وبالتالي تجد ان كلتا الدولتين

اقحمت في اتون الحرب من دون ارادة مسبقة لها ، بل استسلاما لدافع الخوف.

من هنا توحي الينا قصة إبني آدم بأن الخوف من الاعتداء ، ليس سببا معقولا للاعتداء حيث ان هابيل (القتيل) اجاب على التهديد بالقتل بكلام تربوي ، و صرح بعدئذ (في الاية التالية) بانه لن يمد يده لقتل اخيه.

الثانية :ان الاستعلاء ليس طريقا للعلو فمن يريد الصعود الى الجبل لا يكفيه ان يقف على السفح ويمني نفسه بالصعود ، او يعارض من يصعد ، بل عليه ان يحرك نفــسه ويعمل على تغيير ذاته حتى يصعد . و الله لا يتقبل عمل احد ، وبالتالي لا يباركه ، ولا يوفقه للنجاح إذا لم يغير ذاته و يتق الله.

فمن يعمل من اجل تحصيل العلم ثم لا يصل اليه ، ويرى الاخرين اصبحوا علماء فليس الطريق الافضل له ان يعارض العلماء ويناصبهم العداء ، بل من الأفضل والأنفع له ان يراجع نفسه ليجد ان فيها خللا ما منعه عن الوصول الى العلم ، فيصححه وهكذا اذا يكون منطلق التقدمهو هذا المبدأ (انما يتقبل الله من المتقين) اذ انهم وحدهم الذين يصلحون انفسهم فيساعدهم الله على ذلك.

] [28]لان بسطت إلي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك]وبذلك صرح القرآن بأن التهديد ليس مسوغا للمبادرة بالجريمة ، واذا استطاع الانســان ان يقاوم اغراء التهديد فلا يقتل الناس ولا يشن الحروب الابتدائية ضد الاخرين ، لأن نصف الحروب تصبح بلا مبرر وبلا دافع اليها.

اذا فما الذي يساعدنا على ضبط الشعور بالخوف من الاخرين ، و بالتالي تحديد غريزة المبادرة بعد التهديد ؟

الجواب :هو الخوف من الله فهو خوف يقاوم الخوف من البشر ، فلانك تخشىالناس تريد ان تشن الحرب عليهم ولكنك من جهة اخرى تخاف الله فتحجم عن شن الحرب على عباده ، ولذلك قال هابيل:

]إني أخاف الله رب العالمين[

ولان الله هو رب العباد فهو يحبهم ، ولا يرضى لواحد ان يعتدى عليهم.

و كلمة اخيرة ان هذا الموقف من هابيل لا يدل على الاستسلام للظلم فالاسلام يأمر بكل وضوح و جدية بضرورة مقاومة الظالمين ، ولكن بعد ان يبدؤا فعلا في ظلمهم او فيما يؤدي اليه بالتأكيد.

و هابيل لم يكن يصدق ان قابيل قاتله ، بل ربما كان يظن ان كلامه كان مجرد تهديد أو لا أقل كان يحتمل ذلك ، وقد قتل غيلة.

[29]ثم قال هابيل الذي لم يشأ ان يصبح المجرم . حتى ولو كان ذلك يؤدي به الى ان يصبح الضحية:

]إني أريد ان تبوء بإثمي وإثمك[

حيث ان القاتل بغير حق سيتحمل اوزار القتيل يوم القيامة ، بينما يغفر الله للقتيل ذنوبه رحمة به.

]فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين[

حيث يتضاعف اثمهم بسبب ظلمهم للناس .

[30]النفس الامارة بالسوء تهون في عين الانسان الجرائم الكبيرة ارضاء للشهوات العاجلة ، و قابيل كان يستعظم في البدء الاعتداء على حياة اخيه ، حيثاودع الله في فطرة الانسان احترام الحياة و تكريم الاخرين ، بيد ان نفسه طوعت له ، وذللت هذه الجريمة.

]فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين]خسر فطرته النقية ، و خسر اخاه الكريم ، و خسر حياته الهادئه ، و خسر مستقبله في الاخرة.

[31]قتل اخاه و تورط في الامر ، ماذا يفعل بجسد اخيه .. بهذه العلامة الواضحة لجريمته ؟! وهنا بعث الله غرابا ، يثير الارض بمنقاره فانهار كبرياء قابيل الكاذب ، و تهاوى صرح غروره ، و عادت اليه فطرته ، وقد خمدت جذوة الغضب السابقة التي كانت قد حجبت عنهعقله ، وقال لنفسه : كم انا عاجز وكم كنت مغرورا بنفسي فهذا الغراب عرفني كيف ادفن جسد اخي!!!

]فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين][٣٢] أرأيت كيف قضى قابيل على حياة أخيه ، وكيف ندم على فعلته دون ان ينفعه الندم أرأيت كم هي عظيمة و مؤلمة جريمة القتل ، لذلك احترمت الشرائع السماوية حياة الانسان و جعلت حياة كل فرد مساوية لحياة الناس جميعا.

]من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض]حيث يجوز القتل قصاصا او لمنع الفساد كما يبينه الدرس القادم ، اما في غير ذلك فان قتل نفس واحدة ، تكون بمثابة قتل النفوس جميعا..

]فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا]ان احترام الحياة عند الشرائع السماوية و الاسلام بالذات ، لا تعود الى حياة هذا الشخص او ذاك ، بل الى الحياة كحياة ايا كانت خصائصها و ميزاتها ، لا فرق بين الطفل الرضيع ، و رئيس البلاد ، او بين المؤمن الصالح او الانسان العادي ، او بين عدوي و صديقي ، المهم ان الحياة محترمة ، ولو استهان المجتمع بحياة واحد منهم فان الحياة كلها في خطر.

]ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون] يتجاوزن حدودهم ، حتى ينتهي ذلك بهم الى الجريمة الفاحشة.

جزاء المحارب

هدى من الايات

في الايات السابقة تحدث القرآن الحكيم عن القتل الذي يقع بسبب الفساد في الارض ، وفي هذا

الدرس يفصل الحديث و يبين ضرورة قتل هذه الفئة المفسدة او صلبهم او اخراجهم من الارض ، الا ان الله يذكرنا بأن العقوبة لا تكفي وحدها في ردع المجرمين ، بل لابد ان يعرفالمجرم ان جزاء عمله الحقيقي هو عذاب الله في يوم القيامة ، ثم يفتح الله باب رحمته حين يلغي العقوبة لاولئك الذين يتوبون قبل ان يقدر عليهم النظام الاسلامي ، وهذا بدوره طريق لردع المجرمين عن التمادي في فسادهم.

بينات من الايات

الجريمة و العقاب:

[33]إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فسادا[

ما هي محاربة الله و رسوله ؟

ان محاربة الله ليست بشهر السلاح ضده سبحانه ، كما ان محاربة الرسول ليست دائما بشهر السلاح ضده ، انما المحاربة الحقيقية هي : مقاومة النظام الاسلامي الذي يقوده الرسول او خلفاؤه مقاومة مسلحة ، مما يسبب الفساد في الارض وتغييرا في النظام الذي يصلح الاشياء.

ان فساد المجتمع هو : تغيير نظامه القائم ، و اشاعة الفوضى فيه ، و تعكير صفو الامن ، و افساد الزراعة بتغيير نظام الري و المساقاة فيها ، و عدم تطبيق واجبات الزراعة من تسميد و تشذيب ، و اختيار الموسم المناسب.

ومثل الزراعة الصناعة و التجارة وغيرها من حقول الحياة المختلفة ، و جزاء من يشيع الفساد بمقاومة الانظمة الطبيعية او التشريعية التي وضعها الله سبحانه هو واحد من الامور التالية : اما القتل بالسيف أو الصلب أو قطع الايدي و الارجل من اليمين و اليسار ، وإما اخراجهم من الأرض.

]أن يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا]وهؤلاء الذين يقاومون النظام الصالح بالقوة انما يطغون طمعا في العزة ، وهذه العقوبات تسبب لهم خزيا و ذلة و صغارا..

]ولهم في الاخرة عذاب عظيم[

فإن لم يرتدعوا بالعقوبة الدنيوية أو يزعموا انهم يفلتون من يد العدالة في الدنيا ، فان الاخرة قريبة ، و عذاب الله العظيم ينتظرهم.

الهروب الى التوبة أسلم:

[34]و يفتح الله امام المفسدين في الارض باب التوبة لكي يرجعوا الى رشدهم ولا يهرقوا دماء ابناء الامة ، ويقول سبحانه:

]إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم]و أمر قبول توبة هؤلاء او ردها انما هو الى الامام الذي يمثل القائد الاعلى للدولة ، لانه قد لا تكون التوبة الا تكتيكا مؤقتا لجمع السلاح و الاموال للعودة الى القتال ، و كلمة اخيرة : ان هذه الفئة تشمل قطاع الطرق و المتمردين ضد النظام الاسلامي بالسلاح ،كما تشمل القوات المسلحة التي تدعم انظمة الطاغوت المستبدة بمصير الشعوب ، و المفسدة في الارض لذلك لو انتصرت الثورة الاسلامية ، سيكون لها الحق في ملاحقة هؤلاء جميعا بتهمة الفساد في الارض ، و محاربة الله و رسوله ، و النظام الاسلامي الصالح ، و بالتالي انزال اشد العقوبات عليهم ، ومثل القوات المسلحة ، كل اركان النظام الطاغوتي مثل كبار رجال الامن ، و الاعلام ، و الوزراء العاملين بالفساد.

الحسرة الكبرى

هدى من الايات

ان النظام الاسلامي الذي يصلح الارض وما فيها بحاجة الى التعهد و الالتزام و التقوى و بحاجة الى النشاط في سبيل الله بهدف الوصول الى رضوانه ، والى الكمال الرفيع الذي هو فيه سبحانه ، و بحاجة الى الجهاد و مقاومة العقبات البشرية و الطبيعية التي تعترض طريقتطبيق النظام ، هذه الشروط لو توفرت لأثمرت بالفلاح و الحياة السعيدة.

اما الذين لا يطبقون هذا النظام الصالح ، و يكفرون به ، فان عذاب الله ينتظرهم ولا مناص لهم حتى لو دفعوا كل أموالهم فدية ليتخلصوا منه ، انهم يحاولون عبثا بصورة مستمرة التخلص منه ، ولكن عذاب الله مقيم دائم.

بينات من الايات

حقيقة النظام الاسلامي:

[35]النظام الاسلامي الذي يعبر عن وحي الفطرة و سنن الحياة ، لا يمكن

تطبيقة بالقوة ، بل بالالتزام الذاتي (وهو التقوى) بالحذر من عذاب الله يتجنب الفرد المزالق التي تؤدي به الى الهلاك.

الكمال المنشود:

]يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله [

و التقوى يجب الا تكون طريقا الى الجمود و السكون ، بل و سيلة للتحرك المستمر للوصول الى الكمال الارفع ، الذي هو عند الله سبحانه ، فلله الاسماء الحسنى ، والكون كله يسعى من اجل الكمال الذي لا يبلغ الا عند ربه ، ولذلك نجد موكب الوجود متصاعدا الى ذلك الرفيق الاعلى ، و الانسان لا يشذ عن هذه الحركة لو سلمت فطرته الاولية ، فهو بفطرته يسعى من اجل العلم و القدرة و المحبة و الجمال و سائر الاسماء الحسنى التي هي لله وحده.

وعلى البشر الا يترك طريقه يمكن ان تصل به الى تلك الاسماء الا اتبعها و سار فيها دون أي توان او كسل ، لان ذلك هو الهدف الاسمى له في الحياة ، ان النشاط المكثف و الحركة الدائمة في طريق الله و بلوغ اسمائه الحسنى هو الكفيل بتكامل البشر وتصاعده ، لذلك قالربنا:

]و ابتغوا اليه الوسيلة[

الوسيلة الى الله:

ترك السياق كلمة الوسيلة عامة مطلقة تشمل كل الوسائل الحقيقية التي تؤدي بناء الى الله ، والى اسمائه الحسنى من العلم و القدرة و المحبة و الجمال.

وغيرها ، فالصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و الصدقة و الفداء ، وسيلة ، والتأليف و الخطابة و التوجيه الى الله و سيلة وهكذا.

وكما تتنوع الوسائل الى الله تختلف مواهب الانسان التي يجب على كل شخص ان يفجرها جميعا والا

يدخر منها شيئا .. فان الموهبة التي تدخرها تبلى و تفنى ، و الطاقة التي لا تصرفها اليوم لا تستطيع ان تصرفها غدا لانها فنيت ، لذلك يجب الجهاد و مقاومة كل العقباتالنفسية التي تعترض طريق الانسان الصاعد الى الله .. الى الرفيق الاعلى.

]وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون[

لا للفداء:

[36]ان هذه الطاقات و الامكانات التي نملكها اليوم ، انما هي وقود مسيرتنا المتصاعدة الى ربنا العزيز ، فلو بخلنا بها فلنعلم انها لا تخلد لنا ولا تبقى ، و نبقى نحن و ذنوبنا التي نود غدا - في يوم البعث - ان ينقذنا منها الله ، حتى ولو كان ذلك باعطاءكل ما نملك ، ولكن هل نملك في ذلك اليوم شيئا ؟!

]إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم]اذن دعنا نستخدم ما خوله الله لنا من طاقات و امكانات في سبيل الوصول الى الله ، ونجعلها وسيلة التصاعد ، ولا نجعلها - كما يفعل الكفار - حجابا بيننا وبين ربنا العزيز.

[37]من شدة الالم في عذاب يوم القيامة ، لا ينفك الكفار المعذبون هناكمن محاولاتهم اليائسة للخلاص من العذاب ، وتلك المحاولات التي لو بذلوا شيئا بسيطا منها في الدنيا ، لأنقذهم الله بها في هذا اليوم.

]يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم]مستمر وغير منقوص.

كيف نحقق الامن الاجتماعي

هدى من الايات

في سياق ذكر الجرائم و عقوبتها ، التي بدأها القرآن في الدروس السابقة ، يبين القرآن جريمة السرقة التي هي اعتداء غير مسلح على أمن المجتمع ، فيحكم بضرورة قطع اليد جزاء لما ارتكبت من جريمة ، نكالا من الله.

ولكن لا يعني انزال هذه العقوبة الشديدة على السارق الغاء شخصه من قائمة المجتمع ، بل اذا تاب و اصلح ماضيه فإن الله غفور رحيم ، وكذلك ليست العقوبات في الاسلام تشفيا و انتقاما.

ومغفرة الله تتناسب مع مقدرته وملكوته ، وان له مافي السموات و الارض لذلك يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء ، ولذلك يجب ان لا يبخل البشر في كرم ربه الواسع.

بينات من الايات

[38]حين تمتد يد خائنة الى ملك الاخرين فانها تمتد الى الامن في البلد

وتجعل كل فرد قلقا على مصير جهوده التي حصل بها على هذا المال ، بالضبط كما ان قتل نفس واحدة بمثابة قتل الناس جميعا ، لانه يهدد أمن المجتمع كله ، وحين ينعدم الامن في البلد لا يجد الناس ذلك الدافع القوي نحو بناء وطنهم ، و تفجير طاقاتهم ، وتخزين ثروتهم للمستقبل - من هنا كان جزاء السارق شديدا في الاسلام - بالرغم من انه لا يبلغ قساوة العقوبات التي فرضتها بعض الانظمة بقتل السارق ، انما يوجب قطع يد السارق لتكون جزاء وعبرة.

]والسارق و السارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله و الله عزيز حكيم]حد القطع:

ويقول الفقهاء انه تقطع اصابع اليد اليمنى فيما لو كانت السرقة من حرز ، و يبدو لي ان العقوبة يجب ان تقتصر على اقل قدر ممكن ، واقل ما في اليد الاصابع كما ان السرقة من غير حرز قد لا تعتبر سرقةفي مفهوم العرف.

و الدولة الاسلامية مظهر لعزة الله و قوته و قدرته و حاكميته ، كما هي مظهر لحكمة الله ، وهداه و صلاح نظامه و تشريعه .

الهروب إلى التوبة اسلم:

[39]في كل جريمة ، الهدف الاساسي للاسلام تزكية المجتمع منها ومن اثارها ، وليس الهدف الانتقام من الفاعلين من هنا يفتح الله امام المجرميــن باب التوبة ، ولكن يشترط عليهم الا تكون توبتهم لفظية ، بل توبة نصوحا تتجلى فياصلاح الفساد الذي عملوه بجريمتهم.

]فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم]حقيقة التوبة:

اما من ترك السرقة ولم يدفع الاموال المسروقة الى اصحابها ، أو ترك السرقة لصعوبتها واشتغل بالاحتيال و الرشوة و الفسق فان توبته ليست حقيقية ، ولا تسعه رحمة الله التي وسعت كل شيء و الله غفور يطهر قلب الانسان و وجدانالمجتمع، و صحيفة الاعمال ، يطهر كل ذلك من اثار الذنب الذي ارتكبه الفرد حتى كأنه لم يرتكب ذنبا ، والله رحيم يتفضل على التائب الذي تستقيم سيرته بالنعم و الرخاء و السعادة التي زعم انه يجدها في ارتكاب المعصية.

[40]و الله لا يخشى الناس ، ولذلك لا يتعامل معهم بظلم او بقسوة ، و الدولة الاسلامية يجب ان تكون كذلك لا تندفع نحو الارهاب خشية الناس ، وخوفا من قيامهم ضدها . كلا . بل يجب عليها ان تتوب عليهم اذا اصلحوا ، و تعتمد على قدرة الله الواسعة.

]ألم تعلم أن الله له ملك السموات و الأرض يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء و الله على كل شيء قدير]ولان قدرة الله واسعة و ملكه عظيم ، فعلى الانسان ان يرهب جانبه و يتقيه ولا يستهين باوامره و تعاليمه سبحانه ، كما ان عليه ان يتوكل على الله في اكتساب المعاش دون خوف من فشل او انتكاس.

وبكلمة ، ان معرفة اسماء الله الحسنى ومن أبرزها .. رحمته و قدرته ، تنعكسعلى السلوك البشري في صورة صفات مثلى . لذلك يذكرنا لاقلارآن بها قل وبعد بيان الاحكام ، وعلينا ان نتذكرها كلما اردنا تربية افنسنا او مجتمعنا على السلوك الحسن.

حواجز تطبيق الشريعة

هدى من الايات

في سياق الحديث عن الاحكام الاسلامية يبين القرآن الحكيم طائفة من الحواجز النفسية و الاجتماعية التي تقف في طريق تنفيذ هذه الاحكام وهي كالتالي:

اولا : النفاق و انعدام الايمان الحقيقي الذي يجعل صاحبه يسارع في خرق القوانين و العمل بأنظمة الكفر.

ثانيا :الكفر الذي يبديه بعض أهل الكتاب مثل اليهود الذين يــسمعون ابدا الكذب ، ويستلهمون أفكارهم من الأجانب . الذين يحرفون الكلم بعد ان وضعت مواضعها الصحيحة يخططون لهؤلاء و يامرونهم باتباع أفكار معينة..

وهؤلاء أراد الله فتنتهم و إضلالهم لأنهم سلفا اختاروا ذلك ، فلا ينفع معهمالكلام ، والسبب أن قلوبهم مريضة غير نظيفة ، و لهؤلاء خزي و ذلة في الدنيا ، و عذاب مؤلم في الاخرة.

ثالثا : ومن صفات هذه الفئة أنهم يرتاحون للكذب ويأكلون السحت ، وعلى الرسول الا يهادنهم فأما

يحكم بينهم بالحق أو يعرض عنهم دون ان يرهب جانبهم ، والله يحب المقسطين الذين يحكمون بالعدل.

ومن الواضح ان مجيء هؤلاء الى الرسول ليس قربة الى الله ، بل لكي يجدوا مهربا من الاحكام الموجودة في التوراة.

بينات من الايات

لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر:

[41]حين يكون الاسلام مجرد لقلقة لسان نجد الكثيرين يدعون الاسلام ، ولكن اذا حانت مرحلة العمل تجد الكثيرين منهم يسارعون في الكفر ، و يخالفون تعاليم السماء ، ويتبعون الانظمة الطاغوتية الفاسدة ، وعلى القيادة الا تشعر بوهن بسبب مسارعة هؤلاء في الكفر لان ذلك لا يدل على ان جهتها قد ضعفت الان ، بل على انها كانت هكذا بسبب وجود هذه الفئة المنافقة فيها.

]يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا ءامنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم]و الكفر في هذه الاية هو الكفر في الاية (٤٤ (حسبما يدل عليه السياق ، والذين يسارعون في الكفر قد يكونون من المنافقين ، او من الذين هادوا (الطابور الخامس في المجتمع الاسلامي) وهؤلاء يستلهمون افكارهم و مناهجهم منالاجانب غير الحاضرين في الساحة.

اليهود و صناعة الافكار:

]ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك]كلمة (السماع (تدل على حالة نفسية تدفعهم الى البحث عن الكذب لتقبله ، وذلك بسبب انحرافهم النفسي من الحقيقية ، و وراء هذه الفئة مجموعة اخرى هم كبارهم و اسيادهم و اولئك يضعون لهؤلاء ثقافة منحرفة ، و يأمرونهم بان يتخذوها مقياسا لهم . فان كانت الافكارالتي يسمعونها من الرسول (ص) تتفق واياها ، فليأخذوها والا فليرفضوها.

]يحرفون الكلم من بعد مواضعه[

اي بعد ان استقرت الكلمة في مستقرها . مثل ان تكون الكلمة قد توضح معناها ، ثم يحرفونها او تكون الكلمة قد حرف مصاديقها الواضحة ، ثم ابتدعوا لها مصاديق اخرى غير صحيحة.

]يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فأحذروا]و يبقى سؤال لماذا لم يستفد هؤلاء شيئا من الرسالة الجديدة ، اليست الرسالة هدى ونور ؟!

لأن قلوب هؤلاء مملوءة بثقافات غريبة و بعيدة عن الحقيقة قد اختاروها لانفسهم و لتحقيق اطماعهم وشهواتهم ، لذلك اختار الله لهم الضلالة ، ومن اختار الله تضليله فان الناس لا يمكنهم هدايته.

]ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله انيطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم]و توحي هذه الاية بأن تطهير القلب شرط مسبق لهداية الله.

[42]و الفئة الضالة التي تفسد آراء الناس ، هم كبار الاحبار الفساق ، و رجال البلاط و كبار الاقطاعيين ومن اشبه . وهم بؤرة الفساد التي تتجمع فيها ضلالات الاولين و الاخرين ، لأنهم يبحثون عنها ليجعلوا منها حجابا بينهم وبين الرسالة فهم:

]سماعون للكذب[

لا نهم يعرفون ان الرسالة تحمل هدى و نورا و بالتالي تعطي الناس ثقافةغنيةسليمة ، والناس لا

يمكنهم ان يعيشوا في الفراغ ، ولذلك لابد من خلق ثقافة باطلة او استيراد ثقافة باطلة لتملأ فراغ الناس الفكري ، وليزعم الناس : انهم و صاحب الرسالة سواء في الفكر و العمل ، حتى لا يستهوي علم صاحب الرسالة وهداه جماهيرهم ، و حين يريد الطاغوتصناعة ثقافة باطلة ليجعل أمام كل حق رسالي باطلا من نفسه ، فإنه يبحث عن الكذابين و الدجالين في كل مكان حتى يستخدمهم في هذه المهمة القذرة . من هنا يصبح سماعا للكذب.

وانما يهدف من وراء ذلك الوصول الى اهدافه الرخيصة في بعض المتاع الذي يسميه القرآن بالسحت فيقول:

]أكالون للسحت[

السحت لغويا : القشرة العفنة المنفصلة عن الجسد ، المليئة بالجراثيم الفاسدة ، وما ياكله هؤلاء من أموال المستضعفين . هو ذلك السحت الذي يفرزه الوضعالفاسد ، والذي لا يزيد صاحبه الا تبارا.

واجب الرسول:

وياتي هؤلاء الى الرسول لا لكي يستفيدوا بل ليجدوا عنده ما يبرر لهم ترك دينهم ، و رفض احكامه السليمة.

]فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين]وامام هؤلاء يتخذ الرسول (ص) و القيادة الاسلامية موقفا حازما ، فاما يعرض عنهم دون خوف من هجره لهم و استهانته بهم ، او يحكم بينهم بالقسط الذي هو محض العدالة.

[43]ودليل كذب هؤلاء ورياءهم حين يجيئون الرسول (ص) دليل ذلك انهم يتركون كتابهم المقدس (التوراة) التي فيها حكم الله والتي لم تكن قد حرفت ذلك اليوم ، ولكنهم يرفضون الاحتكام اليها ويأتون لينافقوا مع الرسول (ص. (

]وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين]لانهم لا يطبقون كتابهم المقدس حين يخالف آراءهم واهواءهم.

وحدة الرسالات الالهية

هدى من الايات

في سياق الحديث التوجيهي الذي بدأه الدرس السابق حول أهمية الالتزام بأحكام الشريعة ، يذكرنا الله بكتاب التوراة ، الذي انزله الله هدى الى الصراط المستقيم ، و نورا يطهر القلوب و يجلي البصائر و بالتالي قيما يحكم وفقها النبيون عليهم السلام الذين اسلموا لله و خضعوا كليا لرسالاته ، وجعلت احكام الله امانة في اعناقهم يراقبون تطبيقها ولا يخشون احدا وهم يطبقونها ولا يساومون عليها ابدا.

وفي مقابل هؤلاء هناك فئة لا تحكم بما انزل الله ، بل تخضع للقوى او للضغوط او للاغراء.

ومن بين أبرز الاحكام الموجودة في التوراة القصاص : ان النفس بالنفس ،و العين بالعين ، و الانف بالانف ، و الاذن بالاذن و السن بالسن ، و الجـروح قصـاص . دون أي علاقة بانتماءات الشخص و طبيعته و عنصره و قومه . بلى يمكن ان يتصدق صاحب الحق على الجاني وهذه الصدقة تعتبر كفارة لذنوبه ، اما اولئك الذين يخالفون حكم القصاص ، ولا يقاصون من الاشراف للضعفاء فانهم ظالمون ، وجاء بعد موسى عليه السلام عيسى بن مريم يصدق ما سبقه من التوراة و يحمل معه الانجيل الذي كان هدى و نورا ، وكان على خط التوراة تماما فيه هدى و مواعظ للمتقين ، بيد ان فريقا من الناس لم يطبقوا الانجيل ، وهم الفاسقون.

بينات من الايات
التوراة نور و هدى:

[44]لمــاذا انــزل الله التوراة وماذا كان فيها ؟ ومن الذي حمل امانتها بصدق ؟

اولا :لقد انزل ربنا التوراة للهداية الى الصراط القويم ، وللتزود برؤى و بصائر و مناهج و توجيهات يتمكن الانسان اذا استوعبها ان يرى الحقائق بنفسه ، لا ان يهتدي اليها فقط و هكذا كانت التوراة هدى و نورا.

]انا انزلنا التوراة فيها هدى و نور[

ولذلك بجب احترام التوراة واحترام من يعمل بها حقيقة.

ثانيا :كان النبيون عليهم صلوات الله يحكمون بالتوراة ، و يشرعون الاحكام الدائمة و التوجيهات اليومية انطلاقا من قيم التوراة وانما اوتي النبيون الحكومة و القيادة لانهم اسلموا لله وكانوا معصومين عن الخطأ و الزلل.

ثالثا : الذين كانوا يخضعون للتوراة هم الذين هادوا ، و الحكم انما كان لمصلحة هذه الفئة وليس في ضررهم.

رابعا : بعد النبيين كان الأولياء و العلماء يحكمون الناس وفق التوراة.

الائمة و العلماء:

]يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون و الاحبار]و الربانيون - حسبما يبدو لي - هم اولياء الله الذين ينسبون الى الرب ، لانهم كانوا في منتعهى الاخلاص و التضحية ، و كانوا يجسدون روح الرسالة كأمثال الائمة عليهم السلام ، و الحواريين في التأريخ ، و الصفة الظاهرة لهؤلاء هي قيامهم لله ، و تمحضهم في ذات الله ، بالرغم من انهم كانوا علماء بالدين ايضا ، وقد جاء في حديث ماثور عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير هذه الاية الكريمة:

)ان مما استحــق به الامامــة التطهير والطهارة من الذنوب و المعاصي الموبقة . التي توجب النار ، ثم العلم المنور (وفي نسخة المكنون) بجميع ما تحتاج اليه الامة مــن حلالها و حرامها ، و العلم بكتابها خاصة وعامة ، و المحكم و المتشابه ، و دقائق علمه ، وغرائب تأويله ، و ناسخه و منسوخه. (

)يقول راوي الحديث) قلت وما الحجة بان الامام لا يكون الا عالما بهذه الاشياء التي ذكرت ؟ قال:

قول الله فيمن اذن الله لهم في الحكومة و جعلهم اهلها:

"انا انزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا و الربانيون و الاحبار "فهذه الائمة دون الانبياء الذين يربون الناس بعلمهم ، واما الاحبار فهم العلماء دون الربانيين ، اما الاحبار فهم الفقهاء العدول الذين كانوا دون الربانيين درجة لكن وجب على الناس اتباعهم في غياب من الربانيين.

صفات العلماء:

وقد كانت قيادة هذه الفئة للناس على اساس وجود صفات الفقه و العدالة و التصدي فيهم اما الفقه و العدالة فتدل عليهما كلمة.

]بما استحفظوا من كتاب الله[

اي بسبب انهم كانوا امناء على كتاب الله ، وايضا بقدر حفظهم لكتاب الله دراسة وتطبيقا فكلما كان الشخص اوسع فقها واشد تقوى كانت قيادته اكبر و اوسع مدى ، واما التصدي للقيادة فيدل عليها قوله سبحانه:

]و كانوا عليه شهداء[

اي شهداء على تطبيقه و رقباء على الناس في مدى تنفيذهم له ، ولكن لا يمكن ان يبلغ العلماء هذا المستوى الارفع الا اذا تجاوزوا عقبتين الاولى : خشية الناس والثانية : اغراءات الدنيا.

]فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا]شيئا عاليا جدا.

]ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكفارون[

اي اولئك العلماء الذين يستسلمون لاغراءات الدنيا ، او خشية الناس فلا يحكمون بما أنزل الله ، فهم الكافرون ، لانهم يهلكون و يهلكون الناس.

التشريعات التوراتية:

[45]ما هي احكام الله التي انزلها في التوراة هل هي مجرد الصلاة و الصيام -كلا - انها شرائع وانظمة للحياة مثل القصاص الذي تتجلى في تطبيقه سائر الاحكام الاجتنماعية مثل المساواة و العدالة ، ذلك لان المجتمع الطبقي لا يقتص للفقير من الغني ، و المجتمع العنصري لا يقتص للدني من الشريف وللاسود من الابيض ، و المجتمع الحزبي لا يقتص للفرد من الكادر و هكذا ، اما اذا أجرى المجتمع حكم القصاص فهو دليل على ايمانه بالعدالة ، و ترفعه عن سلبيات التمايز بأي نوع كان.

ولذلك فان بني اسرائيل فسدوا ليس بسبب عدم صلاتهم او صيامهم ، بل بسبب عدم تطبيقهم الكامل لحكم القصاص ، حتى اذا قتل الشريف وضيعا لم يقتصوا منه (١) لذلك جاء في الاية الكريمة:

(1)جاء في الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم ، وهما محصنان فكرهوا رجمهما . فأرسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسألوا النبي عن ذلك طمعا في ان يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم . كعب بن الاشرف ، وكعب بن اسيد ، وشعبة بن عمروا ، ومالك بن صيف ، وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا : يا محمد أخبرنا عن الزاني و الزانية اذا احصنا ما حدهما ؟ فقال : وهل ترضونه بقضائي في ذلك قالوا : نعم فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا ان يأخذوا به"

]و كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس[

دون ان يؤخذ في الاعتبار الطبقة او شرفها او علمها او ما اشبه.

]والعين بالعين و الانف بالانف و الاذن بالاذن و السن بالسن و الجرو ح قصاص]فكل جرح يمكن تقديره يجب القصاص له .

و القصاص حق من حقوق المجني عليهم ، و يجوز لهم العفو عنه تقربا الى الله و تصديقا بوعده ولمن عفا عن اخيه مغفرة و كفارة لذنوبه.

]فمــن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون]حقيقة التبديل:

يبدو لي ان تبديل حكم مثل القصاص في المجتمع يعتبر ظلما اجتماعيا ، لا نه يقضي على العدالة و المساواة في المجتمع ، ولكن هذا التبديل اذا كان في مستوى التشريع وقام به العلماء و الامراء فهو كفر كما سبق في الاية السابقة ، بينما اذا كان تبديل حكم مثل الصدقو الوفاء و الامانة و سائر المواعظ الموجودة في الانجيل ، فهو فسق كما يأتي في الايات التالية.

الانجيل صنو التوراة:

[46]و أرسل الله عيسى بن مريم عليه السلام بتبع آثار النبيين السابقين في خط الهي واحد لا ينحرف و صدق عيسى برسالات الانبياء ، وجاء بالمزيد منها ،فمثلا في الانجيل الذي كان فيه - كما في التوراة - هدى يهدي الناس الى سبيل السلام كما كان فيه نور يثير دفينة العقل ، و يستجلى غبار الضمير ، و يبلور قيم الفطرة ، حتى يرى الناس بانفسهم السبل التي هداهم اليها الله برسالاته.

]وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم [

اي جعلناه يقفو و يتبع اثر الانبياء..

]مصدقا لما بين يديه من التوراة واتيناه الانجيل فيه هدى ونور]وهذا يدل على وحدة الرسالة الالهية ، و تكاملها مع الانبياء و ضرورة احترام اهل الكتاب وكان الانجيل يحمل بين دفتيه تصديقا بما تقدمه من كتب وفيما بينها التوراة ، و يضرب الامثال الواقعية ليتذكر الناس و ليتعظوا و ليعتبروا.

]و مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى و موعظة للمتقين]اذا اتقى الفرد اولا اقل اراد ان يكون بعيدا عن الشر استمع الى الموعظة و استفاد منها ، اما الشقي فانه يصم عن المواعظ.

[47]واذا كانت رسالات السماء واحدة مع اختلاف بسيط في التفاصيل التي بالرغم من اهميتها من الناحية التشريعية ، الا ان الاحكام اللاحقة تنسخ الاحكام السابقة لانها اولى بالظروف المتجددة وهي بالرغم من ذلك غير هامة ، اذا لاحظنا محتوى الرسالات وروحها التوحيدية ، واهدافها السامية من الاطارات و الطقوس ، و كذلك اذا لاحظنا هذه الحقيقة وهي ان خضوع البشر لرسالات السماء يجعله يقترب شيئا فشيئا الى الايمان بها جميعا ، فمن آمن واقعابروح رسالة الله الهابطة على موسى وعيسى عليهما السلام لا يمكنه الكفر برسالة محمد صلى الله عليه وآله ، لانهما تصدران من منطلق واحد و تشعان من مشكاة واحدة ، لذلك امر الله أهل الكتاب باتباع رسالاتهم.

]و ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون[

فاستبقوا الخيرات

هدى من الايات

أنزل الله القرآن ليبين ذات الرسالة الالهية الواحدة التي هبطت على موسى وعيسى و النبيين عليهم السلام ، وليكشف الحق القائم في واقع الحياة ، وفي ذات الوقت الذي يصدق القرآن بالكتب السابقة فهو يكملها و يهيمن عليها و يحمل من القيم و الشرائع أكثر و أفضل منها ولذلك يجب إتباعه ورفض أهواء الناس التي تخالف الحق.

ولقد جعل الله لكل امة شريعة و منهاجا و طريقا يصلون عبره الى الحق ، وكان من الممكن ان يجعل الناس في صورة امة واحدة ، ولكن لاختلاف إنماهو من أجل إبتلاء الناس و بهذا الاختلاف الذي لو استغل حسب سنة الله ، لأصبح وسيلة للتنافس البناء ، و تسارع الجميع نحوالخيرات ، وغدا عند الله يعرف كل فرد هل كان على حق أو باطل.

وعلينا جميعا إتباع احكام الله دون أهواء هذا او ذاك من الذين يحاولون تضليل البشر ، أما أولئك الذين يتولون عن الرسالة ، فان سبب ذلك ذنوبهم التي رانت على قلوبهم ، حتى حجبتها عن الحقيقة ، وأنهم فاسقون.

إنهم يريدون تطبيق أحكام الجاهلية التي هي إنعكاس عن التخلف و الرجعية و الظلم ، و يتركون أحكام الله تعتمد على العلم و الايمان و بالتالي اليقين.

بينات من الايات

الكتاب الحق:

[48]كما أنـزل الله التـوراة و الانجيـل و لنفـس الاهـداف ، أنـــزل الكتاب (القرآن) الذي يتصل بالحق إتصالا عضويا، فهو حق يتطابق و سنن الحياة و أنظمة الكون و فطرة الانسان ؛ و وسيلته الحق وهو العمل الصالح و الايمان و الفداء ؛ وهدفه الحق وهوفلاح البشر و سعادته ، وربما كانت لفظة)الباء) دالة على هذا التفاعل بل الوحدة التامة بين الكتاب و الحق ، لأنه حق أصلا و وسيلة و هدفا.

]و أنزلنا اليك الكتاب بالحق[

و الكتاب يصدق ما أنزل في الكتب السابقة ، مما يدل على وحدتها سلفا ، ولكنه يهيمن عليها ، ويكمل ما سبق منها و يسيطر عليها.

]مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه[

فاذا كان الانجيل غامضا فيما يتصل بمنهج ما ، فان تفصيله في القرآن.

لماذا الاختلاف ؟!

ويبدو لي : ان القرآن الكريم اخد يعالج مسألة الخلافات البشرية بصفة عامة هنا ، بمناسبة الاختلاف القائم بين كتب السماء ، واتباع الديانات السماوية ، وأجاب على هذا السؤال لماذا يختلف الناس في ممارساتهم ؟!

باجابة واضحة نفصلها في عدة نقاط:

ألف :إن كل امة تتميز بممارسات حياتية مادية و معنوية خاصة ، فاقتصاد كل أمة واجتماعياتها و سلوكياتها الفردية (وسائر ما تسمى بالشرعة) تختلف عن غيرها) ، كما ان لغتتها و ثقافتها و تطلعاتها (و سائر ما يسمى بالمنهاج (تختلف عن غيرها.

باء : إن هذا الاختلاف فطري نابع من خلقة البشر ، و طبيعة اختلاف الحياة ، وانعكاس هذا الاختلاف على كيان البشر ، والا فان الله قادر على ان يجعل البشر - كما الطيور و الاسماك وما اشبه - أمة واحدة دون اختلاف يذكر فيما بينهم.

جيم : والاختلاف نافع للحياة البشرية لانه يدعوالى التنافس و التسارع الى الخيرات ، إذ كل طائفة تسعى من اجل معرفة أفضل بأنظمة الحياة ، و وسائل أفضل لتسخير إمكاناتها بهدف تحقيق التقدم على الطوائف الاخرى ، ولذلك نجد الحضارات الكبرى في التأريخ إنما نشأتبسبب تصارع الطوائف مع بعضها ، تصارعا خفيا لا يدعوا الى التدمير داخل الامة الواحدة.

دال : إن هذا الاختلاف ينبغي الا يجعل عدوا رئيسيا يتسهدف كل فريقالقضاء عليه بالقضاء على صاحبه أو بالجدليات الكلامية كلا . بل ينبغي ان يترك الحكم على عاقبة الاختلاف و نهاية الصراع ان يكون لهذا أو

لذاك يترك ذلك الى الله و اليوم الاخر حتى لا توجه هذه الطاقة البناءة (طاقة الصراع و التنافس) الى الدمار و الهلاك ، فيصبح هدف كل فريق القضاء على مكاسب الفريق الاخر كلا . بل ليكن هم كل فريق الحصول على مكاسب أكبر من صاحبه في ميدان الحياة الرحيب الذي يسع الجميع دون تضايق.

ان حكمة الله في إيجاد الناس مختلفين هي إختيارهم في مدى القوى الذاتية و الامكانات الطبيعية التي وفرها لهم لكي يعلم أي الفريقين أكثر معرفة و علما بالحياة ، وأفضل تسخيرا لها و بالتالي أكثر إيمانا ، و أفضل عملا صالحا.

]فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق]ويجعل العلم في القرآن في مقابل الهوى لأن الاهواء هي الحجب الكثيفة التي تمنع الانسان من الوصول الى الحق.

]لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[

بالرغم من ان الشرعة و المنهاج بمعنى واحد وهو الطريقة حتى قالوا : بانهما مترادفان بالرغم من ذلك فان المنهاج هو : الطريق المستقيم ، بينما الشريعة هي : الطـريق العـريض الواضح ، فيتبادر ان المراد بالمنهاج هو ما يخص الامور المعنوية (والتي نسميها بالثقافة) باعتبارها لحاظ الاستقامة في الحكمة ، بينما المراد من الشريعة هو الامور المادية والله اعلم.

الأهداف البعيدة للآختلاف:

]ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم]ليخرج طاقاتكم و طبائعكم الكامنة ، ومدى إستقامتكم.

]فأستبقوا الخيرات[

وهذا هو هدف الاختلاف البعيد وهو : التنافس البناء من أجل الوصول الى الخيرات ، اما الخلافات فلان:

]الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون]لذلك دعوها جانبا ، ولا تتعبوا انفسكم في محاولة إنهائها أو اثبات كل فريق بأنه أحق من غيره.

[49]ولا يعني السلام مع سائر الأمم وفق هذه الرؤية الرسالية البناءة ، التنازل لاهوائهم و انحرافهم أو الخضوع لضغوطهم بل يعني المزيد من الالتزام بالاحكام و التطبيق العملي لاستباق الخيرات و التنافس البناء.

]وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك]تسريب الثقافة الباطلة:

ان المنافسين و الاعداء يسعون من أجل تسريب أفكارهم و ثقافاتهم الى الامة الاسلامية في حالات السلم القائمة بينهم وبين المسلمين ، لذلك فان القرآن يوصي بضرورة إتخاذ جانب الحذر حتى لا يتأثر المسلمون بتلك الافكار.

وعلى المسلمين الا ينبهروا بالحياة الامنة التي يظهر وجودها عند الكفار أو الامم الاخرى ، لان هذه الحياة سوف تتحول الى جحيم بسبب ذنوبهم ، ولذلكيجب التحصن ضد التأثر بهم ، و تقليد أفكارهم أو عاداتهم.

]فان تولوا فأعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون]تصدير الاسلام:

[50]إن الامة الاسلامية تسعى من أجل تصدير برنامجها و رسالتها بالنموذج المتكامل الذي تصنعه حياتها الخاصة ، ولذلك فهي لا تحتاج دائما الى شن الحروب ضد الامم الاخرى ولكن هذا التصدير غير

ممكن من دون تحصن أبناء الامة عن تسرب أفكار و برامج الاخرين الجاهلية اليها ، وذلك بان تعرف الامة ان حكم اولئك حكم جاهلي عفن قد أكل الدهر عليه و شرب وانه لا يمكن ان يستمع اليه المسلمون.

]أفحكم الجاهلية يبغون[

يريدون الجاهلية ، والجاهلية هي الحكم الذي لا يستمد أصوله من العلم . و العلم بدوره نابع من أحد المصدرين العقل أو الوحي.

]ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون[

أي لاولئك الذين يبلغ بهم العلم درجة اليقين ، وهذا أرقى درجات العلم بالحقيقة ، فقد يكون هناك علم من دون يقين كأن تطمئن نفسك الى الحق بعيدا عن دواعي الشهوة و الغضب.

و الحكم المثالي في رؤية الاسلام هو : الحكم الذي تكون برامجه نابعة من العلمالاتي بدوره من العقل أو الوحي (بشرط أن يكون تطبيق هذه البرامج من قبل الناس معتمدا على الالتزام الذاتي و الواعي الذي يوفره اليقين ، لذلك اكدت الاية على أن أحسن أنواع الحكومة هو حكم الله بشرط ان يطبقه أهل الوعي و اليقين لا أن يفرض على الناس فرضا ..أويتبعه الناس تقليدا أعمى.

الكفار بعضهم اولياء بعض
هدى من الايات
بينات من الايات
الولاء المنحرف:

[51]يزعم بعض ضعفاء الايمان من المسلمين انه يمكن ان يحتموا بقوة اجنبية لمقاومة قوة اجنبية اخرى ، مثلا يعتمدون على النصارى لمقاومة اليهود ،وهذا زعم خاطىء لسببين:

الاول : ان الاجنبي أقرب الى الاجنبي في الواقع منك ، وان اليهود و النصارى سوف يتحالفان ضدك ، كما يتحالف الشرق مع الغرب ضد مصالح المستضعفين ، وبالنسبة اليك كمسلم تملك شريعة مختلفة عنهما و منهاجا متضادا معهما فانه يتساوى اليهود و النصارى ، أو الشرق والغرب فهما معا بعيدان عنك ، وعن مجتمعك .. مخالفان لك.

الثاني : إنك حين تتحالف مع هؤلاء أو اولئك تصبح جزءا من مجتمعهم ، و امتدادا لوجودهم وهذا يفصلك عن مجتمعك المسلم ، لان اهم ما يحدد هوية الشخص هو ولاؤه فلا يجتمع ولا إن الفرد واحد لذلك قال ربنا:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم]و ربما يزعم مثل هذا الرجل انه يتمكن من ربح الجهتين معا فهو في الظاهر من المسلمين ، وفي الباطل يوالي الاجنبي ، ولكنه خاطىء لانه يظلم بفعله هذا مجتمعه ، ولذلك لا يهديه الله لان القلب المليء بالنفاق و الغش و الغل لا يشع فيه نور العقل.

]إن الله لا يهدي القوم الظالمين [

[52]من الذي يوالي الاجنبي ؟

إنه الفرد أو الطبقة المنهزمة نفسيا أمامه ، والتي تخشى قوة الاجنبي ، و سيطرته في المستقبل على أوضاع البلد فتتعاون معه.

]فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة]أي مكروه ، أو سلطة العدو.

إنتظار الفرج:

ولكن ربنا يقول : ان هناك إحتمالا وجيها اخر هو الانتصار الكاسح للمسلمين عليهم أفلا يخشون المسلمين إذا!

]فعسى الله ان ياتي بالفتح[

بأن ينصر المسلمين على أعدائهم.

]أو أمر من عنده[

كعذاب شديد يصيب الكفار ليس على أيدي المؤمنين ، بل عن طريق زلزال او خسف أو مرض.

]فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين[

لانهم إعتمدوا على قوة ضعيفة ، و تركوا ولاءهم المقدس لسراب خادع.

[53]وآنئذ حين ينصر الله المسلمين أو يهلك الكفار بأمره ، يشمت المسلمون بالمنافقين و يقولون لهم : أكان هؤلاء الكفار هم القوة التي تحالفتم معها بقوة ،فهـذه مكاسبهم قد ضاعت في سراب الشرك ، و بقي رأسمالهم الوحيد الخسارة و الندم!

]و يقول الذين ءامنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم]أي بكل ايمانهم ، وبأشد أنواع الحلف وكان محتوى حلفهم.

]انهم لمعكم حبطت أعمالهم[

جميعا لانهم كانوا مشركين.

]فأصبحوا خاسرين[

حزب الله

هدى من الايات

وجود عناصر منافقة توالي اليهود و النصارى في الامة ، لا يعني ان الامة الاسلامية قد انتهت بل ان ربنا سبحانه سوف يهدي جماعة يتميزون بصفات الاعضاء الواقعيين لحزب الله ، و للمجتمع المسلم ، اولها : ان الله يحبهم وهم يحبون الله ، والله يتفضل عليهم ، وهم يضحون في سبيله ، و انسجامهم مع بعضهم يبلغ درجة التواضع والايثار ، فهم اذلة على المؤمنين ، ولكنهم يشعرون بالقوة و المنعة أمام الاجنبي الكافر فهم أعزة على الكافرين ، وجهادهم في سبيل الله دائم و نابع من ايمانهم الصادق بربهم وليس من تيار اجتماعي ، ولذلك فهم لا يخافون لومة لائم ، وهذه الصفات كلها من الله .. من الايمان به و التوكل عليه ، وبالتالي من نعمته على البشر التي يتفضل بها على من يشاء من عباده ، و الله واسع النعمة عليم بمن يستحقها.

وهؤلاء هم الذين يستحقون الولاية في المجتمع الاسلامي ، لانه الولايةالاساسية هي لله وثم لرسوله و ثم للذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتخذ هذه الولاية حقا فانه من حزب الله ، وان حزب الله هم الغالبون.

أما الكفار فحرام على المسلمين ان يتخذوهم اولياء لانهم ليس فقط لا يصلون ، بل يستهزئون بالصلاة ، ولابد ان يلتزم المسلم بعهده مع الله و يتقيه ولا يتولى الكفار أو أهل الكتاب.

وإنما يستهزيء هؤلاء بالصلاة لانهم لا يعقلون واقع الصلاة و علاقتها بتزكية الانسان ، و تربية المجتمع الفاضل.

بينات من الايات

صفات المجتمع الفاضل:

[54]لا تزعم انك لو واليت الاجانب فان المجتمع الاسلامي سوف ينطبع بطابعك ، أو سوف يصبح أقرب الى الاجنبي ، كلا .. بل انك سوف ترتد عن دينك ، و تنفصل عن واقع المجتمع المسلم حتى ولو كنت ذا سمة بارزة فيه وذا منصب كبير ، اذ ان الله سوف ياتي بقوم يجسدون ذلك المجتمع الفاضل الذي يتسم بالصفات التالية ..

اولا : ان الله يحبهم ، ولا يحب الله الشخص لذاته بل لتكامل الصفات الحسنة فيه ، من الايمان و العمل الصالح ، وحين يحب الله احدا تحبه ملائكته و أولياءه و يسخر له مافي السماء و الارض لانها مطيعة لله.

ثانيا :وهم يحبون الله ، و يشعورن بان الله متفضل عليهم ، وان عليهم شكر ربهم بالعطاء و بالصلاة و الزكاة و الجهاد ، وحين يصلون او يزكون و يجاهدون فان عطاءهم هذا ليس جبرا عليهم و إكراها بل طوعا و اختيارا لانه نابع من حبهم لله.

ثالثا : ولان علاقتهم بالله هي علاقة حب وهي ارفع درجات الانسجام و التوافق فانهم يحبون بعضهم و يتساهلون في علاقاتهم . حتى يزعم الناظر اليهم من بعيد ان الواحد منهم عبد للاخرين في علاقة التواضع و الايثار و الابتعاد عن الذاتيات ، فهم أذلة على المؤمنين.

رابعا :أما علاقتهم مع الكفار فهي علاقة المنعة و التحدي ، فهم أعزة عليهم صامدون أمامهم غير متأثرين بأفكارهم ، وغير خائفين منهم.

خامسا : ونشاط المجتمع المسلم مكثف ، و يتحدى الصعوبات الداخلية و الخارجية ، فهم ابدا يجاهدون في سبيل الله ضد سلبياتهم الداخلية و ضد الاعداء الخارجين.

سادسا :ان سلوكهم لا يتأثر بما يقوله الاخرون ، بل بما تمليه عليهم افكارهم السليمة و بصائرهم النافذة لذلك فان الاشاعات لا تنال من جهادهم.

]يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه[

فانه يخسر إنتماءه الى المجتمع المسلم ، بينما المجتمع المسلم موجود ليس به وبأمثاله بل بمن يأتي به الله.

]فسوف يأتي الله بقوم[

عن طريق هدايته لهم.

]يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم]لان انتماءهم الى المجتمع المسلم يغنيهم عن الارتباط بسائر الناس غير المسلمين ، فلذلك لا تؤثر فيهم الشائعات والدعايات وما يبثه المغرضون حول اهدافهم المقدسة.

وهذا النموذج المتكامل يصنعه الايمان الصادق بالله ، و تطبيق مناهج الرسالة التربوية.

]ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم[

ولانه واسع فان نعمه كبيرة لا تحصى ، ولانه عليم فهو يعلم من الذي يستحق باعماله و بنيته الطيبة .. فضل الله سبحانه.

و لاية الله أهم مظاهر حزب الله:

[55]تلك كانت الصفات الظاهرة للمجتمع المسلم او بالاحرى - الطليعة المسلمة -أما واقع هذه الطليعة فهو قبول ولاية الله في السماء و الارض .. في الغيب و الشهود .. في امور الاخرة و الدين ، كما في شؤون الدنيا و الحياة ، و ولاية الله تعني:

اولا : إخلاص العبودية له.

ثانيا : إتباع مناهجه.

ثالثا : أن يكون حب الفرد و بغضه لله وفي الله.

و ولاية الله في الدنيا تتجسد في قيادة الرسول و خلفائه الائمة ، و الربانيين ، و الاحبار الصالحين.

]إنما وليكم الله و رسوله و الذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون]فان حزب الله هم الغالبون:

[56]و الذين ءامنوا هم المجتمع الرسالي الامثل الذي لا يتجاوز انتماء الفرد عن حدودهم ، بل يقتصر عليهم لكي تتشكل هذه الولاية بالاضافة الى تلك القيادة - الحزب الالهي. -

]ومن يتول الله و رسوله و الذين ءامنوا فان حزب الله هم الغالبون]والسؤال : لماذا يغلب حزب الله سائر التجمعات ؟

اولا :لأن إرادة الله العليا تشاء ذلك بان ينتصر حزبه على سائر الاحزاب ، وفي صراع المجتمعات الاسلامية و الجاهلية شواهد على ان ما نسميه بالصدق (أو بالاحرى القدر الالهي) يلعب دورا أساسيا في إنتصار الرسالة ، وما هي سوى ارادة الله العليا التي عبر سبحانه عنها بقوله:

]إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم[

ثانيا :إن حزب الله يعتمد على أساس القيم الحياتية التي تربي الفرد على اليقين و العمل الصالح و الانضباط ، وهذه القيم قادرة على صنع الحضارة..

ثالثا :أساس التنافس داخل المجتمع الاسلامي ليس بالشخصيات ولا الغنى ولا العنصر ، وانما العلم و العمل ، اللذان يعتبران القيمتان الاساسيتان في هذا المجتمع ، بينما أساس التنافس في سائر المجتمعات هي واحدة من تلك القيم الزائفة ، ومن الطبيعي ان يرتقي ذلكالمجتمع الذي يتنافس أصحابه على العلم و العمل.

رابعا : أبرز ما يعطي المجتمعات التقدم و الاستمرار هو قدرتها على تجاوز التحديات التي تتعرض لها من قبل الاخرين ، و المجتمع الاسلامي يتكىء على الجهاد و الشهادة في مقاومة التحديات و تجاوز الصراعات ، فيكون أقدر على الاستمرار و التقدم.

من هنا كان حزب الله - بالرغم من قلة أبنائه و ضآلة موارده في البداية اقوى من حزب الشيطان على كثرة عدده و عدته وهو الغالب عليهم.

بد الطاغوت
هدى من الايات

لكي يصنع الاسلام سدا منيعا بين المجتمع الاسلامي ، و المجتمعات الجاهلية ، حتى لا يبتلى المجتمع بازدواجية الولاء . يحرم اتخاذ غيرهم اولياء من اولئك الذين يتخذون الدين الاسلامي هزوا ولعبا ، سواء كانوا كفارا مشركين او كانوا من أهل الكتاب ، و يامرهم بالتقوى و الخوف من الله ، و الحذر من عقابه.

ويذكرهم االقرآن بان اولئك يتخذون الصلاة هزوا و لعبا و بسبب عدم انتفاعهم بعقولهم لم يعرفوا مدى أهمية الصلاة ، وهم ينكرون على المسلمين ايمانهم بالله و بما انزله الله من كتاب ، بينما اولئك اكثرهم فاسقون.

وعند التقييم العادل يطرح هذا السؤال : من الذي شر مكانا ؟ المسلمون ام اليهود الذين لعنهم الله ، وغضب عليهم ، وهم يعبدون الطاغوت ؟؟

من الطبيعي ان هؤلاء اليهود هم شر مكانا و موقفا في الحياة الدنيا ، وابعد عنطريق الحق ، وابعد عن الهدى.

بينات من الايات

لا توال هؤلاء!

[57]حين يكون مقياس الانسان في تقييم الاشخاص و المجتمعات هو مبدؤه و دينه و رسالته ، يكون ولاؤه للناس بقدر ولائهم لذلك المبدأ و الدين او تلك الرسالة ، اما اذا كان المقياس مصالحة العاجلة فانه قد يوالي من يخالف دينه و رسالته ، أو حتى يستهزء بها او يحاول الانتقاص منها ، و الاستهزاء هو أسوأ انواع الانتقاص من فكرة أو شخص ، حيث يزعم المستهزىء ان سخافة الفكرة او رذالة الشخص قد بلغت حدا لا يحتاج الى دليل لردها ، بل الى كلمات ساخرة ينتبه الفرد بعدها الى واقعه و واقع فكرته غير الصالحين.

و القرآن الحكيم ينهى المؤمنين من تكوين علاقات ولائية بينهم وبين من لا يحترم دينهم ويقول:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا و لعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء]الهزء : السخرية الظاهرة ، بالكلام و اللعب ، واتخاذ الشيء مادة للتلهية عمليا كتقليد حركات الصلاة استهزاء ، او اداء الصلاة نفاقا (كما قال بعض المفسرين) ومن المعلوم ان جميع اليهود و النصارى او اهل الكتاب ليسوا كذلك بل ان بعضهم هو الذي يستهزء بالدين.

]و اتقوا الله ان كنتم مؤمنين[

فلا تدفعكم المصالح العاجلة الى الارتباط بمثل هذه الفئات ، فان كرامة الانسان و استقلاله اعز شيء عنده ولا يجوز التنازل عنهما لاسباب مصلحية مؤقته كما تفعل بعض الانظمة في بلاد المسلمين حيث يرتبطون بالغرب و الشرق او بدولة اسرائيل الغاصبة ، و يعقدون معهماحلاف الولاء لبعض المصالح العاجلة ، في الوقت الذي لا تني مؤسسات الغرب الثقافية و الاعلامية و أحزاب الشرق العملية و ابواق اسرائيل عن النيل من الاسلام واهله.

والسؤال الذي يفرض علينا عبر التاريخ و دروس الحضارات البائدة و المجتمعات المتخلفة هو :كيف يحترم العالم مجتمعا لا يحترم نفسه ، وكم يفي العالم لمثل هذا المجتمع الناقد لكرامته و استقلاله ، وكم يفي له بالعهود ، والى متى تستمر له هذه المصالح العاجلة ، واساسا هل تعني المصالح شيئا لمجتمع فقد كرامته ؟!

[58]وحين ينادي المؤذن بالصلاة ترى هؤلاء يستهزئون بها و يتغامزون بينهم و يقولون لبعضهم : انظروا الى المسلمين يتركون اعمالهم لاداء شيء غيــر نافع ، وهذا مثل ظاهر لما ذكرت في الاية السابقة.

]واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا و لعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون [انهم لا ينتفعــون بما وهــب الله لهم من نعمة العقل التي تدعوهم الى التفكر في فوائد الصلاة ، ومدى ارتباط سعادة البشر وفلاحه بها.

[59]بل ان هزء هؤلاء و انكارهم على المسلمين و تناقضهم معهم ليس من اجل المصالح المتضادة ولا من اجل الاختلاف في الدم و اللغة كما يزعمون بل من اجل الاختلاف في القيم و المبادىء ، وان المسلمين امنوا بالله و بالرسالات .

بينما ظل اولئك كافرين عمليا بها . حيث انهم مع تظاهرهم بالايمان بالرسالة فهم لا ينفذون تعاليم الرسالة الا فسقا و تهاونا.

]قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان ءامنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون]سوء العاقبة:

[60]و الواقع ان العاقبة للمؤمنين المتقين ، اما الفساق فان نهايتهم سيئة ، و مثوبتهم و جزاءهم شر عليهم لانهم ملعونون عند الله بعيدون عن رحمته ، ولان الله غضب عليهم وانزل عليهم العذاب الظاهر حيث جعل منهم القردة و الخنازير ، وجعل منهم عبدة الطاغوت ،أي ابتلاهم بسبب فقدان كرامتهم و استقلالهم بالطاغوت و بالسلطات الديكتاتورية الظالمة.

]قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله[

أي جزاء عند الله وعاقبة.

]من لعنه الله وغضب عليه[

اللعنة - حسبما يبدو لي - الابتعاد عن رحمة الله بينما الغضب : انــزال العــذاب ، وقد تمثل في الدنيا بامرين:

]وجعل منهم القردة و الخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا]من الناحية المادية.

]واضل عن سواء السبيل[

أي ابعد عن الجادة ... من الناحية المعنوية.

اليهود : غلت أيديهم
هدى من الايات
في مقابل المجتمع الاسلامي نجد المجتمع الفاسد ، الذي يمثله اليهود ، و يتميزون بعدة صفات سلبية :

الاولى :النفاق ، حيث يتظاهرون بالايمان ، ولكن دخولهم في محضر الرسول (ص) يتم بالكفر ، كما ان خروجهم يتم بالكفر ايضا ، و الله يعلم انهم يكتمون الكفر.

الثانية : انهم يتسابقون الى قول الاثم والى الاعتداء على حرمة الناس وعلى اكل اخبث الحرام.

الثالثة : ان رجال العلم و الدين قد فسدوا ولم يتناهوا عن الاثم واكل السحت.

الرابعة : انهم قدريون آيسون من رحمة الله ، و يزعمون ان يد الله مغلولة.

الخامسة : ان رسالة الله تزيدهم طغيانا وكفرا.

السادسة : انهم مختلفون بعضهم يعادي بعضا.

السابعة : ان طبيعتهم تنزع الى الحرب و الفساد.

ان هذه الصفات هي التي تدمر الكفار لانه اذا آمن أهل الكتاب ايمانا حقيقيا و اتقوا لكفر الله عنهم سيائتهم ولادخلهم جنات النعيم في الاخرة ، اما في الدنيا فلو انهم طبقوا الرسالة ، ونفذوا أوامر الله في التوراة و الانجيل اذا ، لعاشوا في الرفاه بحيث يأكلونمن فوقهم ومن تحت ارجلهم ، ولكن منهم امة مقتصدة تطبق تعاليم السماء ، و كثير منهم فاسقون ويعملون عملا سيئا لذلك ابتلوا بهذه الصفات السيئة.

بينات من الايات

تارك الرسالة .. صفات و تقييم:

[61]لكي لا يتخذ المؤمنون الاجانب اولياء يعدد الله صفات طائفة من اليهود التي تنطبق ايضا على كل امة تركت رسالات الله ، و نافقت في ايمانها كالانظمة المسيحية في العالم الغربي ، او ادعياء الاسلام في عالمنا ، و ابرز تلك الصفات السيئة التي تنشأ منها سائر الصفات الرذيلة النفاق.

]وإذا جاؤكم قالوا ءامنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به]فالكفر كان يصاحبهم قبل و بعد دخولهم على الرسول او في الاسلام ظاهرا.

]و الله اعلم بما كانوا يكتمون[

من النفاق و الدجل.

و الله لا يرى ظاهر الناس فقط ، بل يرى واقعهم الكامن ايضا.

[62]و الايمان يردع الفرد عن التهمة و الغيبة وقول الزور و كل الافكار المفسدة للضمير و الداعية الى الكسل و الجبن و العداء ... اما المنافقون فلانهم لا يتمتعون برادع الايمان لذلك تجدهم يسارعون في الاثم.

]وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم[

أي لا يترددون من قول الاثم و الباطل.

كما ان الايمان وازع نفسي عن الاعتداء على حرمة الاخرين بشن الحروب الاستعمارية ، او اشاعة جو

الارهاب بالقتل و الاعتقال ، او التهجير كما تصنعه الانظمة الطاغوتية ، اما من لا يملك هذا الوازع فهو يسارع في التجاوز.

]والعدوان[

وما يستهدفه هؤلاء من قول الاثم و العدوان هو أكل اموال الناس الذي يشبه قطعــة الجلد التي تتكون بعد الجرح و القرح و المليئة بالجراثيم وهذا يسمى بـ (السحت. (

]وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون[

[63]و الفساد في هذا المجتمع قد تسرب الى الجهاز الاعلى فيه الى رجال العلم و الدين الذين من المفروض ان يكونوا جهازا اصلاحيا في المجتمع ولكنهم يسكتون عن الفساد.

]لولا ينهاهم الربانيون و الأحبار عن قولهم الاثم و أكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون]بل يداه مبسوطتان:

[64]من الافكار الخرافية الفاسدة التي شاعت في مثل هذا المجتمع كما عند اليهود انهم يقولون : يد الله مغلولة وانه خلق الخلق ثم تركه دون قدرة على تغيير او تطوير ، وبهذه الفكرة ألغوا دور الدين في الحياة ، و دور الايمان بالله و التوكل عليه في بناء الحضارات.

]وقالت اليهود يد الله مغلولة[

ولان اليهود زعموا بان قدرة الله محدودة فانهم جمدوا و تخلفوا ، لان الايمان بقدرة الله الواسعة تنعكس على البشر انطلاقا و تقدما ، لانه يستتبع الايمان بلا محدودية الامكانات عند البشر المؤمن المتصل ببحر قدرة الله التي لا تحد ولذلك قال ربنا:

]غلت ايديهم[

فالذي يتصور الحياة بصورة جامدة لا تتطور الى الافضل ، والذي لا يؤمن بقدرة الله على انقاذه من ويلاته هو مغلول اليدين ، و الذي لا يتوكل على الله هو الاخر مغلول اليدين يعيش ابدا في اوحال الرجعية و التخلف.

واكثر من هذا فان اليهود ملعونون مطرودون من رحمة الله وغير قادرين على الانتفاع بالامكانات الحاضرة لديهم ، لذلك قال ربنا:

]و لعنوا بما قالوا[

أي لعنوا وابعدوا من بركات الله بسبب قولهم الفاسد ، اما ربنا سبحانه فان قدرته لا محدودة ، وهو ينفق من هذه القدرة حسبما تقتضيه حكمته البالغة.

]بل يداه مبسوطان ينفق كيف يشاء[

ان رؤية اليهود الجامدة الى الرسالة الجديدة و الى كل جديد ، وكفرهم بامكانية التجديد أصبح حجابا بينهم و بين نور الرسالة لذلك كلما تليت عليهم ايات الرسالة ازدادوا طغيانا.

]وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا]لانهم كانوا يزعمون ان كل جديد بدعة يجب محاربته ، فلذلك كانوا يتوغلون اكثر فأكثر في خرافاتهم القديمة.

وربما بسبب الرؤية الجامدة و الثابتة الى الحياة ، واعتقادهم الراسخ بان الله لا يطور الحياة ارتبطوا بالفاظ وقوالب معينة جمدوا عليها و اختلفوا فيها ، واستمرت الخلافات هذه بينهم الى يوم القيامة ، ولم يدفعهم تطور الحياة الى العودة الى جوهر رسالتهم وتركالقوالب الجامدة التي تشبث كل فريق بجانب منها و تعصب لها ، لذلك اعقب القرآن الحكيم على السلبيات السابقة سلبية الخلافات الداخلية وقال:

]و ألقينا بينهم العداوة و البغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله]و اطفاء الله لنيران الحرب التي اوقدوها دليل على التدبير المباشر لربنا لشؤون الحياة ، كما ان كل خطة محكمة تفشل بما يسمى بالصدفة ، وكل رأي سديد ينقض بسبب ما يقال : بانه الدهر و الليل و النهار و كل تقدم و انتصار يتحققينسب الى الحظ ، كل ذلك دليل على الدبير المباشر لربنا في الحياة و لذلك جاء في حديث الامام علي عليه السلام:

"عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم"

]و يسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين[

و فسادهم في الارض نتيجة واضحة لرؤيتهم الباطلة و الجامدة تجاه الحياة ، فهم لا يؤمنون بضرورة العمل لمستقبل أفضل حتى يصلحوا الحياة ، كما لا يؤمنون بان فسادهم سوف يتسبب في دمار الحياة و تحول عيشهم الى جحيم لا يطاق حتى يرتدعوا عن الفساد.

و الواقع ان فكرتهم باطلة ، ذلك لان الله لا يحب المفسدين ، فهو يجازيهم شرا بفسادهم.

[65]ان كل تلك السلبيات التي تواترت على اليهود لم تكن بسبب رسالات الله الهابطة عليهم في الكتب ، بل بسبب عدم عملهم بتلك الرسالات.

]ولو ان أهل الكتاب ءامنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم [وذلك في الاخرة ، و التقوى هو الالتزام بما يوجبه الايمان من العمل الصالح و السلوك الحسن.

[66]كما ان تطبيق تعاليم السماء سوف ينشر عليهم الرفاه و الرخاء.

]ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم]كالقرآن الحكيم ، حتى لا يكون تطبيقهم للتوراة و الانجيل بل لانه نازل من ربهم.

]لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم [

حيث تنزل السماء بركات عليهم ، و تنبت الارض خيراتها ، و سلطاتهم ستكون عادلة ، وكبار القوم يرحمون صغارهم ، و الصغار يوقرون كبارهم ولم تكن تشيع بينهم الطبقية المقيتة ، ولا ينمو في مجتمعهم الطغيان بيد ان اهل الكتاب لم يطبق كلهم كتاب الله بل.

]منهم امة مقتصدة[

معتدلون في تفنيذ الاوامر غير سباقين فيها ولا مقصرين.

]وكثير منهم ساء ما يعملون[

فلا ينفذون واجبات ربهم ، و عاقبتهم هي تلك التي اشار اليها ربنا في الايات السابقة.

الولاية ذروة الايمان

هدى من الايات

بعد ان امر القرآن الحكيم المسلمين بالولاية التامة للمجتمع الاسلامي ، و نهاهم بشدة عن قبول ولاية الكفار و المشركين ، و بين سبب ذلك في الدرس السابق ، جاء في هذا الدرس يؤكد للرسول ، و عموما

لكل من تحمل تبليغ رسالات الله ، كالربانيين و الاحبار بالا يهادنوا احدا ، ولا يساوموا احدا في تبليغ الرسالة عموما ، ومن الطبيعي ان يكون سياق الحديث في هذا الموضوع الولاية او القيادة لانها هي التي قد يخشى الرسول من تبليغها خوف ارتداد الناس ، ذلك ان القيادة اهم ما تطمح اليها القوى الاجتماعية.

و اكد ربنا سبحانه علىان التقصير في هذا الجانب يكون بمعنى عدم تبليغ الرسالة رأسا ، و وعد المبلغين لرسالات الله ، وحفظهم من شر الناس ، وانه لا يهدي القوم الكافرين.

ثم حذر اهل الكتاب من انكم لستم على شيء حتى تقيموا التوراة و الانجيل و القرآن ثم بين ان الرسالة الجديدة سوف تزيد الكفار طغيانا و كفرا فلا تحزن عليهم.

ولكن ذلك كله لا يعني ان اليهود و النصارى او الصابئين يدخلون النار ، لانهم اصحاب كتب . كلا . بل انهم لو ءامنوا بالله و اليوم الاخر و عملوا عملا صالحا فانه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

بينات من الايات

وهل الدين الا الولاية ؟

[67]السياسة في أي نظام اجتماعي هي القمة ، و القيادة في السياسة هي سنام القمة ومن دون سياسة صالحة فان سائر الانظمة الاجتماعية لا تعني اكثر من حبر على ورق ، كما انه من دون القيادة الصالحة فان السياسة لا تعني شيئا لذلك فان الله سبحانه يذكر نبيه - هنا - بان اي تقصير في امر تبليغ اي بند من بنود الرسالة يعتبر وكانه لم يبلغ الرسالة اساسا . يقول ربنا:

]يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته [وهنا يطرح سؤالان : الاول : لماذا جاء هذا التحذير في هذا السياق ؟

الثاني : لماذا ارتبط تبليغ رسالة جزء مما انزل بسائر الاجزاء .. ؟؟

للاجابة على السؤال الاخير لابد ان نعرف : ان تقصير الرسول أو اي مبلغ لرسالات الله انما يكون بدافع اجتماعي . مثل الخوف من ذوي البطش و مراكز القوى أو الطمع في جذب الناس وعموما لا يكون ذلك الا في القضايا الحساسة مثل القيادة او مخالفة عادات راسخة او ماشبه ، واذا لم يبلغ الرسول رسالة ربه في مثل هذه القضايا فان الرسالة لن تحقق هدفها اذ ان هدف الرسالة هو مقاومة السلبيات الاساسية في المجتمع ، اما القضايا البسيطة فان اصلاحها لا يغير مناوقع المجتمع شيئا.

ثم ان الرسالة التي تعجز عن مقاومة سلبيات المجتمع ، او معالجة القضايا الاساسية فيه لا تنفع شيئا لان كل ظاهرة تخالفها الرسالة قد تصبح في يوم من الايام ذات حساسية في المجتمع ولا تستطيع الرسالة انئذ من مخالفتها .. حتى الصلاة قد تصبح ذات يوم قضية تستتبعالخوف و الاستهزاء فعلى الرسالة التنازل عنها ؟!

ومن هنا نعرف الاجابةعلى السؤال الاول ، اذ ان السياق القرآني يحدثنا عن الولاية ، و الولاية قضية حساسة بل هي اهم قضية حساسة لذلك اكد القرآن على هذا الحكم في هذا السياق بالذات .. لذلك جاء في الحديث المروي عن الامام الباقر عليه السلام:

)ان الله اوحى الى نبيه (ص) ان يستخلف عليا (ع) فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من اصحابه ، فانزل الله تعالى هذه الاية تشجيعا له على القيام بما امره الله بادائه)والمعنى : ان تركت تبليغ ما انزل اليك و كتمته كنت كانك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة.

]و الله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين]موقف اهل الكتاب من الولاية:

[68]و القضية لا تخص المسلمين فقط ، اذ ان على جميع أهل الكتبالسماوية ان يطبقوا كل تعاليم الرسالات السماوية والا فان مثلهم مثل الذي لا يملك رسالة ابدا ولا فرق بينهم وبين الكفار.

]قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة و الانجيل وما انزل اليكم من ربكم]بينما أهل الكتاب اصبحوا يتخذون موقفا معاديا من رسالات ربهم لذلك فهم يزدادون بها طغيانا وكفرا.

]وليزيدن كثير منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين]أي لا تحزن عيهم.

[69]واذا طبق أهل الكتاب كل ما انزل عليهم من ربهم فان رحمة اللــه واسعة .. و فضله عظيم فهو يدخلهم جناته كالمسلمين.

]ان الذين ءامنوا و الذين هادوا و الصابئون و النصارى من ءامن بالله و اليوم الاخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون][٧٠] لقد أمر بنو إسرائيل ، وكل أهل الكتاب ان يؤمنوا بالحق انى كان ، واين كان ، ومن دون تجزئته ، ولكنهم لم يطبقوا ذلك و خانوا عهدهم.

فأخذوا يبغضون ايمانهم بالرسل حسب اهوائهم المصلحية ، أو حسب تصنيفاتهم العنصرية فاذا جاءهم رسول يخالف مصالحهم ، أو من غير عنصرهم ، كفــروا به ممــا يدل على انهم لم يؤمنوا أساسا بالحق ، بل ءامنوا بالأهــواء و العنصرية.

]لقد اخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون]عملية التكذيب للرسول هي قتل له لان أهم شيء عنده هي رسالته فلو انها كذبت فكأنه قد قتل قتلا.

[71]وكان يزعم هؤلاء : أن قتل الانبياء او تكذيبهم سوف لا يخلف اثارا سلبية عليهم ، فاندفعوا الى ذلك دون ان يبصروا الحقائق بانفسهم أو يسمعوها من ذوي النصيحة.

]و حسبوا ألا تكون فتنة فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صمواكثير منهم والله بصير بما يعملون]ان الدعاة و المصلحين هم عيون الامة فاذا قتلوهم ، فكأنهم أعموا أعينهم ، وأذا أعمى الانسان عينه ، فهل يعني ذلك ان الحقائق تزول ، أو تتغير لمجرد أنه لا يراها ،كلا ، بل يعني انه سوف يتناقض معها و يدفع الثمن غاليا أمامك صخرة تراها عينك وتخبرك بذلك ولكنكبدل ان تصدق عينك وتنحرف عن الصخرة تغرز بمسمار في عينك فتعميها جزاء نصيحتها لك بما لا يرضاه غرورك و تكبرك و طغيانك ثم ماذا ، هل تنتهي المشكلة - كلا بل بالعكس بعد لحظات تجد نفسك وقد ارتطمت بالصخرة و تكسرت ساقك و تحطم رأسك ، كذلك فعل أهل الكتاب بانبياءالله الذين اسروا اليهم النصح فقتلوا الناصحين ، و زعموا ان ذلك يخلصهم ، مما يحذرهم الناصحون منه ، فاذا بهم يجدونها امامهم ، هنالك تاب فريق منهم ، ولكن توبة أكثرهم كانت وقتية ، اذ أنهم ما لبثوا أن عادوا الى عنادهم مرة اخرى.

ان هذا بعض آثار الكفر بالحق ، الذي مارسه اليهود ، وعلينا الا نتولى اليهود لهذا السبب.

انحرافات النصارى شرك و غلو

هدى من الايات

الأمة الاسلامية طليعية المتمثلة في حزب الله هي امة طليعة مستقيمة على الحق و عليها ان تبقى كذلك ، و تتجنب المزالق ، ولا تتولى اليهود او النصارى ، الذين انحرفوا عن الحق ، كل باتجاه ، ولكن مادمت منحرفا عن الطريق فلا فرق أن تكون يمينا او يسارا.

لقد رأينا في الدرس السابق كيف ان اليهود اصيبوا بالجمود باسم المحافظة على التقاليد ، و تحدوا الحق الجديد وطغوا عليه و كفروا به.

وها هم النصارى نراهم في هذا الدرس يخالفون الحق بصورة أخرى ، حيث انهم يؤمنون بالأساطير و يميعون الحق ، فهم يشركون بالله ، و يرفعون مستوى المسيح الى مستوى الربوبية ، تقليدا للكفار الذين ضلوا الطريق من قبلهم انهمانفتاحيون ولكن دون مقياس صحيح واصيل.

و القرآن يندد بهذه الفكرة و يقول بانها شرك تسبب حرمان الجنة ، ثم أنهاتؤدي الى الكفر بالله رأسا . ولماذا نشرك بالله ، هل لكي نجد من يخلصنا من عذاب الله ؟ أليس من الأفضل ان نعود الى الله لنجد عنده المغفرة الواسعة ، اما المسيح فلن يغني شيئا عن الله . انه بشر مثلنا يأكل الطعام ، وهو لا يضر ولا ينفع من دون الله ، و الواقع ان تأليه المسيح جاء نتيجة تقليد الاساطير الكفارة : وهو غلو مرفوض في الدين.

بينات من الايات

دوافع الشرك بالله لدى النصارى:

[72]لماذا انحرف النصارى عن المسيحية الصحيحة ، و لماذا قالوا : ان الله هو المسيح ، هل لأنهم لم يفهموا حققة الايمان بالغيب ؟ ولم يرتفعوا الى مستوى هذا الايمان فحسبوا ان الله هو المسيح ؟ ، او لأنهم أرادوا ان يتمسكوا بالدين تمسكا شديدا فغالوا فيه فضلوا فلكي يرفعوا منزلة المسيح اشركوه بالله سبحانه ؟ أو لانهم انفتحوا على الثقافات المشركة - خصوصا - الثقافة اليونانية ، التي عشعشت في الاسكندرية ، و تسربت منها الى المسيحية ؟ أو لأنهم تصوروا عظمة الله ، و شدة باسه و صرامة احكامه فلكي يجدوا لأنفسهم مخلصا يسمحوا لانفسهم به فعل الذنوب قالوا : ان الله أكثر من واحد ، وانه اذا اراد احدهم عقابنا فسوف يخلصنا الثاني ؟

كل هذه الدوافع قد تكون وراء الشرك عموما ، وشرك النصارى خصوصا وقد لا يكون الشرك نوعا واحدا ، إذ ان الضلالة والانحراف قد تكون عبر الاف الطرق ، اما صراط الحق فلن يكون سوى صراط واحد.

وفي الايات التالية اشارات إلى كل هذه الدوافع التحريفية التي علينا ،نتحذر منها عندما نريد ان نبني امتنا.

]لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي و ربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأواه النار وما للظالمين من انصار]كيف ينهى الله عن عبادة نفسه ؟ فاذا كان المسيح هو الله فكيف امرنا بعبادة غيره ؟

كلا . انه داعية اليه قالها بكل صراحة : (الله ربي وربكم) ثم حذر من الشرك بالله ، وبين جزاء المشرك ، واكد بانه لا هو ولا غيره قادرين على مقاومة إرادة الله في نصرة الظالم ، و إنقاذه من النار.

ما من إله الا الله:

[73]إن المسيحية المنحرفة ، انقسمت على نفسها في أن الله هو المسيح أو أنه شريك للمسيح ، وذلك إنطلاقا من اختلاف الأفكار الجاهلية القديمة ، التي قالت حينا بوحدة الوجود ، وحينا بتعدد الوجود ، وسواء كان قولهم الأول أو الثاني فهو كفر.

]لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة[

اذ ان الله يعني الأحدية المطلقة التي لو انكرها الفرد فقد انكر الالهوهية ذاتها.

]وما من إله الا اله واحد[

لذلك فمن انكر التوحيد ، فقد أنكر الله ، اذ ليس هذا الذي يتقبل الشريك إلها . أإله هذا الذي لا يقدر على شريكه ؟! أم إله هذا الذي يعجز عن بعض الأعمال من دون شريكه ؟! واذا ما الفرق بينه وبين خلقه ؟! واذا لماذا اساسا نؤمن بالاله ؟!

إننا حين نرى عجز الخلق عن بعض الأفعال ، نعرف أن هناك الها لا يدخل في طبيعته العجز ، ولا تحد قدرته حدود.

واذا رأينا الاله عاجزا ايضا، فلا يبقى مبرر للايمان به.

]وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم]تخصص العذاب بالكفار منهم بالرغم من ان هذه الفكرة تنسب الكفر لكل من يتقبلها ولكن تخصص العذاب ببعضهم . لان من يقول بهذا الكلام دون وعي كاف قد لا يحكم عليه بالكفر ، مثل بعض المتصوفة من المسلمين ، الذين يغالون في أوليائهم حتى مرتبة الألوهية من دون شعورمنهم بحقيقة ما يقولون ، وانه لكفر بالله العظيم.

عيسى ليس باله:

[74]يزعم بعض النصارى أنهم يحتمون بعيسى (ابن الله) عن عذاب أبيه ، لأنه ارحم منه بنا ويفند الله سبحانه هذا الزعم بطريقيتين:

الاولى : جذرية ، حيث يقول:

]أفلا يتوبون الى الله و يستغفرونه و الله غفور رحيم]ان لا يجد من هو أرحم به من الله و أكثر غفرانا . فلماذا يتصور ان هناك من يخلصه من الله مادام الله لم يسد عليه ابواب رحمته .. فليعد الى ربه ليجد في رحابه كل خير.

[75]الثاني : ان المسيح ليس سوى بشر ، وهل البشر قادر على ان ينقذ الناس من غضب الله.

ان المسيح كان قد ولد من أم وهذا أول وأبرز أدلة عجزه و محدوديته ، وبالتالي فهو مخلوق ، ثم انه كان ياكل الطعام ومن دون الطعام كان سيموت مما يدل ايضا على انه لم يكن سوى بشر ، وهل يقدر من يحتاج الى الطعام ، أن يقاوم إرادة الله ، خالق الطعام ، و الشراب، و مالكهما.

]ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل]لذلك لا تصبح معاجزة او علومه دليلا على انه إله ، لأن كل الرسل أيضا مثله يملكون معاجز و يعلمون بعض الغيب.

]وامه صديقة كانا ياكلان الطعام[

فليس هو أو أمه من نوع الالهة الذين لابد ان يكونوا بغنى عن الطعام.

]انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون[

[76]ثم ماذا يغني عنكم المسيح ، ما دام لا يغني عن نفسه غائلة الجوع ، إلا بالجهد و بوسيلة مادية أي بالطعام.

]قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم]وهل بإمكانكم ان تحتموا به عن الله الذي يسمع ما تقولونه ظاهرا و يعلم ما في قلوبكم.

الغلو محراب الشرك:

[77]ان اهم الدوافع وراء تأليه المسيح عيسى بن مريم ، كان الغلــو في الدين ، وبقدر ما تكون اللامبالاة بالدين خطر فان الغلو خطر بقدره ، لأن هذا وذاك مخالفان للحق و الحق هو محور الكون ويجب ان يكون محور حياة الانسان ايضا.

]قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق[

وحين أراد قادة الكنيسة دعم المبادىء الدينية توجهوا الى الغلو في الدين سعيا وراء ترسيخ مبادئه في النفوس ، ولكن الغلو بحاجة الى ايدلوجية تدعمه لذلك اتجهوا الى الثقافات الجاهلية ، و طعموا دينهم بها ، التي لم تكن سوى خرافات ، املتها اهواء أهل الضلالة كمثل خرافات اليونانيين عن تعدد الالهة ، و وجود قدرة غيبية لكل شيء هي وراء ما نرى في الطبيعة من تناقضات ، او تفاعلات إن هذه الخرافات ،هي التي تسربت الى المسيحية ، فحولتها الى دين المغالين.

و الله نهى عن ذلك بشدة قائلا:

]ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل[

تأثير الولاء على قيم الرسالات

هدى من الايات

جدد القرآن الكريم في نهاية هذه السلسلة من الدروس تنديده بتولي الكفار ، محذرا ان من يتولى الكفار سيكون مثلهم ، حتى ولو كان منحدرا من سلسلة مؤمنة كبني إسرائيل.

فهذا داود - النبي الملك ، وهذا عيسى الزاهد ، كلاهما يلعنان طائفة من بني اسرائيل . علما بأن داود و عيسى كانا من بني إسرائيل ايضا ، ولكن اللعنة على بني إسرائيل انما كانت بسبب عصيانهم واعتدائهم..

لقد ماتت في مجتمعهم ، قيم الرسالة فلم يعد احد يهتم بها أو يدافع عنها ، ولذلك ضاعت وحدتهم الفكرية ، و تشرذم مجتمعهم.

فأصبح فريق منهم يتولى الكفار بكل صراحة ، ويجر الى نفسه سخط الله العظيم.

واذا كانت قيم الرسالة حية في قلوبهم ، اذا لم يزدوج ولاؤهم ، ولم يكونوا يخونون مجتمعهم ولكن نفوسهم خوت من الايمان وعملوا بالفسوق و العصيان.

لقد جاء هذا الدرس منسجما مع الدروس السابقة التي كانت تؤكد على أهمية الولاء للمجتمع المسلم و لحزب الله الواحد.

بينات من الايات

لعنة بني إسرائيل:

[78]اللعنة لا تلحق البشر بسبب طينته ، كما ان الرحمــة لا تصيبه بهذا السبب ، بل كل ما يصيب الانسان فهو بسبب عمله .. و بنو إسرائيل كان فيهم مسلمون ، وكان فيهم كفار - طردهم أنبياء بني اسرائيل - ويمثل القرآن بمثلين من أنبياء بني اسرائيل داود (ع) وهو ملك وحاكم - و المفروض ان يأخذ الملك رعاياه بالسياسة و اللين ، خصوصا وان داود كان صاحب الزبور ، ويدعو ابدا الى الرحمة و الصلاح - وبعد داود لعنهم عيسى عليه السلام ، بالرغم من ان دعوته كانت الى السلام و الرحمة ، وكان سبب طردهما الكفار بني اسرائيل هو :انالكفار منهم كانوا يعصون الله و يعتدون على الناس.

]لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
]عوامل انهيار المجتمع:

[79]و انهيار المجتمع ، يبدأ بعدم التزام كل فرد بواجبه ، و بالتالي عصيانالله فيما يخص نفسه (ترك الصلاة - الكذب) ثم يتطور الى الاعتداء على حقوق الاخرين ، ثم يتطور الى اللامبالاة بالقيم ، وينتهي بتشرذم المجتمع و تعدد الولاءات فيه . خصوصا الولاءات الاجنبية.

]كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه [

كان لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر ، مما يدل على انهم لم يعودوا يحترمون القيم حتى على صعيد الحياة الاجتماعية.

]لبئس ما كانوا يفعلون[

ان ترك النهي عن المنكر يعجل في انهيار الامة.

[80]وادى عدم الاهتمام بالقيم الى أهتمام كل فرد بمصالحه و شهواته التي وجدها عند غير قومه ، فباع نفسه لهم ، و خان قومه .. لعدم وجود رادع من ضمير او قيمة من دين ، وكان يجد في أفكار الاجانب ما يملأ بها فراغة الفكري ، لذلك كان ينتمي اليهم.

]ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون [81][ان كل ذلك الانهيار الذي حصل في مجتمع بني إسرائيل كان بسبب عدم الايمان اذ أن الايمان هو المحور السليم لربط الناس ببعضهم.

]ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون]أي غير مؤمنين حقا ، ولذلك تشرذم مجتمعهم وأصبح مجتمعا ذيليا ..

المسلمون بين
عداوة اليهود و مودة النصارى

هدى من الايات
اليهود تطرفوا في المحافظة على أفكارهم و تقاليدهم ، فاستكبروا عن الحق ، وعاندوا صاحب الرسالة ، ولم تزدهم الرسالة الجديدة الا جحودا وإنكارا . اما النصارى : فقد انحرفوا عن الحق بطريقة مغايرة حيث انهم فقدوا مقياس الحق و الباطل فامنوا بكل الافكار التيوجدوا عليها صبغة دينية ، و بالرغم من ان هذا الانفتاح الواسع الذي جرهم الى الضلالة ، فإنه من الممكن ان يصبح وسيلة للهداية الى الحق .. حيث انهم يستقبلون الافكار الجديدة بصدر رحب ، و يستعدون للايمان بها فور سماعها.

من هنا نجد عند النصارى استقبالا يكاد يوازي في المقدار عناد اليهود ، ولذلك فاليهود هم اشد الناس عداوة للذين امنوا ، بينما النصارى اقربهم مودة ، اما المشـــركون فهم كاليهود في استكبارهم و عنادهم ، و بالتالي عداوتهم للرساليـــن الجدد.

و الانفتاح عند النصارى - و بالذات عند علمائهم الابرار - ولعدم الاستكبار عن الحق .. تراهم اذا سمعوا ايات الله الجديدة فاضت أعينهم بالدموع للتأثير الكبير الذي تخلفه آيات القرآن في أنفسهم.

ان بعض قساوسة النصارى لا يستهدفون (كاحبار اليهود) الذهب و الفضة ، بل ان منتهى تطلعهم تزكية الذات و اصلاح النفس ، لذلك حين يجدون وسيلة الى ذلك يتسارعون اليه.

بينات من الايات
اشد الناس عداوة واقربهم مودة:

] [82]لتجدن اشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود و الذين أشركوا]اما اليهود فلانهم تركوا الحق جانبا ، و تمحوروا حول ذواتهم ، فألهوا عنصر بني إسرائيل واعتبروه عنصرا مقدسا يدور معه الحق انى دار ، وليس العكس ، ولذلك فهم لا يقيمون أنفسهم بمقياس الحق ، بل يقيمون الافكار بمقياس ذواتهم . لذلك فهم لا يمكن إلا ان يعادواالذين امنوا بالحق.

وأما المشركون ، فهم بدورهم تركوا الحق ، و اتبعوا الهوى فعبدوا الثروة ، و السلطة ، وكل ما يرمز الى الثروة أو السلطة.

هؤلاء ايضا انحرفوا عن الحق ، عن سابق تصميم و باصرار ، فهم ايضا يعادون المؤمنين.

]و لتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بان منهمقسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون[

هؤلاء كانوا يفتشون عن الحق ولكنهم لا يجدونه .. لذلك تجدهم لا يستكبرون على الحق اذا سمعوه و توفرت لديهم فرصة الهداية.

] [83]واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ، ترى اعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق]ان تأثير الحق في النفوس الطيبة شديد بحيث يحرك كل المشاعر الخيرة فيها . فتلتهب النفس إيمانا و شوقا ، و أملا ، و خشية ، و تتفجر العيون دموعا و بريقا ، و روعة و جمالا ، اما الالسن فهي الاخرى لا تستطيع ان تخفي المشاعر الجياشة.

]يقولون ربنا ءامنا فأكتبنا مع الشاهدين[

انهم يخشون ان يفوتهم قطار المؤمنين لذلك يسارعون الى الايمان ، و يدعون الله بان يحسبهم من المؤمنين.

[84]و السبب الذي يدعوهم الى الأيمان انهم كانوا يبحثون سلفا عن الحق والصلاح ، وان هدفهم في الحياة لم يكن تأليه ذواتهم ، و البحث عن العلــو فــي الارض ، و الفساد ، (كما كان اليهود) كما لم يكن هدفهم الوصول الى شهواتهم العاجلة بالثروة و السلطة ، إنما كان هدفهم اصلاح انفسهم و ارضاء ربهم ، فنياتهم كانت طيبة و قلوبهم نظيفة.

]وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق و نطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين]انهم يهدفون الصلاح و يعرفون ان الوسيلة الى ذلك هو الايمان بالله و بالحق لذلك فهم يسارعون الى الوسيلة التي تحقق هدفهم.

[85]و وفى الله بما وعدهم فجزاهم بايمانهم الذي عبروا عنه بالقول الصادق جنات يخلدون فيها.

]فأثابهم الله بما قلوا جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين][٨٦] اما اولئك اليهود ، و المشركون فأنهم كفروا بسبب عبادة ذواتهم ، و اتباع شهواتهم ثم كذبوا بالحق نتيجة لكفرهم ، لذلك كان جزاؤهم جهنم.

]والذين كفروا و كذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم[

ابدأ بنفسك يصلح مجتمعك
هدى من الايات
في هذه المجموعة من الايات نرى تبيانا لأحكام الاسلام في السلوك الشخصي و مدى علاقته بالسلوك

الاجتماعي.

فالخمر -مثلا - ليس شرابا يتناوله الشخص باختياره ، بل هي - في الواقع - ممارسة اجتماعية اذ تسبب الأضرار بالمجتمع ، و اعتداء الناس على بعضهم ، وكذلك الميسر . ان هذه العلاقة الوثيقة بين السلوك الشخصي و المجتمع تفرض على الانسان مزيدا من الانضباط فيمايتعلق بحياته الشخصية ، بيد أن المحرمات ليست هي الأصل في سلوك الانسان كما تزعم الشعوب المتخلفة التي تحسب كل شيء حراما الا بعض ما يتلى عليهم ، وينص على حليته ، بل بالعكس ، يرغب الاسلام في ممارسة الحياة بحرية و انطلاق ، حتى يثبت بالدليل القاطع ان الله حرم هذا الشيء المعين.

وهذه الفكرة فكرة الحلية العامة حتى يثبت العكس - هي مجمل ما توحياليه هذه الدروس التي سوف نشير اليها.

بينات من الايات
تحريم الطيبات:

[87]جاء في حديث:

"ان الله يحب ان يؤخذ برخصة كما يؤخذ بعزائمه "ان هذا الحديث المأثور ليدل دلالة حاسمة على ان المبالغة في تحريم الطيبات التي ولع بها بعض المنتسبين الى الدين انما هي من عمل الشيطان اذ انها تسبب:

اولا : في التشريع الحرام عند الله :وهو نسبة حكم الى الشريعة ، ما انزل الله بها من سلطان!

ثانيا :تسبب في ابتعاد فريق من الناس عن الدين ، لأنهم يرون تناقضا بينه وبين فطرتهم ، التي تدعوهم الى التنعم ، بما وفره الله للانسان من طيبات.

وقد كانت المسيحية المنحرفة هي السبب في نشوء التيار المناهض للدين في اوربا مع بداية التقدم العلمي ، لأن المسيحية المنحرفة كانت تحرم طلب العلم و تنسب ذلك الى الدين ، وطائفة من علماء الدين المسلمين ساعدوا من حيث يعلمون او لا يعلمون هذا التيار الغربي على النفوذ في البلاد الاسلامية ، لهذا السبب بالذات.

من هنا حرم القرآن وبكل اصرار تحريم ما احل الله . سواء كان التحريمقوليا أو عمليا وقال:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم]بيد ان الاستفادة من الطيبات ينبغي ان تكون في حدود الحقوق الواجبة ، فهناك حقوق للجسد يجب الوقوف عندها وعدم تجاوزها في الاستفادة من الطيبات ، مثلا الاسراف في الاكل نوع من الاعتداء على حق الجسد في ان يبقى سالما.

كما أن هناك حقوقا للناس ، تجب رعايتها عندما يستفيد المرء من الطيبات ، من هنا أكد القرآن على الحقوق في سياق حديثه عن الطيبات و قال:

]ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين[

[88]و الاستفادة من الطيبات . كل الطيبات يجب الا يتحدد الا بحدود الشريعة التي جاءت لمصلحة الانسان كفرد و كمجتمع ، وهذا هو التقوى.

]و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا و اتقوا الله الذي انتم به مؤمنون]كفارة العهد و اليمين:

[89]وهناك حد آخر للاستفادة من الطيبات ، هو حد الالتزام الشخصي بعدم الاستفادة من واحدة من الطيبات لسبب أو اخر ، وهذا يسمى باليمين.

فلك ان تحلف الا تستفيد مثلا من نعمة الفواكه ، وذلك لمصلحة الفقراء و المساكين ولكن لا يعني ذلك ان تحرم على نفسك كل شيء .. ولمجرد التقشف و التزهد ومن دون مصلحة او رجحان أو سبب معقول ، آنئذ يحرم عليك شرعا انتعود الى ذلك الشيء . لانه يعني التنازل عن عهدك ، و التنازل بالتالي عن ارادتك وعن نفسك بذاتك.

بيد ان هناك مشكلة هي ان بعض الناس ، يستعجلون الحلف بالله ، وهم لا يقصدون الالتزام الحقيقي و الارادة الثابتة.

من هنا بدأ القرآن حديثه عن حل هذه المشكلة ثم اوجب الالتزام باليمين وقال:

]لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تشكرون[

تشكرون الله على هدايته لكم ، وتبيانه طريقه الاستفادة من الطيبات.

كيف نبلغ الفلاح
بينات من الايات
البشر عقل و ارادة:

[90]في البشر عقل و ارادة تقابلها الشهوات و الجهل ، وعلى الانسان ان يحكم عقله على شهواته بقدرة الارادة ، وقد جاءت رسالات السماء بهدف تنمية قدرة الارادة في البشر و تنمية قدرة العقل حتى يتمكن من ضبط شهواته ، و توجيه حياته حسب هدى عقله.

وقد حرمت رسالات السماء كلما يضر بالعقل و بالارادة ضررا بالغا ، لانه يتسبب بالطبع في سيطرة الشهوات على حياة الانسان.

وفي طليعة ما حرمته الشرائع السماوية الخمر و الميسر لأنهما يهبطان بإرادة الانسان و عقله الى أدنى مستوى ، وهما بالتالي رجس و حرام لأنهما من عمل الشيطان الذي يثير الشهوات و ينقص العقل و يضعف الارادة.

]يا أيها الذين ءامنوا انما الخمر و الميسر والانصاب و الازلام رجس من عملالشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون[

ان الفلاح الذي هو الهدف الأسمى لكل ابن انثى في الحياة لا يتحقق إلا بالسيطرة على شهوات الذات بقوة الارادة.

اما اللهو فانه يضعف هذه الارادة و يثير المشاكل للبشر و اللهو هو ذلك الرجس الذي يدعمه الشيطان.

الخمر و الميسر من جنود ابليس:

[91]و الخمر و الميسر يسببان الفرقة بين الناس ، بينما الاسلام يأمر بالوحدة و يدعم هذه الوحدة بتحريم كل اسباب الفرقة.

إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر]العداوة تأتي بسبب سيطرة الشهوات على الانسان ، فيحاول كل واحد ان يعتدي على حقوق الاخرين ليحقق هو شهواته ، بينما يجب ان يقف غريمه في موقف الدفاع ، فان لم يستطع دفع الظلم عن نفسه انقلب ظالما لمن هو

اضعف منه.

وهكذا يتحول المجتمع الى سلسلة من الظالمين و المظلومين ، و العداوة تتحول الى بغضاء اذ سرعان ما يبحث كل طرف عن تبرير نفسي لظلمة ، فينشر الحقد في كل قلب فكل من يصبح مظلوما يحقد على ظالمه.

ولكن المشكلة : ان هذا الحقد قد يتحول الى غير الظالم ، بل الى كل ابناء المجتمع فيبحث له عن متنفس يصب حقده فيه فاذا به يظلم الناس بلا سبب ،وبلا مصلحة ذاتية بل متشفيا لنفسه الحاقدة و يبقى سؤال : كيف تتسبب الخمرة في العداوة ؟

الجواب :ان الخمرة تذهب بالعقل ، و تضعف الارادة ، فيفقد الانسان السيطرة على شهواته فتصبح شهوانه هي المسيطرة عليه ، تسوقه الى حيث الاعتداء و الظلم.

اما الميسر فانه يعتمد على محاولة كل فريق التغلب على الاخرين ، ليس بالعمل الصالح وانما بالصدقة أو بالمكر و الشطارة.

و معلــوم كيــف تنتهي حالة مجتمع تسود علاقاته : المغالبة و المنافسة الماكرة ؟!

وسبب اخر لحرمة الخمر و الميسر هو :الالهاء عن ذكر الله ، و ذكر الله هوطريق فلاح الانسان.

ان الشيطان الذي يجسد قوى الشر في الطبيعة و يثير قوى الشر في النفس ، لا يريد توحيد كلمة البشر ، بل يحاول تقوية شهوات البشر ، و دعم أهوائه الذاتية ، وليس هدف الشيطان الذي يدعو الناس الى اللهو و اللعب و الى معاقرة الخمر و نسيان المسؤوليات ، و يدعوهم الى لعب القمار و الابتعاد عن العمل الصالح ، وكذلك فهو لا يهدف ابدا الى إسعاد البشر.

و الله يريد من الانسان ان يكون واعيا لمسؤولياته ، عالما بان هناك رقابة مشددة عليه من الله حتى يطلبق واجباته متذكرا ابدا تلك الرقابة.

اما الشيطان فيريد تناسي الله والابتعاد عن ذكر الله بالخمر و الميسر.

ومن هنا قال الله عن هدف الشيطان من الخمر و الميسر:

]ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون]هل انتم منتهون عن السير في خط اللاوعي و التناسي و الغفلة ان اثمن ما في البشر هو ذكر الله ، وتذكر المسؤولية و التعهد بأدائها.

و الشيطان يدفع بالبشر في الخط المعاكس . افلا نتوب الى الله و نطرد الشيطان و نهجر كأس الغفلة ، و أدوات العداوة ؟!

طريق العودة:

[92]و نعود الى حظيرة الطاعة و الالتزام بالمسؤولية.

]واطيعوا الله واطيعوا الرسول[

وبدلا من الغفلة و التناسي نلتزم بالحذر و نتسلح بالتقوى.

اذا كنت في غابة كثيفة الظلمات كثيرة السباع فهل من الصحيح ان تنام و تتناسى واقعك ، والاخطار المحدقة بك فالشيطان يدفع البشر باتجاه الغفلة ، وخط الله يدعو الى الحذر.

]و احذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين]نحن لسنا مسؤولين عنكم ، ولا رسولنا مسؤول عنكم ، انما انتم المسؤولون عن انفسكم ، وانما على رسولنا : مسؤولية ابلاغكم فقط بما يجري ثم تتحملون انتم المسؤولية.

كل شيء حلال:

[93]ولا يعني تحريم الخمرة ان الله يريد للانسان ان يعيش في ضنكالعيش ، لان الله لم يحرم الطيبات على الانسان.

]ليس على الذين ءامنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا]انما يعني ذلك التحريم ان يبقي الانسان في حذر دائم من ارتكاب الجرائم ، وفي وعي دائم ، و تحمل المسؤولية و الحذر ، لذلك قال الله:

]اذا ما اتقوا وءامنوا وعملوا الصالحات[

ان الهدف من التقوى هو العمل الصالح ، ولكن العمل الصالح لابد ان يسبقه الايمان ، و الايمان يأتي قبل و بعد العمل الصالح اما قبله فلكي يدفع بالبشر الى اختيار العمل الصالح ، اما بعده فلان العمل الصالح يدعم الايمان و يقويه في القلب مما يمهد لمرحلة متقدمةجديدة من العمل الصالح . من هنا جاء الايمان هدفا للتقوى عندما قال ربنا:

]ثم اتقوا و ءامنوا[

ان التقوى (أي التحسس بالمسؤولية (تدعو الى العمل الصالح و تدعو في ذات الوقت الى مستوى جديد و مرتفع من مستويات الايمان.

ذلك المستوى هو الاحسان الى الناس لذلك جاء الاحسان نتيجة للتقوى في هذه الاية:

]ثم اتقوا و احسنوا والله يحب المحسنين[

وهكذا يتدرج المؤمن عبر المراحل التالية:

/ 1التقوى بهدف العمل الصالح.

/ 2التقوى بهدف تقوية الايمان

/ 3التقوى بهدف الاحسان الى الناس .

وعموما . الطعام هو وقود الانسان المادي للقيام بهذه المراحل ، بينما التقوىهي وقوده المعنوي.

وفرق كبير بين الطعام في المفهوم التوحيدي حيث يكون تحت سيطرة التقوى ، و بهدف تحمل المسؤولية و الاحسان.

و الطعام في المفهوم الشيطاني حيث يكون ضد التقوى و ضد تحمل المسؤولية.

الصيد في الحج
هدى من الايات

الطعام يجب ان يكون بهدف العمل الصالح و الايمان و الاحسان الى الناس و لذلك يحرم من الطعام ما يخالف هذا الهدف مثل الخمر.

وقد يكون الطعام وسيلة لدعم اهدافه بصورة النفي مثل ترك الطعـام فـي الصيام .حيث انه يقوى التقوى و الاحساس بالمسؤولية ، و بالتالي الاحسان و العمل الصالح و كذلك ترك الطعام في الحج.

فحرمة الصيد في الحرم او خلال القيام بمراسم الاحرام لا تعني ان في الطعام جرثومة بل تعني ان الطعام ذاته اصبح مادةلأاختبار ارادة الانسان و لدعم قدرتها على ضبط الشهوات.

في هذه المجموعة من الايات يبين الله فلسفة حرمة الصيد في الحج.

و يضع مجموعة من الروادع المادية لمن يصطاد في الحج او في الحرم حيث يجبعليه ان يكفر عن ذنبه بمثل ما اصطاد من الحيوان ، و بالتالي يجب عليه ان يقهر شهواته التي حاولت الاستفادة من الحياة بالعطاء لها مجددا حتى يعرف ان اتباع الشهوات يؤدي الى الوبال.

وفي الوقت الذي حرم صيد البر ، احل الله صيد البحر في حالة الاحرام لان الهدف هو تنمية الارادة و تربية روح التقوى ، و ليس الهدف تجويع الانسان.

بينات من الايات

الصيد و امتحان الارادات:

[94]بالرغم من ان عملية الاصطياد في الحج تتم بصورة مشروعة و ليست استثمارا لجهد الآخرين ، اذ ان صاحب الصيد هو صاحب العمل ، بالرغم من ذلك فقد حرم الله هذا لصيد لا لأنه استثمار لجهد الناس (كما في حرمة الربا (ولا لأنه يضر بعقل الانسان ، ولا لأنه يضربجسمه (كما في حرمة لحم الخنزير (، ولكنه لمجرد اختبار ارادة الانسان و تنمية روح التقوى فيه.

]يا أيها الذين ءامنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم و رماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب]اذا ، فهو امتحان ، و الهدف منه معرفة الذي يخشى الله بالغيب ، وهو ذلك الذي استـفاد من نور عقله في اكتشاف عاقبة عمله ولم يحدد رؤيته بما يراه امام عينه ، بل نظر بعيدا بعيدا . نظر الى الله الذي يراقب عمله ، و يحصي عليه ذنوبه ، فيجازيه عليها فخشيه.

]فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم [

من اعتدى على حرمات الله بعد ان بينها ربنا فانه يستحق عذابا أليما.

اهداف الحرمة:

[95]الحكم الذي جعله الله مقياسا للامتحان هو : حرمة قتل الصيد في حالة الاحرام ، أو في منطقة الحرم.

]يا أيها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم]لماذا هذا الحكم ؟

لان الاحرام يهدف التجرد عن الذات ، و تنمية روح التقوى ، ولا تتناسب هذه الحالة مع الانتشار في الارض طلبا للصيد بما يحمل ذلك من اهتمامات بين الوافدين من مختلف بقاع الارض من اجل اداء فريضة الحج فلو اهتموا - وهم يسيرون الى مكة بالصيد اذا لازدادت احتمالات الصراع بينهم على الصيد ،

وبالتالي تناقض ذلك مع هدف الحج الذي هو توحيد الامة الاسلامية.

كفارة الصيد:

]ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم]ذلك لان لكل حيوان وحشي يصاد مثيلا من الحيوانات الآهلة و نظيرا له في الحجم و الشكل و الفصيلة.

من هنا يجب دفع الكفارة حسب حجم الحيوان و شباهته ، فمثلا الغزال نظير الشاة في الحجم.

و المرجع القانوني لتمييز المثيل المناسب للصيد هو الناس انفسهم (العرف العام) الذي يعبر عنه اثنان من العدول.

]يحكم به ذوا عدل منكم[

ويصرف فهذا الجزاء للكعبة وزوارها الحجاج اليها.

]هديا بالغ الكعبة[

وبإمكان الشخص ان يؤدي التعويض المادي و ذلك باطعام المساكين ، حسب الصيد ، و بعدد ما يشبع الصيد او كفارته (من الناس) فلو كان الصيد يشبع عشرة اطعم عشرة مساكين.

]أو كفارة طعام مساكين[

وباستطاعته ان يصوم بقدر الايام التي يشبعها الصيد فمثلا : بدل ان يقدم شاة تشبع عشرة رجال ، او يطعم عشرة رجال مساكين ، بدل هذا وذاك ، باستطاعته ان يصوم عشرة ايام كفارة لصيد الغزال الذي يعادل الشاة.

]او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره[

وخلاصة القول : ان على الانسان ان يعوض عن صيده بقدر ما استفاده من ذلك.

اما اذا كـان الصيد قبل الحكم بحرمته ، او قبل العلم بهذا الحكم فانه يعفى عنه.

]عفا الله عما سلف[

بيد ان من اصطاد ، ثم كفر ، ثم اصطاد بصورة متعهدة فان الكفارة لا تزيل ذنبه بل يبقى مذنبا حتى يلاقي ربه فيجازيه على ذنبه.

]ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام[

احل لكم صيد البحر:

[96]ليس الهدف من حرمة صيد البر تجويع الوافدين الى البيت الحرام ، بل تنمية ارادتهم و تقواهم ، ومنع التشاجر بينهم من هنا احل لهم صيد البحر لانه لا يسبب عداء عادة.

]احل لكم صيد البحر و طعامه متاعا لكم وللسيارة[

اي متاعا لكم انتم المقيمون في الحرم ، و للسيارة المسافرين الى الحرم.

]و حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما و اتقوا الله الذي اليه تحشرون[

الحج أيام الحرية
هدى من الايات
كان القرآن الكريم يبين لنا طائفة من الاحكام المرتبطة بتنظيم الحياة الاجتماعية و طائفة من المحرمات التي استهدفت المحافظة على وحدة الناس.

ومنها ضرورة الالتزام بالايمان و حرمة نقضها ، و حرمة الخمر و الميسر باعتبارهما معولي هدم للمجتمع ، و حرمة الصيد في الحج.

في هذه المجموعة من الايات يبين لنا:

اولا : الهدف من الحج الذي يلخصه في امرين يلتقيان بالتالي ليصبحا امرا واحدا وهما : اقامة حياة الناس ، و تنظيمها تنظيما صالحا.

ثانيا : ايجاد وازع داخلي لدى الناس يامرهم باتباع هدى الله و قبول اوامره ، ذلك الوازع هو العلم بالحقائق التالية.

اولا : بان الله رقيب عليهم و يعلم ما يجري عندهم.

ثانيا : الرسول ليس مسؤولا عن اعمالهم بل هم المسؤولون اولا واخيرا ، وما على الرسول الا اداء الرسالة اليهم.

ثالثا :بأن هناك طيبا في الحياة و خبيثا ، وانهما لا يستويان . فليس الانسان طيبا بذاته وخبيثا بذاته بل قد يكون طيبا و قد يكون خبيثتا ، و عليه ان يختار لنفسه وعلى الانسان ان يستخدم عقله و يختار لنفسه اما باتجاه الطيب او الخبيث.

وبمناسبة الحديث عن هذا الوازع يحدثنا القرآن في الدرس القادم عن العلم بالاحكام الشرعية حسبما نأتي الى ذكره:

بينات من الايات
رموز الحرية:

[97]لماذا الكعبة و لماذا الحج اليها ، هل الكعبة مقام عبادة يتقرب بها الناس الى ربهم ام هي مدرسة تزكي النفس البشرية .. أم هي اكثر من ذلك) مركز تجمع للامة الاسلامية) تنظم حياتهم على الارض و تعدهم لدخول الجنة في الاخرة ؟ هي في الواقع كل ذلك.

يقول الله عن الكعبة:

]جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس و الشهر الحرام و الهدي و القلائد]هذه المناسك تجعل الكعبة كمنطقة حرة ، و الشهر الحرام ايام الحرية ، و الهديو القلائد كاشياء مادية محترمة (أي محررة لله لا لعباد الله)هذه الامور كلها رموز الحرية جعلها الله للناس قياما اي تنظيما لحياتهم اذ ان الحرية هي

اساس تنظيم الحياة الاجتماعي ففي المنطقة الحرة تجتمع الجماهير لتعبر كل طائفة عن رأيها الصريح ، ويتفق الناس فيما بينهم حول ما يشاؤون ، و يتعاونون من اجل بناء حياتهمالكريمة ، و يتحدون من اجل مقاومة الطاغوت . ا

ما الشهر الحرام فهو الوقت الذي يحرم فيه التجاوز على الاخرين ، ويجب ان يسمح لكل الفئات خلاله بالمسير الى الحج ، ولا يتعرض احد ، لهم بسوء انى كانت الدوافع الى هذا التعرض.

اما الهدي و القلائد فهذه الاشياء لا يجوز لاحد الاعتداء عليها لأنها ليست لأحد بل هي لله و للجميع ، اي لكل الوافدين الى الحج . انها رمز الملكية الجماهيرية ، انها رمز التعاون في الاستفادة من اشياء هذه الارض من اجل رفاه الناس جميعا.

الحرية بين الفوضى و التحرك:

و يبقى سؤال : كيف تصبح الحرية سببا لقيام المجتمع ونحن نعلم ان الحرية قد تسبب الفوضى ؟

الجواب:

اولا :ان الحرية تعني ان كل الناس احرار ولا يعني بالطبع ان تكون طائفة واحدة او شخص واحد فقط هو الحر . واذاطبقنا هذه القيمة (أي الحرية للمجتمع (فان ذلك يعني انضباط الجميع في نفس الوقت . اذ لا يجوز لاحد انيسلب حرية الاخرين بل عليه ان يحترمها.

وهذا الاحترام المتبادل لحقوق الاخرين هو اكثر ما يوفر الانضباط و التقيد.

من هنا تصبح الحرية نظاما عادلا و مستقر.

معنى الحرية:

ثانيـا :سمى القرآن الحرية هنا بالاحرام و الحرمة (البيت الحرام الشهر الحرام (وهذا يعني ان الحرية هي : الكف عن الاعتداء قبل ان يكون المطالبة بالحق.

فانت حر اذا لم تتجاوز على حقوق غيرك ، و الحقوق هذه يحددها الله ففي الحرم انظمة جعلها الله ، وعلى الجميع ان يلتزموا بها حتى تتوفر لهم جميعا الحرية الكافية.

هذا هدف من اهداف الحج ، ولكنه ليس كل اهدافه ، اذ ان هناك قضية تزكية الذات التي لا يمكن ان تحدث الا عن طريق وجود وازع في القلب ، وهذا الوازع يأتي عن طريق احساس كل فرد انه مراقب من قبل الله رقابة شاملة ، و بذلك يزداد شعورا بالمسؤولية و بالتالي التزاما بها ، من هنا يقول ربنا:

]ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم][٩٨] والله لا يراقب الناس فقط بل و يجازيهم بشدة ، او يرحمهم برحمته الواسعة ، فالعبد بين ان يسقط الى الحضيض ، مرة واحدة او يحلق في السماء عاليا.

]اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم]وهذه المعادلة تجعل النفس تندفع بسرعة هائلة الى الامام . اذ تجد انها بين قطبين متضادين بقوة ، فاما عقاب شديد واما مغفرة و رحمة فيصبح الانسان وكأنه في معركة حاسمة تؤدي اما الى نصر مؤزر واما الى هزيمة نكراء.

فكيف يكون اندافاع هذا ا لشخص و حذره و تحسسه بمسؤولياته و بالتالي تقواه ؟!

من المسؤول:

[99]وليس من الممكن ان يلقي الانسان بمسؤولياته على الاخرين ، فمثلا يقول :ان الله و رسوله هو المسؤول عني ، وعن تربيتي و تزكيتي و هدايتي . كلا ، ان المسؤول الاول هو الانسان نفسه ، اما الرسول فهو مسؤول في حدود الدعوة فقط.

]ما على الرسول الا البلاغ[

فاذا بلغ الدعوة الى الشخص فان مسؤوليته قد انتهت و يبقى الانسان مسؤولا امام الله.

]والله يعلم ما تبدون وما تكتمون [

[100]و الناس فريقان ، طيب و خبيث ، وبينهما مسافة بعيدة وعلى المرء ان يختار لنفسه احد الفريقين ، ولكن ليعرف مسبقا ان الفريق الطيب هو الافضل على رغم قلة ابنائه.

]قل لا يستوي الخبيث و الطيب و لو اعبجك كثرة الخبيث]و التقوى هو زاد الانسان للوصول الى مستوى الطيب فعلى الانسان ان يتقي الله و يتحمل كل مسؤولياته بوعي و حذر اذا كان عاقلا واذا اراد السعادة.

]فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون[

الجهل و التقليد آفة الصلاح

هدى من الايات

العلم بالحكم الشرعي يورث الانسان مسؤولية العمل به ، و لحكمة الله سبحانه فأنه يتدرج في بيان الاحكام الشرعية حتى يستوعبها الناس بصورة مرحلية.

ولكن بعض الناس يستعجلون في الامر فيحاولون معرفة الاحكام او الحقائق مرة واحدة ، وقد لا يستوعبون فيكفرون بالحقائق او لا يطبقون الاحكام فيكفرون بها.

انما على الانسان ان ينتظر الوحي حتى يهبط بالحكم الشرعي او بالحقيقة فيسأل عنها لان الله لا ينزل العلم الا في حينه ، و بقدر استيعاب الناس له.

و بسبب الاستعجال بالعلم بالاحكام ترى بعض الناس يصدرون احكاما من عند انفسهم ثم ينسبونها الى الله ، او يتقبلون التقاليد الجاهلية كأحكام ، ثم لايتركونها بالرغم من مخالفتها لهدى العقل و العلم.

ان تقليد الاباء عقبة كأداء في طريق تحمل المسؤولية ، كذلك تقليد المجتمع حيث ان بعض الناس يتخذون من المجتمع عقبة لاعمالهم فيتركون بعض الواجبات لمجرد ان الناس لا يستحسنونها.

ان القرآن في هذه المجموعة من الايات يقوم بتصفية العقبات النفسية من امام المسؤولية وهي العجلة و عدم المرحلية و تقليد الاباء ، و اتباع المجتمع.

بينات من الايات

المرحلية في التشريع القرآني:

[101]الاستعجال في فهم الحقائق سواء كانت مرتبطة بالاحكام الشرعية أو التقاليد الاجتماعية ، قد لا يكون القلب مستعدا لتقبل تلك الحقائق فيسبب كراهية القلب لها او قد يسبب كفر المسلم بها . لذلك

نهى الله عن السؤال المبكر عن الحقائق قائلا:

]يا أيها الذين ءامنوا لا تسألوا عن اشياء إن تبد لكم تسؤكم]انما علينا ان نسأل عن تلك الحقائق حين يحين موعدها اي حين تشاء ارادة الله بيانها وبما ان الله لا يريد ذلك الا حين تقتضي حكمة المرحلة : أي حين يستعد المجتمع لتقبل ذلك الحكم اوتلك الحقيقة العلمية ، فان وقت نزول القرآن يكون ملائما للسؤال.

]وان تسألوا حين ينزل القرآن تبد لكم[

ثم ان القرآن لا يبين الحكم في مرحلة فحسب ، بل و يدعم ذلك بذكر الموعظة المناسبة للحكم ، و الفلسفة التي استوجبته . كذلك يبين ان الله قد عفى عما سلف من الاعمال السيئة التي تأتي الاحكام الشرعية لاصلاحها و تزكية الانسان منها.

]عفا الله عنها والله غفور حليم[

ومن ايات غفرانه .. عفوه عن سابق الذنوب ، ومن دلائل حلمه انه لا يبين الحقائق الا حسب المراحل.

الاستعجال طريق الكفر:

[102]ثم بين ربنا سبب نهيه عن السؤال المبكر وقال:

]قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين[

انهم كفروا بتلك الحقائق لانها جاءت قبل موعدها ، و فوق مستواهم المرحلي لادراك تلك الحقيقة.

ان الله انزل الاحكام بصورة تدريجية حتى انه حرم الخمر عبر ثلاث مراحل ، ولم يشرع فريضة الزكاة الا متأخرا ولم يأذن بالجهاد الا بعد فترة حتى يكون المجتمع مهيأ نفسيا للحكم الشرعي.

تحريم الطيبات:

[103]ومن الامثلة التي كان الجاهليون لا يكفون عن السؤال عنها هيتلك النعم التي كانوا يحرمونها على انفسهم بسبب من الاسباب .. مثل البحيرة و السائبة و .. وحيث انها كانت تنذر للالهة ، ثم بعد ان يذبحها اصحابها تترك في ارض الله لا يمسها احد بسوء.

وقد بين القرآن الحكيم ان هذه النعم حلال على الناس ، وان الله لم يحرمها عليهم ذلك:

اولا : :لان النذر للالهة حرام ، و حرام كل شيء يمت بعبادة الاصنام ، وحتى الذبيحة اذا كانت باسم الالهة فانها تحرم حتى لو استوفت سائر شروط الذبح الاسلامية لمجرد انها ذبحت باسم الاصنام.

ثانيا : لان ذلك تشريع من دون اذن الله ، وهو بدعة و ضلالة و شرك.

ثالثا :لان الله لا يحرم على البشر الطيبات وحتى الهدي و القلائد ليست محرمة على الناس بل هي للناس جميعا ، و فرق كبير بين التشريع الجاهلي الذي كان يذبح البهائم الحلال باسم الالهة ، و بين التشريع الاسلامي الذي يأمر بذبحها من اجل استفادة جميع ابناء المجتمع منها.

الاسلام يحرر الطيبات من الملكية الخاصة - في بعض المناسبات - من اجل ان تكون فوائدها مشاعة ، اما الجاهلية فانها تحرمها على كل الناس وتدعها بلا فائدة على احد :

]ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام]لانها جميعا تخالف سنة الله في الحياة التي تقضي بتسخير الاشياء لخدمة الانسان.

ولانها تخالف تشريع الاسلام بالاستفادة من الطيبات.

]ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون]ودليل ذلك انهم يحرمون على انفسهم الطيبات بلا سبب معقول.

رسالة السماء لا تقليد الاباء:

[104]ان الله يريد من الانسان الاستفادة من موهبة العلم و العقل ولكن الكفر يغل قلب صاحبه و يدعه مغلقا لا يدخله نور العقل ، لذلك لا يستفيد من عقله بل يروح يقلد من هم اقل عقلا منه و هدى.

و الواقع ان التقليد سواء كان من المجتمع او من الاباء فهو اكثر ما يصد البشر عن التقدم و الرقي.

]واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول]هذا ما انزله الله على رسوله الجديد يأتيكم نقيا صافيا.

]قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا[

انظر انهم يقولون حسبنا (اي نكتفي بما نجده عند الاباء) ان حركة الحياة قد توقفت في انفسهم واصبحوا يكتفون بالماضي دون اي ابداع او تطوير.

]أو لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون[

اي حتى لو أن اباءهم كانوا قد ضلوا الطريق بسبب غياب مصدري التقدم عن حياتهم وهما العلم : وهو ما يكتشفه الانسان بنفسه ، و الهدى : وهو ما ينزلعليه من ربه.

مع ذلك يقلدونهم وقد توفرت لهم فرصتا العلم و الهدى.

الانسان بين الهداية و تحدي المجتمع:

[105]و تقليد المجتمع هو الاخر يقف امام تطور الانسان و تقدمه وكم من الناس كانوا يكتشفون طرقا جديدة لحياتهم تركوها خشية المجتمع او حتى حياء من الناس.

]يا أيها الذين ءامنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم]ان الذي يضل الطريق يجب ان يخشى على نفسه السباع ، كما ان عليه ان يقلد الذي اهتدى الى الطريق وليس العكس.

ان المهتدي يسير وفق حركة الحق ، و وفق سنة الله في الكون و بالتالي فهو الذي سيصل عاجلا ام اجلا الى اهدافه ، وعند ئذ يخسر الضالون و يندمون على تفريطهم في مصالحهم.

ثم ان نهاية حركة الانسان هي الى الله مالك السموات و الارض حيث يبين لنا من ضل ومن اهتدى ، وذلك من خلال جزائه العادل ، فيعاقب من ضل ، و يثيب من اهتدى.

]الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون]قد يصل الانسان الى جزائه دون ان يعرف ان هذا هو جزاء عمله.

فمثلا :يشرب الماء الملوث فيصاب بمرض دون ان يعرف ان سبب مرضه هو ذلك الشراب ، بيد ان الله لا يدع الانسان يضل او يهتدي حتى ينبئه و يخبره به يقينا ، انه كان على ضلال وان ما يعانيه من عقاب هو ثمن ضلالته او انه كان على هدى وان ما اكتسبه من الثوابهو جزاء هداه.

اننا كبشر نخشى لوم الناس ، فاذا سخر منا احد انهزمنا نفسيا امام سخريته وقد نفقد الثقة بانفسنا و نفقد الاطمئنان الى ديننا لمجرد ان احدا سخر منا.

وقد يترك البعض طريق الهدى لمجرد ان الناس يقولون له ان هذا ضلالة.

والقرآن يبين لنا هنا بان المستقبل كفيل ببيان صاحب الحق و صاحب الباطل ، فلماذا ننظر الى اقوال الناس ، ولماذا لا نثق بعقولنا وبما نكشفه بانفسنا من حقائق ، ولماذا لا نهتدي الى الصواب بحجة ان الاخرين لم يهتدوا اليه ؟! دع الاخرين يتبعونك لانك انت وليسواهم على صواب ولا تخشى اقوالهم لان الحقائق ستظهر قريبا.

الاشهاد و التوثيق

هدى من الايات

بمناسبة الحديث عن المسؤولية وعن دور العلم فيها (إذ العلم لا ينفصل عن المسؤولية (جاء الحديث في الايات هذه ، عن الشهادة التي ليست بعلم ، ولكنها قائمة مقامها في إيجاد المسؤولية الدينية ، وحسب منهج القرآن ، الذي لا يتحدث عن حقيقة إلا عبر الحديث عن واقعة خارجية متصلة بالحياة مباشرة ، وبالتالي يعطي مثلا حيا للأحكام و للحقائق.

حسب هذا المنهج تحدث القرآن هنا عن الشهادة بعد الموت ، حيث ينبغي ان يشهد الشخص اذا اقترب الموت منه ، شخصين عادلين ، و ينقل اليهم مسؤولية الشهادة بعد الموت ، واذا كانا موضع تهمة فعليهما ان يحلفا بالله بعد أداء الفريضة قسما بانهما لا يكذبان في الشهادة.

واذا تيبين كذبهما فلا يمكن الحكم بكذبهما الااذا حلف اثنان من المعارضين المدعين عليهما الاثم يحلفان على التهمة الموجهة للشاهدين كمايحلفان على انهما ليسا بظالمين في توجيه التهمة الى هذين الشخصين.

إن هذا العمل أفضل طريقة لصدق الشهادة وعدم رد الايمان.

وعلى الانسان اذا اراد ان يصل الى الحقيقة ، و بالذات على القاضي ، اذا اراد ان يتوصل الى الحق فعليه ان يقوم بأمرين :

الف : تقوى الله وإتباع أوامره.

باء : ان يستمع الى كل الآراء.

وأما اذا افتقد القاضي التقوى ، فانه لا ينتفع بالسماع ابدا.

بينات من الايات:

الشهادة و الشهود:

اولا : بالعلم البعيد عن تقليد الاباء ، أو تقليد المجتمع ، اواستعجال الاحكام الشرعية ، وهذا ما تحدثت به الايات السابقة.

ثانيا :بالشهادة وهي تختص بالعدل من المؤمنين ، وهو الرجل المستقيم الذي ينفذ تعاليم ربه ، ولا يكفي في العادل (كما توحي به كلمة العدل ذاتها) ان يكون مؤمنا أو حتى متقيا ، بل عليه ان يكون مستقيما في تفكيره و سلوكه ، فلو كان الشخص سريع الاقتناع بسيطافي فهم الحقائق مما يضر بالشهادة فان شهادته غير مقبولة.

ومن أبرز موارد الشهادة . الشهادة على الوصية حيث ينبغي ان يستشهد المرء حين تحضره الوفاة رجلين عادلين على وصيته ، و الأفضل ان يكونا من المسلمين وان لم يمكن فيكفي ان يكونا عادلين .

إثبات الشهادة:

]يا أيها الذين ءامنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم [أما إذا وجهت تهمة الى هذين الشاهدين كما إذا حصلت الوفاة في السفر ، فجاء الشاهدان من غير المسلمين من رفاق الميت في الطريق وشهدا على وصية معينة ، فهنا تطرح عادة علامة إستفهام اذ قد تكون الوصية ملفقة رأسا فهنا لا نكتفي بالعدالة الظاهرة (الشهادة) بلنطلب منهما ان يحلفا عقيب الفريضة انهم صادقان:

]ان أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت[

وجاء إثنان من غير المسلمين فهنا:

]تحسبونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم]إذا كانت طريقة ادلائهم بالشهادة او حتى ملابسات الوفاة التي يتحدثون عنها اذا كانت مثيرة للشك ، ولأنه ليس هناك أي دليل عيني على أنهما كاذبان ، وبما أنهما ينكران التهمة الموجهة ضدهما ، فعليكم ان تستحلفوهما حلفا مغلظا بعد الصلاة ويكون مضمون الحلف هو اننا:

]لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى[

أي حتى ولو كان الأمر في صالح بعض أقاربنا فانا لا نكذب للحصول على بعض المال ليس ذلك فقط بل:

]ولا نكتم شهادة الله[

إذ قد لا يكذب الشخص بالكلام ، بل قد يكذب بالصمت كأن يسكت عن الحقيقة التي يعرفها و بسكوته لا يدع الحقيقة تظهر ، وبذلك يرتكب إثما مبينا.

]إنا إذا لمن الآثمين[

فآخران يقومان مقامهما.

[107]فاذا تبين ان هذين الشخصين قد إرتكبا اثما ، فهناك لا يمكن إثبات الاثم هذا الا اذا شهد رجلان ضدهما ، وفي مصلحة اصحاب الحق المهضوم.

]فان عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما]أي يقفان على منصة الشهادة ، و يشهدان لمصلحة صاحب الحق ان عثر على دليل خيانتهما.

]من الذين استحق عليهم الأوليان[

أي من أًصحاب الدم أو أولى الناس به من ناحية القرابة.

]فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما[

أي يجب ان يحلفا قبل الشهادة بصدقهما و يشهرا على ان الشاهدين غير صادقين في الشهادة.

]وما اعتدينا إنا اذا لمن الظالمين[

أي ما ارتكبنا عدوانا ، واذا كنا قد ارتكبنا عدوانا او تجاوزنا الحد فان ذلك يثبت علينا صفة الظلم و نحن سوف نستعد لمواجهة العقوبة المفروضة على الظالم.

[108]ان هذا النوع من الاستشهاد سيكون أفضل أنواع الشهادة . لأنها تستنهض ضمير الشاهد و تثير فيه وازعه الديني.

]ذلك أدنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها[

أي أقرب الى الشهادة المأتية على الوجه الصحيح.

وفي ذات الوقت سيكون ذلك سببا لأطمئنان الناس بالشهادة إذ أن الشهادة تتأكد بالحلف.

]أو يخافون أن ترد أيمان بعد أيمانهم[

أي يخشوا من عاقبة رد اليمين على الورثة بعد شهادة الشاهدين فيفتضح أمرهما . وعلى العموم ، الشهادة طريق الانسان الى العلم ، ولكنها بحاجة الى التقوى و السماع من قبل المستع للشهادة ، إّذ ان التقوى ستمنع من الحكم المسبق على الشاهد او في القضية من دون دليل ، و ستمنعه من الميل نحو احد طرفي القضية لان صاحبه من اقارب الميت ، أو لأن مصلحته ستكون في ذلك أو لمجرد الاستعجال في الحكم من دون معرفة ان ذلك يخالف روح التقوى.

أما السماع فانه الشرط المادي لمعرفة الحقائق بعد توفر الشرط النفسي و العقلي وهو التقوى لذلك قال ربنا:

]واتقوا الله واسمعوا[

ثم أكد القرآن على أهمية التقوى في فهم الحقائق وقال:

]والله لا يهدي القوم الفاسقين[

فاذا كان الانسان ظالما لحقوق الناس فان ظلمهم سيكون حجابا أمام عينه فلا يرى الحق حقا لانه يحاول دائما ان يبرر ظلمه أما الناس ، و ليتخلص من وخز الضمير الذي يقض مضجعه.

الانبياء في حضرة الله

هدى من الايات

انى كانت نتيجة المحاكمات على وجه الأرض في الدنيا في صالح أصحاب الحق أم في صالح اصحاب

الباطل فان هناك محكمة اخرى تعدل ولا تجوز وهي محكمة الله في الآخرة.

وهناك لا يهدي الله القوم الفاسقين ، وهناك يجمع الله جميع الناس وفيما بينهم رسل الله ، فيسألهم ماذا كان جواب الناس لكم) وبذلك لا مناص من المحكمة حتى لأنبياء الله) فهذا النبي العظيم عيسى بن مريم عليه السلام يسأله الله هناك هل انه قال للناس اعبدونيمن دون الله بالرغم من ان الله عالم بأن عيسى لم يقل ذلك ابدا.

ولكن قبل أن يسأله الله يذكره و يذكر الناس بالنعم التي أنعم بها عليه وعلى أمه . حيث انه أيده بروح القدس ، و علمه الكتاب و الحكمة ، و اجرى بيده المعاجز مثل إحياء الموتى ، و حفظه من كيد بني إسرائيل.

وأمر الناس بالايمان به ، و دعم موقف عيسى في بني إسرائيل بأن انزل عليهم مائدة من السماء بطلب من بني إسرائيل وهكذا..

و الهدف من سرد القصة هذه في نهاية سورة المائدة ، ليس فقط بيان مسؤوليــة العالم الشاهد الذي عليه - حين إدلائه بالشهادة - ان يتصور موقفه أمام الله ، ليس هذا هو الهدف ، بل إنه مجرد مناسبة للحديث.

اما الهدف فهو أعم منه ، وهو بيان مسؤولية الانسان في الحياة ، ولعله يشعر بتلك المسؤولية التي تتجسد يوم القيامة في محكمة العدل الالهية.

بينات من الايات

الرسل بين يدي الرحمن:

[109]يوم القيامة تظهر حقائق الأمور فهناك حقائق موجودة و ثابتة ولا تنتفي بمجرد نفيها أو بالسكوت عنها ، إنها حقائق إن سكتنا عنها تزداد قــوة و رسوخا ، و بالتالي تحيط بنا و تدمرنا.

و الاحساس بوجود الحقيقة و ظهورها في يوم من الايام يدفع صاحب العلم بان يكون شاهد صدق لعلمه ، ولا يكتم من العلم ما يخالف مصالحه.

ان أبرز العلماء هم الرسل ، الذين حملهم الله رسالاته ، و علمه و حكمته ، وهؤلاء سوف يسألون عن نتائج عملهم ، بالرغم من عظمتهم:

]يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم[

إن الله بعث الرسل بهداية الناس ، و بتبليغ دعوته اليهم ، والان يسألهم عننتيجة أعمالهم ؟ ولكن بما ان عمر الرسل قصير في الحياة ، وربما ان علمهم ببواطن الناس كان في حدود تعليم الله لهم لذلك:

]قالوا لا علم لنا[

أي ان علمنا ليس كاملا بالجواب الحقيقي الذي تلقيناه من الناس.

]إنك أنت علام الغيوب[

إذا لو خدعنا الرسل - فرضا - ولو تظاهرنا أمامهم بالايمان كذبا و نفاقا ، فسكتوا عنا ، يجب الا نتصور اننا طمسنا الحقيقة .. كلا . فالله هو علام الغيوب و سوف يحاكمنا.

[110]وهذه قصة عيسى مع الله انظروا كيف يسأله الله باعتباره الشاهد على قومه ، وكيف يكشف زين دعاوي أتباعه : بأن قال لهم اعبدوني من دون الله.

]اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا]كل تلك نعم الله سبحانه على عيسى التي من دونها لم يكن عيسى شيئا.

إن روح القدس ، وهو الروح الذي يعصم صاحبه من المعصية ، والذي يؤيد به الرسل و الائمة فقط - عليهم جميعا صلوات الله - إنه أهم نعمة يزود الله بها عبدا من عباده ، و حينئذ لا يرتكب خطيئة فيزعم الجاهلون : انه ابن الله او ابن فيه روح من ذات الله سبحانه .. كلا.

إن الله هو الذي أيد عيسى (ع (بهذه الروح ، ولولاه إذا لهبط في الزلات ، كمايهبط غيره من الناس ،إن الله أوكل يونس بن متى لحظات الى نفسه (لحكمة بالغة) فدعا على قومه ، فسجنه الله في بطن الحوت جزاء لزلته (التي لم تصل - بالطبع - الى مستوى الذنب) وكذلك معجزة عيسى الظاهرة وهي كلامه في المهد لم تكون دليلا على ألوهيته ، بلعلى عبوديته لله ، وكذلك علمه وحكمته:

]وإذ علمتك الكتاب و الحكمة و التوراة و الانجيل]يبدو ان الكتاب هو الدستور التشريعي المتمثل في التوراة ، بينما الحكمة هي المواعظ السلوكية المتمثلة في الانجيل.

]وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني و تبريء الأكمه والأبريص بأذني وإذ تخرج الموتى بأذني]لقد كرر القرآن الحكيم كلمة باذني للدلالة على ان عيسى عليه السلام إنما كان عبدا لله.

]وإذ كففت بني إسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين]لقد حاول بنو إسرائيل محاربة عيسى عليه السلام بكل طريقة ممكنة ، وكان عيسى كأي شخص عاجزا عن مقاومة ذلك لولا ان الله أيده ، اذا فليس عيسى إلها كما يزعم النصارى.

معجزة المائدة بين الايمان بالغيب و الشهود:

[111]وأهم من ذلك ان الله إعتمده إعتمادا وجعله رسولا.

]وإذ أوحيت الى الحواريين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا ءامنا و اشهد باننا مسلمون][١١٢] ودعم الله موقف عيسى (ع) بان استجاب دعاءه حين طلب منه بنو إسرائيل بأن يأتيهم بالمعجزة البينة ، وذلك للدلالة على انه نبي فعلا.

]إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين]أمرهم عيسى عليه السلام بالتقوى ، لأن التقوى ، تزيد الانسان يقينا ، و ايمانا و صدقا واذا زكى الانسان نفسه استطاع ان يفهم الحقائق بدون معاجز إضافية.

[113]ولكن بني إسرائي ازدادوا إصرارا في طلبهم:

]قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين]انهم قالوا : اننا بحاجة الى اطمئنان القلب و ليس غيره ، كما قال إبراهيم عليه السلام لربه : (بلى ولكن ليطمئن قلبي) .

ثم نريد ان تطمئن قلوبنا بصدق الرسالة و صدق الرسول قالوا : اننا نريد ان يكون موقفنا في الدعوة الى الله ، موقفا حاسما . إذ فرق بين ان يكون الانسان مؤمنا بشيء إيمانا غيبيا و بين أن يكون إيمانه إيمانا بالشهود ، فآنئذ يستطيع أن يكون كلامه أكثر حسما وقاطعية إذ قليلا ما يشك الناس في صدق المؤمنين اذا ادعوا بانهم رأوا البراهين بعينهم ، بينما قد يتشككون في الايمان الغيبي وقد ينسبون ذلك

الى صفاء النية ، و بساطة الفكر ، و سذاجة النفس.

] [114]قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لناعيدا لأولنا وآخرنا[

أي يكون يوما مشهودا يتذكره الناس و يجددون ذكراه عاما بعد عام ، لتبقى ذكرى المائدة عالقة في أذهان الجميع ، و بالتالي تكون القصة عبرة لكل الأجيال.

]وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين[

إنها آية تدل على معجزة الله ، ولكن عيسى عليه السلام طلب الرزق الدائم لقومه.

] [115]قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فأني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين]لأن هناك فرقا بين الكفر الصريح بعد الأيمان النابع من الشهود العيني ، و بين الكفر بعد الايمان الغيبي الذي قد لا يكون عميقا.

أن الله ينعم على عباده ليمتحن مدى شكرهم له عليها ، ومدى تقديرهم للنعم و استفادتهم منها فاذا كفروا بالنعمة فانه سبحانه لا يسلبها منهم فقط ، بل و يسلب منهم سائر النعم حتى يقولوا ياليت الله لم ينعم علينا بهذه النعمة قط.

مثلا : النفط في بلادنا نعمة كبيرة من الله ، و رزق عظيم لشعوبنا ، فاذا شكرنا هذه النعمة بأداء حقوق المحرومين ، و تقسيم الثروة بين الناس بالقسط فسوف تستمر هذه النعمة و تزدتد.

اما اذا كفرنا بهذه النعمة ، فأستأثر بها الكبار ، و حرم منها المستضعفون ، و اترف فيها الاغنياء ، فان الله لا يسلب ثروة النفط منا فقط ، بل وايضا يسلط بعضنا على بعض فينتشر بيننا الحقد و البغضاء فيقتل بعضنا بعضا ، حتى ياتي يومنتبرأ فيه من النفط ومن ثرواته و نقول : ياليتنا كنا مجتمعا زراعيا تسود فينا المحبة و الوئام.

عيسى : اعبدوا الله ربي

هدى من الايات

[116]في حوار بين الله و بين عبده و رسوله عيسى بن مريم سأل الله عيسى : هل انه قال لاتباعه أن يعبدوه ؟ و الله يعلم أن عيسى (ع) لم يقل ذلك أبدا ، ولكنه يسأله ليبين لنا أن عيسى عليه السلام ليس بعيدا عن المسؤولية بالرغم من أنه عبد مخلص لله ، و لرسولهمبعوث الى خلقه.

فكيف بنا و نحن عباد الله المذنبون ؟

]واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني و أمي الهين مندون الله]ان اولئك الذين اتخذوا عيسى وأمه الهين من دون الله ، انما ارادوا التهرب من مسؤولية أعمالهم ، و الادعاء : بأن عيسى و أمه سوف ينقذانهم من عذاب الله حتى ولو عملوا بالجرائم ، فأراد الله ان يبين لهم : ان هذين العبدين لا يمكنهما ، تحديأوامر الله ، فيما يخصهما فكيف بما يتعلق ببعض من يدعون أنهم اتباعهما.

]قال سبحانك[

أي انك أجل من ان يعبد احد من دونك ، بل انت أجل وأعلى من ان يدعيأحد أنه ند لك.

]ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق [

إذ أني مجرد رسول من قبلك للناس ، و مسؤولية الرسول هو التقيد بتعاليم من أرسله بلا زيادة ولا نقيصة ، حتى ولو كان كلام الرسول حقا فان حدود مسؤوليته تستوجب الا يتجاوز حدود ما أمر الله

بتبليغه ، فمثلا : رسول الله لم يكن يستطيع ان يشرح من القرآن ما لم يحنوقته ، بالرغم من ان القرآن ذاته كلام الله الحق المبين.

]ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفس ولا اعلم ما في نفسك إنك انت علام الغيوب]إن مسؤولية الانسان امام ربه ليست كمسؤوليته امام شخص كعيسى عليه السلام ، أو أمام نظام أو قانون ، إذ قد يغيب على الشخص العلم ببعض أعمال الفرد ، بينما الله سبحانه علام الغيوب ، لا يعلم فقط اعمال الانسان ، بل يعلم ايضا خلفيات هذه الاعمال.

دور الرسول:

[117]إن دور الرسول هو دور المبلغ و الشهيد ، أما التبليغ ، فان مسؤوليته هي : نقل رسالة الله بلا زيادة أو نقيصة ، واما الشهادة فتعني : مراقبة مدى تطبيقالافراد لهذه الرسالة ، و محاولة هدايتهم الى الصراط المستقيم ببيان طريقة تطبيق المبادىء ، وقد أدى عيسى عليه السلام هاتين المسؤوليتين بأمانة و قال:

]ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم]بيد أن شهادة الرسول هي شهادة محدودة ، إنها شهادة وقتية ، تختص بأيام حياته أما بعدئذ فان الله هو الشهيد.

]فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم[

تراقب أعمالهم لتحاسبهم عليها في الدنيا و الاخرة ، أما رقابة الله لأعمال العباد فتنعكس في جزائه لهم عليها جزاء عاجلا في الدنيا ، او آجلا في الاخرة ، من دون ان يقدر أحد على الفرار منها ، وهذا يدفعنا الى فرض رقابة ذاتية على انفسنا الا تصدر منا غلطة ،يسجلها ربنا و يحاسبنا عليها سريعا.

]وانت على كل شيء شهيد[

شهادة الله هي : هيمنته المباشرة على الحياة التي تتجسد بنصر المؤمنين المخلصين في أعمالهم ، و خذلان الكافرين و المنافقين ، و هداية المجاهدين و المحسنين . إن الله هو السلطان الحقيقي للحياة ، وعلينا ان نتوكل عليه ولا نخشى احدا ابدا من دونه.

سلطان الله:

[118]إن سلطان الله ليس سلطانا فعليا فقط بل و يمتد الى المستقبل ، فبيده العذاب و المغفرة.

]إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم]في مواجهة الفكرة الخاطئة التي اعتقد بها النصارى في عيسى وأرادوا أن يتهربوا من المسؤولية تحت غطائها ، وهي : أن عيسى و أمه إلهان يخلصانهم من عذاب الله ، في مواجهة هذه الفكرة ، نجد القرآن يشرح لنا حقيقة المسؤولية ، و يبين أن الانسان مسؤول أمام ربه علىأعماله ، و علامة مسؤوليته علم الله به ، و رقابته عليه ، و شهادته عليه ، و جزاؤه على أعماله.

[119]وأكد الله هذه الفكرة و بين الجانب الايجابي من المسؤولية و هو الجزاء الحسن الذي أعده ربنا لمن أحسن عملا.

]قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم[

وبذلك بين أن الصدق هو الابتعاد عن التبرير و النفاق و التهرب من المسؤولية بأسلوب أو آخر ، ان هذا

الصدق ، هو أهم عمل صالح يقوم به الانسان ، اذ انه يدفعك الى تحمل مسؤولياتك وأدائها اداء حسنا.

]لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم [لانهم سعوا من أجل تطبيق أعمالهم حسب أوامر الله و التزموا الصدق ، و وافقت أفكارهم و أقوالهم الحق ، فان الله جزاهم بالرضا ، فهو رضي عنهم وهم رضوا عنه . إن تبادل الرضا بين العبد و بين ربه ، يأتي نتيجة إنسجام العبد مع الحق ، في ممارسته .. في تفكيره .. في كلامه ، وفي علمه.

[120]الله هو الحق .. الله هو ضمير الكون الشاهد .. الله هو مدبر الكون و ربه ، وحين ينفذ العبد أوامر الله ، فان الله يسخر له الكون . اذ انه يتصلبالحق .. يتصل بالضمير الشاهد .. يتصل بالقدرة .. بالعلم .. بالعزيمة ..

أما حين يخالف العبد ربه فانه سيواجه كل ما في الكون فهل يقدر على ذلك ؟

]لله ملك السموات و الارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير[